أربع رسائل

مسألة في البداء
نسمات الهدى ونفحات المهدي
البلاغ المبين
الرد على الوهابية

العلامة المجاهد
الشيخ محمد جواد البلاغي

تصحيح واعداد
السيد محمد علي الحكيم

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

أربع رسائل

مسألة في البَداء

نسمات الهدىٰ ونفحات المهديّ

البلاغ المبين

الردّ علىٰ الوهّابيّة

من تأليف

العلّامة المجاهد

الشيخ محمّد جواد البلاغي

(١٢٨٢ ـ ١٣٥٢ هـ)

تصحيح وإعداد

السيّد محمّد علي الحكيم

منشورات

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - لبنان

ص.ب: ٧١٢٠

شبكة كتب الشيعة

shiabooks.net

mktba.net رابط بديل

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

Published by Alaalami Library

Beirut- Lebanon po. Box 7120
Tel – Fax: 450427

بيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة
مفرق سنتر زعرور- ص ب : ١١/٧١٢٠
هاتف: ٤٥٠٤٢٦- فاكس: ٠١/٤٥٠٤٢٧

الإهـــداء . .

إلىٰ المنتـظَر لإقامة الأمْـتِ والعِـوَج . .

إلىٰ جامع الكَـلِم علىٰ التـقوىٰ . .

إلىٰ الســبب المتّـصل بين الأرض والسماء . .

الإمـام المهـديّ عليه السلام . .

متوسّـلاً به منادياً :

﴿ يا أيّها العزيز مسّـنا وأهلنا الضرّ

وجئنا ببضاعة مزجاة

فأَوفِ لنا الكيل وتصدّق علينا ﴾ . .

بنظرة عطفٍ ولطفٍ وقبـول .

أقلّ عبيـدك

محمّـد علي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـدِّمة الإعداد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام علىٰ خير خلقه محمّـد وآله الطـيّبين الطاهرين ، ولا سيّما بقـيّة الله في الأرضين ، الإمـام الحـجّة المـنتـظَر المـهديّ ، عـجّل الله تـعالىٰ له الفـرج والنصـر .

أمّـا بعـد . .

فبين يديك أخي الباحث والقارئ أربع رسائل قـيّمة من تأليف طود شامخ وعَلَم من جهابذة أعلام علمائنا الإمامية فـي القــرن المــاضي ، مــمّن حـامىٰ وذبّ عـن قُــدس الشــريعة والمذهب ؛ هو : **العلّامة المجاهد آية الله الشيخ محمّـد جواد البلاغي** ، الذي ما فتئ يقارع الفرق الباطلة والأفكار الهـدّامـة ، ويدُكّ حصونها ، ويفـنّد مزاعمها ومفترياتها ، فبرع في ردّ كيدهم

ودحض أباطيلهم، فكان أكثر من نصف مجموع ما جاد به يراعه الشريف هو في مجال العقائد، والبقيّة في الفقه والأُصول والتفسير وغيرها.

فكان مصداقاً حقيقياً لِما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام حينما سأله معاوية بن عمّار قائلاً:

قلت لأبي عبدالله عليه السلام: رجلٌ راويةٌ لحديثكم، يبثُّ ذلك في الناس، ويُشدِّده في قلوبهم وقلوب شيعتكم، ولعلّ عابداً من شيعتكم ليست له هذه الرواية، أيُّهما أفضل؟

قال: **الراوية لحديثنا، يُشدِّد قلوب شيعتنا، أفضل من ألف عابد**[1].

قدّس الله نفسه الزكية، ونوَّر مرقده، وجعل الجنّة مأواه.

هذا، وكنتُ قد حقّقتُ هذه الرسائل الأربعة في ما مضىٰ من الأيّام الخالية، نُشِرت إحداها مرّة واحدة من قبل، واثنتان منها أكثر من مرّة في أماكن مختلفة، وأمّا رابعتها فلم ترَ النور بعد تحقيقها إلّا في هذه الطبعة ضمن هذه المجموعة النفيسة،

---

(١) الكافي ١/ ٢٥ ح ٩، وقد نقل شيخ الإسلام العلّامة المجلسي ما بمعناه عن مصادر شتّىٰ في بحار الأنوار ٢/ ١ - ٢٥ ح ١ - ٩٢ باب «ثواب الهداية والتعليم، وفضلهما، وفضل العلماء، وذمّ إضلال الناس».

وسـنأتي علىٰ تفصيـل ذلك عند الكلام علىٰ كلّ واحدة منها من هذه المقـدّمة بإذنه تعـالىٰ[١].

ولنفاسـتها في أبوابها، وأثرها في بناء فكر المرء المؤمن وسلوكـيّاته، ولا سـيّما في عصرنا الحاضر، قمتُ بتوفيق من الله تبارك وتعالىٰ وبركة أهل البيت عليهم السلام بجمع هذه الرسائل الأربع ضمن كـتاب واحد في هذه الطبعة؛ لتكون أيسـر منالاً لمبتغيها، وأعمّ فائـدة، عسىٰ الله أن ينفع بها، فهو وليُّ ذلك، والله مـن وراء القصـد، وهو يهـدي السـبيل.

* * *

(١) آنظر الصفحة ٤٣ وما بعدهـا من هذه المقـدِّمـة.

ترجمة المؤلِّف[١]

نسبه :

هو الشيخ محمّد جواد بن حسن بن طالب بن عبّاس بن إبراهيم بن حسين بن عبّاس بن حسن[٢] بن عبّاس بن محمّد عليّ بن محمّد البلاغي النجفي الرّبعي[٣].

مولده :

وُلد في مدينة النجف الأشرف سنة ١٢٨٢ هـ/ ١٨٦٥ م، في أُسرة علمية عريقة في الفضل والعلم والأدب والتقوىٰ، فقد

---

(١) آنظر في تفصيل ترجمته ﷺ :
أعيان الشيعة ٤/ ٢٥٥ ـ ٢٦٢، شعراء الغريّ ٢/ ٤٣٦ ـ ٤٥٨، نقباء البشر في القرن الرابع عشر ١/ ٣٢٣ ـ ٣٢٦، الكنىٰ والألقاب ٢/ ٩٤ ـ ٩٥، مقدّمة «الهدىٰ إلىٰ دين المصطفىٰ» ١/ ٦ ـ ٢٠، معارف الرجال ١/ ١٩٦ ـ ٢٠٠، ريحانة الأدب ١/ ١٧٩، ماضي النجف وحاضرها ٢/ ٦١ ـ ٦٦ رقم ٣، مقدّمة «الردّ علىٰ الوهّابية» : ٨ ـ ٣٢، مقدّمة «نصائح الهدىٰ» : ٥ ـ ٢٧، مجلّة «رسالة القرآن»/ العدد ١٠/ ١٤١٣ : ٧١ ـ ١٠٤، وغيرها .

(٢) صاحب كتاب «تنقيح المقال في الأُصول والرجال» ؛ آنظر : الذريعة ٤/ ٤٦٦ رقم ٢٠٦٩ .

(٣) نسبةً إلىٰ قبيلة ربيعة المشهورة .

أنجبت أُسرة آل البلاغي عدَدَةً من رجال العلم والدين والأدب وإنِ اختلفت مراتبهم.

نشأته وشيوخه وسجاياه:

نشأ حيث وُلد، في النجف الأشرف، حاضرة العلم، ونهل من مدارسها في الفقه والأُصول والفلسفة، ونواديها في الأدب والثقافة والشعر، ممّا كان له الأثر الكبير في تكوين شخصيّته العلمية والأدبية، فتجلّىٰ ذلك في عمق بحوثه، وأُسلوبه السهل الممتنع في البيان وحسن العرض، وأدبه الجمّ وخُلقه الدمث في المناظرة والحِجاج.

أخذ المقدّمات عن أعلام النجف الأفاضل، ثمّ سافر إلىٰ الكاظمية سنة ١٣٠٦، وتزوّج هناك من ابنة السيّد موسىٰ الجزائري الكاظمي، وحضر علىٰ علماء الكاظمية، ثمّ عاد إلىٰ النجف الأشرف سنة ١٣١٢ فحضر علىٰ الشيخ محمّد طه نجف (ت ١٣٢٣) والشيخ آقا رضا الهمداني (ت ١٣٢٢) والشيخ الآخوند محمّد كاظم الخراساني (ت ١٣٢٩) والسيّد محمّد الهندي (ت ١٣٢٣) رحمهم الله.

هاجر إلىٰ سامرّاء سنة ١٣٢٦ هـ فحضر علىٰ الميرزا محمّد تقي الشيرازي (ت ١٣٣٨) ـ زعيم الثورة العراقية ـ عشر

سنين ، وألّف هناك عدّة كتب ، وغادرها ـ عند احتلالها من قبل الجيش الإنكليزي ـ إلىٰ الكاظمية فمكث فيها سنتين مؤازراً للعلماء في تأجيج الثورة وإثارة المشاعر والعواطف ضدّ الإنكليز ومحرّضاً علىٰ طلب الاستقلال .

ثمّ عاد إلىٰ النجف الأشرف وواصل نشاطه في التدريس والتأليف ، حتّىٰ وافاه الأجل .

كان شخصية موسوعية ، له في كلّ علم مِغرفة ، صاحب القلم المبارك الثرّ الذي لا ينضب ، فكان من أُولئك النَدَرة الأفذاذ الّذين أوقفوا حياتهم وكرّسوا أوقاتهم لخدمة الدين والمذهب والحقيقة ، فلم يُرَ إلّا وهو يجيب عن سؤال ، أو يحرّر رسالة يكشف فيها ما التبس علىٰ المرسل من شكّ ، أو يكتب في أحد مؤلّفاته . .

فوقف بكلّ بأس وقوّة ضدّ التبشير المسيحي وأمام تيّار الغرب الجارف ، الذي استشرىٰ في العراق وغيره من البلدان العربية والإسلامية ، فمثّل لهم سموّ الإسلام علىٰ جميع الملل والأديان ، حتّىٰ أصبح له الشأن العظيم والمكانة المرموقة بين علماء النصارىٰ وفضلائها .

وتصدّىٰ ـ كذلك ـ للفرق المنحرفة الهدّامة ـ كالقاديانية والبابية والوهّابية والإلحادية ، وغيرها ـ ، فكتب في ردّ أباطيلهم ،

وكشف خفايا دسائسهم، ودحض شبهاتهم، وفضح توافه مبانيهم ومعائب أفكارهم، كتباً ورسائل قيّمة، أبطل فيها كلّ دليل تمسّكوا به، وأسقط كلّ برهان اعتمدوه.

وممّا مكّنه من ذلك أنّه كان يجيد اللغات الفارسية والعبرانية والإنكليزية إضافة إلىٰ لغته الأُمّ العربية.

وقد كان من خلوص النيّة وإخلاص العمل بمكان حتّىٰ إنّه كان لا يرضىٰ أن يوضع اسمه علىٰ تآليفه عند طبعها، وكان يقول: «إنّي لا أقصد إلّا الدفاع عن الحقّ، لا فرق عندي بين أن يكون باسمي أو آسم غيري».

حتّىٰ إنّ يوسف إليان سركيس في كتابه: «معجم المطبوعات» ذكر كتاب «الهدىٰ إلىٰ دين المصطفىٰ» لشيخنا البلاغي ـ رضوان الله عليه ـ ذكره في آخر الجزء الثاني ضمن الكتب المجهولة المؤلّف[1]، وربّما كان ﷺ يذيّل بعضها بأحرف ترمز إلىٰ لقبه، أو بصفات وأسماء مستعارة، مثل: كاتب الهدىٰ النجفي، عبدالله العربي، وغيرهما.

ومع كلّ ذلك أصبح اسمه ناراً علىٰ علم، وبلغت شهرته أقاصي البلاد؛ ذلك لِما عالجه من المعضلات العلمية والمناقشات الدينية، حتّىٰ إنّ أعلام أُوروبّا كانوا يفزعون إليه في

---

(١) معجم المطبوعات العربية والمعرَّبة ٢/ ٢٠٢٤.

المسائل العويصة، كما تُرجمت بعض مؤلّفاته إلىٰ الإنكليزية للاستفادة من مضامينها الراقية.

كما كان متواضعاً للغاية، يقضي حاجات بيته بنفسه، ويختلف إلىٰ الأسواق بشخصه لابتياع ما يلزم أهله، وكان يحمله إليهم بنفسه ويعتذر لمن يروم مساعدته بحمله عنه فيقول له: «ربّ العيال أَوْلىٰ بعياله».

وكان يقيم صلاة الجماعة في المسجد القريب من داره، فيأتمّ به أفاضل الناس وخيارهم، وبعد الفراغ من الصلاة كان يدرّس كتابه «آلاء الرحمٰن».

كان ليّن العريكة، خفيف الروح، منبسط الكفّ، لا يمزح ولا يحبّ أن يمزح أحد أمامه، تبدو عليه هيبة الأبرار، وتقرأ علىٰ أساريره صفات أهل التقىٰ والصلاح.

ومن آثاره الباقية:

إقامة المآتم في يوم عاشوراء في كربلاء، فهو أوّل من أقامه هناك؛ إذ كان له في سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام عقيدة راسخة، وحبٌّ ثابت، فكم له أمام المناوئين للإمام الحسين عليه السلام من مواقف مشهودة، ولولاه لأمات المعاندون الشعائر الحسينية والمجالس العزائية، ولكنّه تمسّك بها وألتزم بشعائرها، وقام بها

خير قيام.

فكان هذا العلّامة البطل ـ علىٰ شيخوخته وضعفه وعجزه ـ يمشي حافياً أمام الحشد المتجمهر للعزاء، قد حلّ أزراره ويضرب علىٰ صدره، وخلفه اللطم والأعلام، وأمامه الضرب بالطبل.

وعنه أُخذ ذلك حتّىٰ تُوسِّع فيه ووصل إلىٰ ما هو عليه اليوم.

ومن آثاره الخالدة كذلك تحريضُ علماء الدين وإثارة الرأي العامّ ضدّ البهائية في بغداد، وإقامة الدعوىٰ في المحاكم لمنع تصرّفهم في المُلك الذي استولوا عليه ـ في محلّة الشيخ بشّار في الكرخ ـ وآتّخذوه محفلاً وحظيرة لهم لإقامة شعائر الطاغوت، فقضت المحاكم بنزعه منهم، وآتّخذه ﷺ مسجداً تقام فيه الصلوات الخمس، والمآتم الحسينية في ذكرىٰ الطفّ، وشعائر أهل البيت عليهم السلام.

قالوا فيه:

قال أُستاذ الفقهاء والمجتهدين السيّد أبو القاسم الموسوي الخوئي ـ في معرض ذِكره لأسماء علماء الإمامية القائلين بعدم تحريف القرآن الكريم ـ: «ومنهم: بطل العلم

المجاهد، الشيخ محمّد جواد البلاغي في مقدّمة تفسيره (آلاء الرحمٰن)»[١].

وقال السيّد محسن الأمين العاملي: «كان عالماً فاضلاً، أديباً شاعراً، حسن العشرة، سخيّ النفس، صرف عمره في طلب العلم وفي التأليف والتصنيف، وصنّف عدّة تصانيف في الردود.

صاحبناه في النجف الأشرف أيّام إقامتنا فيها، ورغب في صحبة العامليّين فصاحبناه، وخالطناه حضراً وسفراً عدّة سنين إلىٰ وقت هجرتنا من النجف فلم نر منه إلّا كلّ خُلق حسن وتقوىً وعبادة وكلّ صفة تحمد، وجرت بيننا وبينه بعد خروجنا من النجف مراسلات ومحاورات شعرية ومكاتبات في مسائل علمية»[٢].

وقال الشيخ عبّاس القمّي: «بطل العلم الشيخ محمّد الجواد... ولقد كان ـ رحمه الله تعالىٰ ـ ضعيفاً ناحل الجسم، تفانت قواه في المجاهدات، وكان في آخر أمره مكبّاً علىٰ تفسير القرآن المجيد بكلّ جهد أكيد»[٣].

وقال الشيخ آقا بزرك الطهراني: «كان أحد مفاخر العصر

---

(١) البيان في تفسير القرآن: ٢٠٠.
(٢) أعيان الشيعة ٤/ ٢٥٥.
(٣) الكنىٰ والألقاب ٢/ ٨٣ ـ ٨٤.

علماً وعملاً... وكان من أُولئك الأفذاذ النادرين الّذين أَوقفوا حياتهم وكرّسوا أوقاتهم لخدمة الدين الحنيف والحقيقة... فهو أحد نماذج السلف التي ندر وجودها في هذا الزمن»[١].

وقال الشيخ محمّد حرز الدين: «عالم فقيه كاتب، وأديب شاعر، بحّاثة أهل عصره، خدم الشريعة المقدّسة، ودين الإسلام الحنيف، بل خدم الإنسانية كاملة بقلمه ولسانه وكلّ قواه»[٢].

وقال الميرزا محمّد عليّ التبريزي المدرّس: «فقيه أُصوليّ، حكيم متكلّم، عالِم جامع، محدِّث بارع، ركن ركين لعلماء الإمامية، وحصن حصين للحوزة الإسلامية، ومُروّج للعلوم القرآنية، وكاشف الحقائق الدينية، وحافظ للنواميس الشرعيّة، ومن مفاخر الشيعة»[٣].

وقال الملّا عليّ الواعظ الخياباني التبريزي: «هو العَلَم الفرد، العلّامة المجاهد، آية الله، وجه فلاسفة الشرق، وصدر من صدور علماء الإسلام، فقيه أُصوليّ، حكيم متكلّم، محدِّث محقّق، فليسوف بارع، وكتبه الدينية هي التي أبهجت الشرق وزلزلت الغرب وأقامت عَمَد الدين الحنيف، فهو حامية

---

(١) نقباء البشر في القرن الرابع عشر ١/٣٢٣.
(٢) معارف الرجال ١/١٩٦.
(٣) ريحانة الأدب ١/١٧٩.

الإسلام، وداعية القرن، رجل البحث والتنقيب، والبطل المناضل، والشهم الحكيم»[١].

وقال الشيخ جعفر النقدي: «عالم عيلم مُهذّب، وفاضل كامل مذرّب، وآباؤه كلّهم من أهل العلم»[٢].

وقال عليّ الخاقاني: «من أشهر مشاهير علماء عصره، مؤلّف كبير، وشاعر مُجيد... أغنتنا آثاره العلمية عن التنويه بعظمته وعلمه الجمّ وآرائه الجديدة المبتكرة، فلقد سدّ شاغراً كبيراً في المكتبة العربية الإسلامية بما أسداه من فضل في ما قام به من معالجة كثير من المشاكل العلميّة والمناقشات الدينيّة، وتوضيح التوحيد ودعمه بالآراء الحكيمة قبال الثالوث الذي هَدَّه بآثاره وقلمه السيّال...

كان عظيماً في جميع سيرته، فقد ترفَّع عن دَرَن المادّة، وتردّىٰ بالمُثُل العالية التي أوصلته في الحياة ـ ولا شكّ بعد الممات ـ أرفع الدرجات...

وقد حضرتُ[٣] مع من حضر برهة من الزمن، فإذا به بحر خضمّ لا ساحل له، يستوعب الخاطرة، ويحوم حول

---

(١) علماء معاصرين: ١٦٢ ـ ١٦٣.

(٢) شعراء الغريّ ٢/٤٣٧.

(٣) أي: درسه في تفسير القرآن الكريم من كتابه «آلاء الرحمٰن».

الهدف، ويصوِّر الموضوع تصويراً قويّاً...

كانت حياته مليئة بالمفاخر والخدمات الصادقة»[١].

وقال الشيخ جعفر باقر آل محبوبة: «ركن الشيعة وعمادها، وعزّ الشريعة وسنادها، صاحب القلم الذي سبح في بحر العلوم الناهل من موارد المعقول والمنقول؛ كم من صحيفة حبَّرها، وألوكة حرَّرها، وهو بما حبَّر فضح الحاخام والشمّاس، وبما حرَّر مَلَكَ رقَّ الرهبان والأقساس، كان مجاهداً بقلمه طيلة عمره، وقد أوقف حياته في الذبِّ عن الدين، ودحض شبه المادّيّين والطبيعيّين؛ فهو جُنَّة حصينة، ودرع رصينة، له بقلمه مواقف فلّت جيوش الإلحاد، وشتّتت جيوش العادين على الإسلام والطاعنين فيه...

حضرتُ بعض دروسه وآستفدت منه مدّة..

كان نحيف البدن، واهي القوىٰ، يتكلَّف الكلام، ويعجز في أكثر الأحيان عن البيان، فهو بقلمه سحبان الكتابة، عنده أسهل من الخطابة»[٢].

وقال المحامي توفيق الفكيكي: «كان ـ رحمه الله تعالىٰ ـ داعي دعاة الفضيلة، ومؤسّس المدرسة السيّارة للهداية والإرشاد

---

(١) شعراء الغريّ ٢/٤٣٧ ـ ٤٣٩.
(٢) ماضي النجف وحاضرها ٢/٦٢.

وتنوير الأفكار بأُصول العلم والحكمة وفلسفة الوجود، فقد أُفطمت جوانحه علىٰ معارف جمّة، ووَسِعَ صدرُه كنوزاً من ثمرات الثقافة الإسلامية العالية والتربية الغالية، وقد نَهَلَ وعَبَّ من مشارع المعرفة والحكمة الصافية حتّىٰ أصبح مَلاذ الحائدين الّذين استهوتهم أهواء المنحرفين عن المحجّة البيضاء، وخدعتهم ضلالات الدَّهريّين والمادّيّين...

ومن ملامحه ومخائله الدالّة علىٰ كماله النفسي هي: فطرته السليمة، وسلامة سلوكه الخلقي والاجتماعي، وحدّة ذكائه، وقوّة فطنته، وعفّة نفسه، ورفعة تواضعه، وصون لسانه عن الفضول، ولين عريكته، ورقّة حاشيته، وخفّة روحه، وأدبه الجمّ، وعذوبة منطقه، وفيض يده علىٰ عسره وشظف عيشه»[1].

وقال عمر رضا كحّالة: «فقيه، متكلّم، أديب، شاعر»[2].

وقال خير الدين الزركلي: «باحث إماميّ، من علماء النجف في العراق، من آل البلاغي، وهم أُسرة نجفيّة كبيرة، له تصانيف... وكان يُجيد الفارسية، ويُحسن الإنجليزية، وله مشاركة في حركة العراق الاستقلالية وثورة عام ١٩٢٠م»[3].

---

(١) مقدّمة الهدىٰ إلىٰ دين المصطفىٰ ١/ ٧.
(٢) معجم المؤلّفين ٣/ ٢٠١ رقم ١٢٦٦١.
(٣) الأعلام ٦/ ٧٤.

فمن كانت هذه مآثره وصفاته وسجاياه فجدير بمتخصّصينا أن يسبروا غور هذه الشخصية الجليلة وآثارها القيّمة، فهو أحد نماذج السلف التي ندر وجودها في هذا الزمن، ونور من الأنوار التي قيّضها الله تعالىٰ ليُهتدىٰ بها في ظلمات الشكّ والحيرة إلىٰ ركن الإيمان الوثيق، وهو بحقّ من مشاهير علماء الإمامية، علّامة جليل، ومجاهد كبير، ومؤلّف مكثر خبير.

شِعره:

كان ﷺ مع عظيم مكانته في العلم وتفقّهه في الدين، أديباً كبيراً، وشاعراً مبدعاً، من فحول الشعراء، له نظم رائق سلس جزل متين، تزخر أشعاره بالعواطف الوجدانية، والمشاعر الإنسانية، والتأمّلات الروحية، وأكثر شعره كان في مدح ورثاء أهل البيت عليهم السلام، وبقيّته في تهنئة خليل، أو رثاء عالم جليل، أو في حالة الحنين إلىٰ الأخلّاء يحتّمه عليه واجب الوفاء، أو في الدفاع عن رأي علمي، أو شرح عقيدة أو فكرة فلسفية بطريقة المعارضة الشعرية.

ولم يُجمع شعره ـ علىٰ كثرته ـ في ديوان، وإنّما طُبع قسم منه متناثراً في مؤلّفاته أو تراجمه المسطورة في المصادر

المختلفة[١].

فممّا قال في قصيدة في ذكرىٰ مولد سيّد شباب أهل الجنّة، ريحانة الرسول، الإمام أبي عبدالله الحسين عليه السلام، في الثالث من شعبان:

شَعبانُ كَمْ نَعِمَتْ عَيْنُ الهُدىٰ فيهِ
لَولا المُحَرَّمُ يأتي في دواهيهِ

وأَشرَقَ الدِّينُ مِنْ أنوارِ ثالِثِهِ
لَولا تَغَشّاه عاشورٌ بِداجِيهِ

وآرتاحَ بالسِّبْطِ قَلبُ المُصطفىٰ فَرَحاً
لَوْ لَمْ يَرُعْهُ بِذِكْرِ الطَّفِّ ناعِيهِ

رآهُ خيرُ وليدٍ يُستجارُ بهِ
وخَيْرَ مُسْتَشْهَدٍ في الدِّينِ يَحْمِيهِ

قَرَّتْ بهِ عَينُ خَيْرِ الرُّسْلِ ثُمَّ بَكَتْ
فَهَلْ نُهَنِّيهِ فيهِ أَم نُعَزِّيهِ؟!

إنْ تَبْتَهِجْ فاطِمٌ في يومِ مَوْلِدِهِ
فَلَيْلَةُ الطَّفِّ أَمْسَتْ مِن بَواكِيهِ

---

(١) وللتفصيل آنظر مقال: «المتبقّي من شعر العلّامة البلاغي»، المطبوع في مجلّة «تراثنا»، العدد المزدوج ٧١ ـ ٧٢، ص ١٣٥ ـ ١٨٧.

أو يَنْتَعِشْ قَلْبُها مِن نُورِ طَلْعَتِهِ
فَقَدْ أُدِيلَ بِقاني الدَّمْعِ جارِيهِ

فَقَلْبُها لَمْ تَطُلْ فيهِ مَسَرَّتُهُ
حتّىٰ تَنازَعَ تَبْرِيحُ الجَوىٰ فيهِ

بُشْرىٰ أبا حَسَنٍ في يَومِ مَوْلِدِهِ
وَيومَ أَرْعَبَ قَلْبَ المَوتِ ماضِيهِ

* * *

وله من قصيدة في ذكرىٰ مولد إمام العصر والزمان المهديّ المنتظَر عليه السلام ، في الخامس عشر من شعبان ، قوله :

حَيِّ شعبانَ فهو شهرُ سُعودي
وَعْدُ وَصْلِيَ فيه وليلةُ عِيدي

منهُ حَيا[1] الصَّبُّ المَشوقِ ، شَذا الـ
ـمِيلادِ فيهِ وبَهْجَةُ المَوْلُودِ

بَهجةُ المُرتضىٰ وقُرَّةُ عَيْنِ المُـ
ـصطَفىٰ ، بَلْ ذَخيرةُ التَّوحيدِ

رَحمةُ اللهِ ، غَوْثُهُ في الوَرىٰ ، شَمْـ
ـسُ هُداهُ ، وظِلُّهُ المَمْدُودِ

---

(١) أصله : حياء ، وحُذفت الهمزة للضرورة .

وهَـوىٰ خـاطِري، وشـائِقُ نَـفْسي،
ومُـــنـاها، وعُـــدَتي وعَـــدِيـدي
فانْـجَـلَتْ كُـرْبَـتي، وَأزْهَـرَ رَوْضـي،
وَنَـمَـتْ نَـبْـعَـتي، وَأَوْرَقَ عُـودي
طِلْتِ فَخْراً يا لَيلَةَ النِّصفِ مِنْ شَعْـ
ـبـانَ بِـيْـضَ الأيّـامِ بـالتَّسْـوِيـدِ

* * *

وله من قصيدة أُخرىٰ فـي الإمـام الحـجّة المـنتظَر عليه السلام، قولـه:

رُوَيْـدَكُـما أيُّـها البـاكِيانِ ... فَـــما أنـتُما أوَّلُ الوالِـهِينا
فَكَـمْ لِـنَواهُ جَـرَتْ عَـبْرَةٌ ... تَـقِلُّ لَـها أدْمُـعُ العـالَمِينا
جَرَتْ وَلَهاً قَبْلَ يَـومِ الفِـراقِ ... وَلَمْ تَرْحَلِ العِيسُ بِالمُزْمِعِينا
فَلا نَهْنَهَ الوَجْدَ فَيْضُ الدُّمُوعِ ... وَقَدْ شَطَّتِ الدارُ بـالظاعِـنِينا
وَبـــانَ وَأَوْدَعَـنـا حَـسْـرَةً ... وَمِـنْ لَـوْعَةِ البَيْنِ داءً دَفِـينا
أَطـــالَ نَـواهُ وَمِـنْ نَأْيِـــهِ ... رُزِيـنا بِـما يَسْتَخِفُّ الرَّزِيـنا
نُـقَـضّي اللَـيالي آنـتِظاراً لَـهُ ... فَيا حَسْرَتا، ونُقَضّي السِّنِينا
نُـطِـيلُ الحَـنِينَ بِـتَـذْكـارِهِ ... وَيا بَـرَحاً أنْ نُطِيلَ الحَـنِينا
فَـما لَـقِيَتْ فـاقِداتُ الحَـمامِ ... مِنَ الوَجْدِ في نَوْحِها ما لَقِينا

ومن قصيدة له يرثي بها الإمامَ الحسين عليه السلام ، قوله :

يـا تَـرِيبَ الخَـدِّ فـي رَمْـضا الطُّـفُوفْ
لَـــيْـتَـنِي دُوْنَـكَ نَـهْـباً لِـلسُّـيُوفْ

يـــا نَـصِيرَ الدِّيـــنِ إذْ عـــزَّ النَّـــصِيرْ
وَحِـــمىٰ الجـارِ إذا عَـــزَّ المُـجِـيـرْ
وشَـدِيدَ الـــبَـأْسِ والـيَـوْمُ عَـسِـيرْ
وَثِـمالَ الوَفْـدِ فـي العـامِ العَسُوفْ

كَيفَ يا خامِسَ أصْحابِ الكِسـا ؟!
وآبـنَ خَـيْـرِ المُـرْسَـلِينَ المُـصطفىٰ
وآبنَ ساقِي الحَـوضِ فـي يَـومِ الظَّـما
وشَفِيعَ الخَلْقِ فـي الـيَـوْمِ المَـخُوفْ

يـا صَـــرِيعاً ثـاوِياً فَـوْقَ الـصَّـعِيدْ
وخَـضِيبَ الشَّـيْبِ مِـنْ فَـيْضِ الوَرِيـدْ
كَـــيْـفَ تَـقْضي بَـيْـنَ أجنادٍ يَـزِيدْ
ظامِياً تُسْقىٰ بِكاساتِ الحُـتُوفْ ؟!

* * *

كَيْفَ تَقْضي ظامِياً حَوْلَ الفُراتْ
دامِياً تَنْهَلُ مِنْكَ الماضِياتْ ؟!
وَعلىٰ جِسْمِكَ تَجْرِي الصافِناتْ
عافِرَ الجِسْمِ لُقَىً بَيْنَ الصُّفُوفْ

يا مُرِيعَ المَوتِ في يَومِ الطِّعانْ
لا خَطا نَحْوَكَ بِالرُّمْحِ سِنانْ
لا، ولا شِمْرٌ دَنا مِنْكَ فَكانْ
ما أَمارَ الأرضَ هَوْلاً بِالرُّجُوفْ

سَيِّدي أَبْكِيكَ لَلشَّيْبِ الخَضِيبْ
سَيِّدي أَبْكِيكَ لِلْوَجْهِ التَّرِيبْ
سَيِّدي أَبْكِيكَ لِلجِسمِ السَّلِيبْ
مِنْ حَشا حَرّانَ بِالدَّمْعِ الذَّرُوفْ

سَيِّدي إنْ مَنَعُوا عَنْكَ الفُراتْ
وَسَقَوْا مِنْكَ ظِماءَ المُرْهَفاتْ
فَسَنَسْقِي كَرْبَلا بِالعَبَراتْ
وَكَفاً مِنْ عَلَقِ القَلْبِ الأَسُوفْ

سَـــيِّدي أَبْـكِـيكَ مَـنْـهُوبَ الـرِّحالْ
سَـــيِّدي أَبْـكِـيكَ مَسْـبِـيَّ العِـيالْ
بَـيْنَ أَعْـداكَ عَـلىٰ عُـجْفِ الجِـمالْ
فـي الفَـيافي بَـعْـدَ هـاتِـيكَ السُّـجُوفْ

سَـيِّدي إنْ نَـقْـضِ دَهْـراً فـي بُـكـاكْ
مـا قَـضَـيْنا البَـعْضَ مِـنْ فَـرْضِ وَلاكْ
أو عَـكَـــفْـنا عُـمْـرَنا حَـوْلَ ثَـراكْ
مـا شَـــفىٰ غُـلَّـتَـنـا ذاك العُـكُـوفْ

لَـهْـفَ نَـفْسِـي لِـنِـسـاكَ المُـعْوِلاتْ
والـــيَـتـامىٰ إذْ غَـدَتْ بَـيْـنَ الـطُّـغاةْ
بـــاكِـيـاتٍ شـاكِـيـاتٍ صـارِخـاتْ
وُلَّـــهـاً حَـوْلَـكَ تَـسْـعىٰ وَتَـطُـوفْ

* * *

ومن شعر الشيخ البلاغي ـ رضوان الله عليه ـ الذي سارت به الركبان، قصيدته التي نظمها ردّاً علىٰ قصيدة أحد علماء بغداد المنكرين لوجود الإمام الثاني عشر المهديّ المنتظَر عليه السلام، والتي بعثها إلىٰ علماء النجف الأشرف عام ١٣١٧ هـ، التي يقول

فيها:

أيا عُلَماءَ العَصْرِ يا مَنْ لَهُمْ خُبْرُ
بِكُلِّ دَقِيقٍ حارَ في مِثْلِهِ الفِكْرُ

لَقَدْ حارَ مِنّي الفِكْرُ في القائِمِ الذي
تَنازَعَ فيهِ الناسُ وَٱلْتَبَسَ الأَمْرُ

فأجابه العلّامة البلاغي بقصيدة طويلة تقع في أكثر من مئة بيت، وهي من عيون شعره، ومطلعها:

أَطَعْتُ الهَوىٰ فِيهِمُ وَعاصانِيَ الصَّبْرُ
فَها أنا ما لِي فيهِ نَهْيٌ وَلا أَمْرُ

أَنِسْتُ بِهِمْ سَهْلَ القِفارِ وَوَعْرَها
فَما راعَنِي مِنْهُنَّ سَهْلٌ وَلا وَعْرُ

أخا سَفَرٍ وَلْهانَ أغْتَنِمُ السُّرىٰ
مِنَ اللَيلِ تَغْلِيساً إذا عَرَّسَ السَّفْرُ

ومنها قوله:

وفي خَبَرِ الثِّقلَيْنِ هادٍ إلىٰ الّذي
تَنازَعَ فيهِ الناسُ وَٱلْتَبَسَ الأَمْرُ

إذا قال خَيْرُ الرُّسْلِ: لَنْ يَتَفَرَّقا
فَكَيْفَ إذاً يَخْلُو مِنَ العِتْرَةِ العَصْرُ ؟!

وما إنْ تَمَسَّكْتُمْ بِتَيْنِكَ إنَّهُمْ
هُمُ السادَةُ الهادُونَ والقادَةُ الغُرُّ

ومنها قوله أيضاً:

وغابَ بأَمرِ اللهِ لِلأَجلِ الّذي
يَراهُ لَهُ في عِلْمِهِ، وَلَهُ الأمرُ
وأَوْعَدَهُ أنْ يُحْيِيَ الدِّينَ سَيْفُهُ
وفِيهِ لِدِينِ المُصطفىٰ يُدْرَكُ الوِتْرُ
وَيُخْدِمُهُ الأَملاكَ جُنداً وإنَّهُ
يَشُدُّ لَهُ بالرُّوحِ في مُلْكِهِ أَزْرُ
وإنَّ جميعَ الأرضِ تَرْجِعُ مُلْكَهُ
ويَملأُها قِسطاً وَيَرْتَفِعُ المَكْرُ
فأَيْقَنَ أنَّ الوَعْدَ حَقٌّ وأنَّهُ
إلىٰ وَقتِ عيسىٰ يَستطيلُ لهُ العُمْرُ
فَسَلَّمَ تَفوِيضاً إلىٰ اللهِ صابراً
وعَنْ أمرِهِ مِنهُ النُّهوضُ أوِ الصَّبْرُ
وَلَمْ يَكُ مِنْ خَوفِ الأَذاةِ آختِفاؤهُ
ولكنْ بأمرِ اللهِ خِيْرَ لَهُ السَّتْرُ
وحاشاهُ مِن جُبْنٍ ولكنْ هُوَ الّذي
غَدا يَخْتَشِيهِ مَنْ حَوىٰ البَرُّ والبَحرُ

أَكُلَّ آختِفاءٍ خِلْتَ مِن خِيفَةِ الأذىٰ ؟!
فَرُبَّ آختِفاءٍ فيهِ يُسْتَنْزَلُ النَصْرُ
وَكُلَّ فِرارٍ خِلْتَ جُبْناً فَرُبَّما
يَفِرُّ أخُو بَأْسٍ لِيُمْكِنَهُ الكَرُّ
فَكَمْ قَدْ تَمادَتْ لِلنَّبِيِّينَ غَيْبَةٌ
علىٰ مَوْعِدٍ فيها إلىٰ رَبِّهِمْ فَرُّوا
وإنَّ بِيَومِ الغارِ والشِّعْبِ قَبْلَهُ
غَناءً كَما يُغْني عَنِ الخَبَرِ الخُبْرُ
ولَمْ أَدرِ لِم أَنكَرْتَ كَوْنَ آختِفائهِ
بأمرِ الذي يَعْيىٰ بَحِكْمَتِهِ الفِكْرُ ؟!
أَتَحصُرُ أمرَ اللهِ في العَجْزِ ، أَمْ لَدىٰ
إقامةِ ما لَفَّقْتَ أَقعَدَكَ الحَصْرُ ؟!
فَذلكَ أَدهىٰ الداهِياتِ ولَم يَقُلْ
بِهِ أحَدٌ إلّا أخو السَّفَهِ الغِمْرُ
ودُونَكَ أمرَ الأنبياءِ وما لَقُوا
ففيهِ لِذي عَينَينِ يَتَّضِحُ الأمرُ
فمِنْهُمْ فَريقٌ قَدْ سَقاهُمْ[1] حِمامُهُمْ
ـ بكأس الهَوانِ ـ القَتلُ والذَّبحُ والنَّشْرُ

---

(١) أي : أمرُ الله .

أَيَعْجَزُ رَبُّ الخَلْقِ عَنْ نَصرِ حِزْبِهِ
علىٰ غَيرِهِمْ؟! كَلّا، فَهذا هُوَ الكُفْرُ
وَكَمْ مُخْتَفٍ بَينَ الشِّعابِ وهارِبٍ
إلىٰ اللهِ في الأَجْبالِ يَألَفُهُ النَّسْرُ
فَهَلّا بَدا بَيْنَ الوَرىٰ مُتَحَمِّلاً
مَشَقَّةَ نُصْحِ الخَلْقِ مَنْ دَأْبُهُ الصَّبْرُ؟!
وإنْ كُنتَ في رَيبٍ لِطُولِ بَقائِهِ
فَهَلْ رابَكَ الدَّجّالُ والصالحُ الخِضْرُ؟!
أَيَرْضىٰ لَبِيبٌ أنْ يُعَمَّرَ كافِرٌ
وَيَأباهُ في باقٍ لِيُمْحىٰ بِهِ الكُفْرُ؟!

ومنها أيضاً:

فَدَعْ عَنكَ وَهْماً تِهْتَ في ظُلُماتِهِ
ولا يَرْتَضِيهِ العَبْدُ، كَلّا، وَلا الحُرُّ
وإنْ شِئتَ تَقْرِيبَ المَدىٰ فَلَرُبَّما
يَكِلُّ بِمَيْدانِ الجِيادِ بِكَ الفِكْرُ
فَمُذْ قادَنا هادي الدَليلِ بِما قَضىٰ
بِهِ العَقلُ والنَقلُ اليَقِينانِ والذِّكْرُ
إلىٰ عِصمَةِ الهادِينَ آلِ مُحمّدٍ
وأنَّهُمْ في عَصْرِهِمْ لَهُمُ الأمرُ

وقَد جاءَ فـي الآثـارِ عَـنْ كُـلِّ واحـدٍ
أحاديثُ يَعْيىٰ مِـنْ تَـواتِـرِها الحَـصْرُ

تُـــعَـــرِّفُـــنـــا آبـــنَ العَسكَـريِّ وأنّـه
هُـــوَ القـــائمُ المَـهديُّ والواتِـرُ الوِتْـرُ

تَـــبِعْنا هُـدىٰ الهـادي فَأَبْـلغنا المـدىٰ
بِـــنُورِ الهُـــدىٰ والحَـــمدُ للهِ والشُّكْـرُ

* * *

وله قصيدة عينية طويلة ذات معانٍ فلسفية عالية ، عارض بها عينية ابن سينا فى النفس ، التى مطلعها :

هَـبَطَتْ إليكَ مِـنْ المَـحَلِّ الأرفَـعِ
عَـــنْـــقـــاءَ ذاتَ تَـــعَـــزُّزٍ وَتَـــمَـــنُّعِ

فممّا قال فيها ـ قدّس الله نفسه الزكية ـ ردّاً عليه :

نَـعِمَتْ بِأنْ جـاءَتْ بِـخَلْقِ المُـبْدِعِ
ثُمَّ السَعادَةُ أنْ يَقولَ لَها : ﴿ ارجِعي ﴾

خُـلِقَتْ لِأَنـفَعِ غـايةٍ يـا لَـيْتَـها
تَـبِعَتْ سَـبيلَ الرُّشْـدِ نَـحْوَ الأَنـفَعِ

اللهُ سَـوّاهـا وألْـهَمَها فَـهَلْ تَـنْحُو
السَّـــبـــيـــلَ إلىٰ الـــمَـحَلِّ الأَرفَـعِ

نَـعِمَتْ بِـنَعْماءِ الوُجُـودِ وَنُـودِيَتْ
هـذا هُـداكِ ومـا تَشائي فاصنَعي

ودَعِـي الهَـوىٰ المُـرْدِي لِئلّا تَـهْبِطي
فـي الخُسْـرِ ذاتَ تَـوَجُّعٍ وتَـفَجُّعِ

إنْ شِـئْتِ فَـارتَـفِعي لِأَرفَـعِ ذُرْوَةٍ
وحَذارِ مِنْ دَرْكِ الحَضِيضِ الأَوضَعِ

إنَّ السَّـعادةَ والغِـنىٰ إنْ تَـقْنَعي
مَـوْفُورَةٌ لكِ، والشَّـقا إنْ تَـطْمَعي

* * *

وله قصيدة في ثامن شوّال سنة ١٣٤٣ هـ، وهو اليوم الذي هُدمت فيه قبور أئمّة الهدىٰ الأطهار عليهم السلام في البقيع من قبل الوهّابيّين، ومطلعها:

دَهـاكَ ثـامِنَ شَـوّالٍ بِـما دَهَـما
فَـحَقَّ لِـلْعَيْنِ إهْـمالُ الدُّمُـوعِ دَما

ومنها:

يَومَ الـبَقِيعِ لَقَدْ جَلَّتْ مُصِيبَتُهُ
وَشارَكَتْ فـي شَـجاها كَـرْبَلا عِظَما

* * *

وله ﷺ مراسلات شعرية وغير شعرية ـ علمية ووجدانيّة ـ جرت بينه وبين السيّد محسن الأمين العاملي ﷺ ، تنمُّ عن أدبه الجمّ وخلقه الرفيع السامي ، أوردها السيّد الأمين في : أعيان الشيعة ٤/٢٥٧ ـ ٢٦١ .

وله ـ رحمه الله رحمة واسعة ـ مراسلات شعرية أُخرىٰ جرت بينه وبين آخرين ، ومراثٍ وتهانٍ ، وأغراض شعرية غير ذلك ، مذكورة في أغلب المصادر التي ترجمت له .

تلامذته :

قد مرَّ ذِكر أسماء شيوخه وأساتذته ، أمّا من أخذ العلم عند الشيخ البلاغي ـ رضوان الله عليه ـ فهم عدد كبير من أعيان الطائفة وعلمائها المشهورين ، فمن جملة الّذين نهلوا من معين علمه وتخرّجوا علىٰ يده ، أو حضروا مجلس درسه ، أو رووا عنه :

١ ـ الشيخ مرتضىٰ المظاهري النجفي (ت ١٤١٤) .

٢ ـ السيّد أبو القاسم الموسوي الخوئي (ت ١٤١٣) .

٣ ـ السيّد شهاب الدين محمّد حسين الحسيني المرعشي النجفي (ت ١٤١١) .

٤ ـ الشيخ مجتبىٰ اللنكراني النجفي (ت ١٤٠٦) .

٥ ـ الشيخ ذبيح الله بن محمّد علي المحلّاتي (ت ١٤٠٥).

٦ ـ الشيخ محمّد رضا الطبسي النجفي (ت ١٤٠٥).

٧ ـ الشيخ محمّد المهدوي اللاهيجي (ت ١٤٠٣).

٨ ـ الشيخ نجم الدين جعفر العسكري (ت ١٣٩٧).

٩ ـ السيّد محمّد هادي الحسيني الميلاني (ت ١٣٩٥).

١٠ ـ الشيخ علي محمّد البروجردي (ت ١٣٩٥).

١١ ـ السيّد صدر الدين الجزائري (ت ١٣٩٤).

١٢ ـ السيّد محمّد صادق بحر العلوم (ت ١٣٩٠).

١٣ ـ الشيخ محمّد رضا آل فرج الله (ت ١٣٨٦).

١٤ ـ الشيخ محمّد علي الأُردوبادي (ت ١٣٨٠).

١٥ ـ الشيخ جعفر باقر آل محبوبة (ت ١٣٧٨).

١٦ ـ الميرزا محمّد علي التبريزي المدرّس (ت ١٣٧٣).

١٧ ـ الشيخ مهدي بن داود الحجّار (ت ١٣٥٨).

١٨ ـ الميرزا محمّد علي أديب الطهراني.

١٩ ـ الشيخ إبراهيم بن مهدي القريشي.

وفاته ومرقده ورثاؤه:

توفّي ـ نوَّر الله مرقده ـ بمرض ذات الجنب، ليلة الاثنين

٢٢ شعبان ١٣٥٢ هـ، الموافق ١٩٣٣/١٢/٩ م، وما أن انتشر خبر وفاته حتّىٰ ارتُجّت النجف الأشرف وهبّت تبكي هذا النجم المنكسف، الذي فُجع الإسلام بوفاته، وثُلم بموته الدين ثلمة لا يسدّها شيء، فشُيّع تشييعاً مهيباً يليق بمقامه، سار فيه آلاف من الجماهير يتقدّمهم عظماء المجتهدين وأساطين العلم والأدب، ودُفن في حجرة آل العاملي، وهي الحجرة الثالثة الجنوبية من طرف مغرب الصحن الشريف لمرقد أمير المؤمنين الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

ومن العجيب أنّ مطلع إحدىٰ قصائده ـ المذكورة آنفاً ـ في مدح الإمام الحجّة المنتظَر عليه السلام، في ذكرىٰ مولده السعيد المبارك، قوله:

حَيِّ شعبانَ فهو شهرٌ سعودي
وَغْدُ وَصْلي فيه وليلةُ عِيدي

فكان كما أجراه الله علىٰ لسانه، إذ وصل إلىٰ رحمة ربّه في شعبان، ففقد الدين أحد رجالاته، وخسر العلم رائداً من روّاده؛ تغمّده الله بواسع رحمته، وحَباه برضوانه الأكبر.

وقد رثاه أكابر العلماء والأُدباء بعيون الشعر الحزين الدامع، وكان في طليعتهم خاله العلّامة السيّد رضا الهندي رحمه الله في قصيدة رائعة ضمّنها بعض أسماء كتبه، ومطلعها:

إنْ تُـمْسِ فـي ظُـلَمِ اللُّـحُودِ مَـوَسَّدا
فَـلَـقَدْ أَضَـأْتَ بِـهِـنَّ (أنوار الهُـدىٰ)

وَلَـئِـنْ يُـفاجِـئْـكَ الـرَّدىٰ فَـلَطالَما
حـاوَلْـتَ إنـقـاذَ العِـبـادِ مِـنَ الـرَّدىٰ

هـذا مَـدىٰ تَـجْـري إلَـيـهِ فَـسـابِـقٌ
فـي يَـومِهِ أو لاحِـقٌ يَـمْضي غَـدا

قَـدْ كُـنْتُ أَهْـوىٰ أنّـني لَكَ سـابِقٌ
هَيْهاتَ قَدْ سَبَقَ (الجَوادُ) إلىٰ المَدىٰ

فَـلْـيَـنْـدُبِ (التَّـوْحيدُ) يَـوْمَ مَـماتِـهِ
سَـيْفاً عَلىٰ (التَّـثْلِـيثِ) كانَ مُـجَـرَّدا

وَلْـيَـبْـكِ دِيـنُ مُـحمّـدٍ لِـمُجاهِـدٍ
أَشْـجَـتْ رَزِيَّـتُـهُ النَّـبِـيَّ مُـحـمّـدا

وَلْـيُـجْـرِ أَدْمُـعَـهُ الـيَـراعُ لِكـاتِـبٍ
أَجـراهُ فـي جَـفْنِ الهِـدايـةِ مِـزْوَدا

وَجَـدَ الهُـدىٰ أَرِقاً فَـأَسْـهَـرَ جَـفْـنَـهُ
حِـرْصاً عَلىٰ جَـفْنِ الهُـدىٰ أنْ يَـرْقُدا

أَأُخَيَّ كَمْ نَـثَرَتْ يَداك مِنَ (الهُـدىٰ)
بَذْراً، فَـطِبْ نَـفْساً فَـزَرْعُكَ أَحْـصَدا

إنْ كُنتَ لَمْ تُعْقِبْ بَنِينَ فَكُلُّ مَنْ
يَهْدِيهِ رُشْدُكَ فَهْوَ مِنْكَ تَوَلَّدا

.. إلىٰ آخرها، وهي طويلة، وكلّها من هذا النمط العالي.

وله ﷺ قصيدة أُخرىٰ في رثائه ﷺ، وقد ضمّنها بعض أسماء كتبه كذلك، منها:

قَد خَصَّكَ الرحمٰنُ في (آلائِهِ)
فَدَعاكَ داعِيهِ لِدارِ لِقائِهِ

عَمَّتْ رَزِيَّتُكَ السَّما والأرضَ يا
داعي هُداهُ بأرضِهِ وَسَمائِهِ

يا مُحييَ الدِّينِ الحَنيفِ تَلافَهُ
فالدِّينُ أَوْشَكَ أنْ يَموتَ بِدائِهِ

أَوْقَدْتَ (أنوارَ الهُدىٰ) مِنْ بَعدِما
قَد جَدَّ أهلُ الكُفرِ في إطفائِهِ

وَرَفَعْتَ (للتَّوحيدِ) رايةَ باسِلٍ
رَدَّ الضَّلالَ مُنَكِّساً لِلِوائِهِ

يا بارِيَ القَلَمِ الذي إنْ يَجْرِ في
لَوْحٍ أَصابَ الشِّركَ حَتْمُ قَضائِهِ

ما السُّمْرُ تُشبِهُ مِنهُ حُسْنَ قِوامِهِ
كَلّا، ولا الأَسيافُ حَدَّ مَضائِهِ

عَـجباً لـهُ يُـمْلي بَـيانَكَ أَخْـرَساً
وتَـرىٰ الأَصَـمَّ مُـلَبِّياً لِـدُعائِهِ
هُـوَ مُـعْجِزٌ طَـوْراً ويَسْـحَرُ تـارةً
أهـلَ الحِـجىٰ إنْ شـاءَ فـي إنشـائِهِ

ورثاه العالم الأديب العلّامة الشيخ محمّد رضا المظفّر ﷺ في قصيدة مطلعها:

يا طَرْفُ جُدْ بِسَـوادِ العَيْنِ أوْ فَـذَرِ
ماذا آنتِفاعُكَ بَعْدَ الشَّمسِ بـالنَّظَرِ؟!

ومنهـا:

قَد كانَ كالبَدْرِ في لَيلِ الشَّتا وَمَضىٰ
كـالشَّمسِ مـعروفَـة بـالعَيْنِ والأَثَـرِ

وفي رثائه ـ كذلك ـ قال السيّد مسلم الحلّي قصيدة، منها هـذا البيت:

إنّـي أرىٰ المَـوتَ الـزُّؤامَ مُـمَثَّلاً
لِـلناسِ فِـعْلَ الـصَّيْرَفِ الـنَّقَّادِ

وقد أرّخ عام وفاته السيّد محمّد الحلّي بأبيات، فقال:

دُهِـيَ الإسـلامُ إذْ بِـهِ تَـداعـىٰ سُـورُهُ
وَشَـرْعُ طٰـهٰ أَسـفاً لَـمّا مَـضىٰ نَـصِيرُهُ
مُـذْ غـابَ أَرّخْتُ ألا غابَ (الهُدىٰ) و (نُورُهُ)

وقال أحد معارفه:

في ذِمّةِ اللهِ نَفْسٌ بالجِهادِ قَضَتْ
فكانَ آخرَ شيءٍ فارَقَتْ قَلَمُ

ورثاه الشيخ محمّد تقي الفقيه ـ أحد علماء جبل عامل ـ بمرثية، منها:

أَفْنَيْتَ نَفْسَكَ بالجِهادِ وطالَما
بِدِمائِها رَوّىٰ اليَراعَ الظامي
حتّىٰ تَراءَتْ في الجِنان مَهِيضَةً
هَتَفَ الملائِكةُ: «آدخُلِي بِسلامِ»

ومنها:

صَيَّرْتَ قَلبَكَ شَمعةً وحَمَلْتَهُ
ضَوْءاً أمامَ الدِّينِ للإعْظامِ
فَأَذَبْتَهُ فإذا المَدامِعُ أسطُرٌ
والنورُ مَعناها البَديعُ السامي

ورثاه الشيخ محمّد علي اليعقوبي رحمه الله بقصيدة مطلعها:

سَلُوا قُبّةَ الإسلامِ ماذا أَمادَها؟!
متىٰ قَوَّضَتْ منها الليالي عِمادَها

وقد أحسن أحد الأُدباء فخاطبه في رثائه قائلاً:

زَوَّدْتَ نَـفْسَكَ فـي حـياتِكَ زادَهـا
تَـــقـوىٰ الإلٰـهِ وذاكَ خَـيرُ الـزادِ

ووصفه أحد البارعين فقال:

تَـحَلَّىٰ بِـهِ جِـيْدُ الزَّمـانِ وأَصـبَحَتْ
تُـزانُ بـهَ الدُّنـيا وتَـزْهُو الصَّـحائِفُ

ورثاه كذلك كلٌّ من السـيّد محمـود الحبّوبي ومـحمّـد صالح الجعفري والشـيخ محمّـد علي الأُردوبادي، وغيرهم.

مؤلّـفاتـه[1]:

نمّق يراعه المبارك كثيراً من الكتب والرسـائل فـي شـتّىٰ المعارف والعلوم، خلّفها آثاراً تهتدي بها الأجيال، وتحتجّ بـها الأبطال، فمن جاء بـعده كـانوا عـيالاً عـليه، والكـلّ فـي ذلك يشـيرون إليه، وقد حُرمنا فائدة بعضها الذي لم يُطبع، وأمّا ما طُـبع، فـقد نـفدت نسـخه حـتّىٰ كـادت أن تـلحق بـنفائس المخطوطات، وهذا دليل علىٰ فائدته الجُلّىٰ، عسىٰ الله تعالىٰ أن يقيّض ويـوفّق مَـن يـعثر عـلىٰ غـير المـطبوع فـيحييه، وعـلىٰ المطبوع فينشـره.

---

(١) لقد فصّلتُ القول عن خصائص مؤلّفاته ﷺ وطبعاتها في مقدِّمة تحقيقي لكتابه «نصائح الهدىٰ والدين»، ص ١٣ ـ ٢١؛ فراجع!

وفي ما يلي مسرد لأسماء ما صنّفه من كتب ورسائل :

١ ـ آلاء الرحمٰن في تفسير القرآن .

٢ ـ رسالة في تكذيب رواية التفسير المنسوب إلىٰ الإمام الحسن العسكري عليه السلام .

٣ ـ الوجيز في معرفة الكتاب العزيز .

٤ ـ الهدىٰ إلىٰ دين المصطفىٰ .

٥ ـ الرِحلة المدرسية ، أو : المدرسة السيّارة .

٦ ـ داعي الإسلام وداعي النصارىٰ .

٧ ـ رسالة في الردّ علىٰ جرجيس سايل وهاشم العربي .

٨ ـ رسالة في الردّ علىٰ كتاب « ينابيع الإسلام» .

٩ ـ رسالة في الردّ علىٰ كتاب «تعليم العلماء» .

١٠ ـ رسالة في ردّ أوراق وردت من لبنان .

١١ ـ عَمّانوئيل .

١٢ ـ المسيح والأناجيل .

١٣ ـ التوحيد والتثليث .

١٤ ـ أعاجيب الأكاذيب .

١٥ ـ داروين وأصحابه .

١٦ ـ نور الهدىٰ .

١٧ ـ أنوار الهدىٰ .

١٨ ـ مسألة في البَداء .

١٩ ـ نسمات الهدىٰ ونفحات المهديّ .

٢٠ ـ البلاغ المبين .

٢١ ـ الردّ علىٰ الوهّابية .

٢٢ ـ دعوة الهدىٰ إلىٰ الورع في الأفعال والفتوىٰ .

٢٣ ـ أجوبة المسائل البغدادية .

٢٤ ـ أجوبة المسائل الحلّيّة .

٢٥ ـ أجوبة المسائل التبريزية .

٢٦ ـ الشهاب .

٢٧ ـ مصابيح الهدىٰ ، أو : المصابيح في بعض من أبدع في الدين في القرن الثالث عشر .

٢٨ ـ نصائح الهدىٰ ، أو : نصائح الهدىٰ والدين إلىٰ من كان مسلماً وصار بابيّاً .

٢٩ ـ رسالة في عدم تزويج أُمّ كلثوم .

٣٠ ـ العقود المفصّلة في حلّ المسائل المشكلة .

وهي ١٤ عقداً في الفقه وأُصوله ، وهي :

أ ـ رسالة في العلم الإجمالي (أُصول الفقه) .

ب ـ رسالة قاعدة علىٰ اليد ما أخذت (أُصول الفقه) .

ج ـ رسالة في تنجيس المتنجّس .

د ـ رسالة في اللباس المشكوك.

هـ ـ رسالة في ذبائح أهل الكتاب.

و ـ رسالة في ضبط الكُرّ.

ز ـ رسالة في ماء الغُسالة.

ح ـ رسالة في حرمة مسّ المصحف علىٰ المُحْدِث.

ط ـ رسالة في إقرار المريض.

ي ـ رسالة في منجّزات المريض.

ك ـ رسالة في مواقيت الإحرام.

ل ـ رسالة في القِبلة وتعيين مواقع البلدان المهمّة في العالم من مكّة المكرّمة بحسب الاختلاف في خطوط الطول والعرض (علم الهيئة).

م ـ رسالة في إلزام غير الإمامي بأحكام نحلته (أُصول الفقه).

ن ـ رسالة في الرضاع.

٣١ ـ رسالة أُخرىٰ في فروع الرضاع علىٰ مذهب الإمامية والمذاهب الأربعة.

٣٢ ـ رسالة في وضوء الإمامية وصلاتهم وصومهم.

٣٣ ـ رسالة في الخيارات.

٣٤ ـ رسالة في التقليد.

٣٥ ـ رسالة في صلاة الجمعة لمن سافر بعد الزوال.

٣٦ ـ رسالة في بطلان العول والتعصيب.

٣٧ ـ رسالة في حرمة حلق اللحية.

٣٨ ـ تعليقة علىٰ «العروة الوثقىٰ» للسيّد محمّد كاظم اليزدي (ت ١٣٣٧).

٣٩ ـ تعليقة علىٰ مباحث كتاب البيع من كتاب «المكاسب» للشيخ الأنصاري (ت ١٢٨١).

٤٠ ـ تعليقة علىٰ كتاب الشفعة من كتاب «جواهر الكلام» للشيخ محمّد حسن النجفي (ت ١٢٦٦).

٤١ ـ رسالة في الأوامر والنواهي (أُصول الفقه).

٤٢ ـ كتاب في الاحتجاج لكلّ ما آنفردت به الإمامية بما جاء من الأحاديث في كتب غيرهم (فقه مقارن).

٤٣ ـ إلزام المتديّن بأحكام دينه.

خصائص الرسائل الأربعة:

أمّا تفصيل الكلام علىٰ خصائص وطبعات كلّ واحدة من هذه الرسائل الأربعة، فنضعه بين يدي القارئ الكريم؛ ذلك ليتبيّن مدىٰ نفاستها وخطورتها والغاية من إعادة العمل عليها ونشرها:

١ ـ مسألة في البداء

من المعلوم الواضح ما للأُمور العقائدية من دور خطير في بناء فكر الفرد المؤمن وعقيدته، ويستتبعها وجوده المميَّز من خلال المواقف التي يتّخذها كلّ يوم في خضمّ التيّارات والاتّجاهات الفكرية المختلفة التي تسود العالَم اليوم.

ومن تلك الأُمور التي امتازت بها الإمامية عن غيرها ـ تبعاً لكتاب الله وسُنّة رسوله الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الأطهار عليهم السلام ـ هو القول بالبَداء..

ممّا جعل الفرق التي لم تتّخذ مذهب أهل البيت عليهم السلام منهجاً لها، جعلها تشنِّع على الشيعة الإمامية عقيدتهم هذه، تجاهلاً منها أو جهلاً بأدلّتهم عليها.

ولو أنّهم كلّفوا أنفسهم جهداً قليلاً، وبحثوا في ما كتبه علماء الإمامية في البَداء ومفهومه، بروح علمية حيادية، لوجدوا أنّ الحقّ مع الإمامية دونهم.

ولذلك بادر علماء الإمامية للردّ على افتراءات المفترين وشبهات المبطلين، فأَوْدعوا موسوعاتهم الحديثية ما ورد في البَداء من روايات عن العترة الطاهرة عليهم السلام، وكتبوا فيه فصولاً

ومباحث خاصّة في كتبهم الكلامية والعقائدية وغيرها، كما أفردوا له كتباً ورسائل برأسها، فلا يكاد يخلو أيّ كتاب أُلِّف في العقائد أو الكلام ـ وربّما في غيرهما ـ من البحث في البَداء[1].

فقد أحصىٰ الشيخ آقا بزرك الطهراني ﷺ في موسوعته القيّمة «الذريعة إلىٰ تصانيف الشيعة» نحو ٣٠ كتاباً أو رسالة مستقلّة صُنّفت في هذا المجال، توضيحاً لمفهومه العقائدي وما المراد منه، أو دفاعاً عن الاعتقاد به، وردّاً للشكوك والشبهات المحاكة حوله[2].

وإذا أضفنا إلىٰ ما تقدّم كتباً ورسائل أُخرىٰ قد أُلِّفت في نفس الموضوع، في الفترة التي تلت إتمام تأليف «الذريعة»، أو

---

(١) فعن الإمام أبي عبدالله الصادق ﷺ أنّه قال: **«لو عَلِمَ الناسُ ما في القول بالبَداء من الأجر ما فَتَروا عن الكلام فيه»**.
الكافي ١/ ١١٥ ح ١٢، التوحيد: ٣٣٤ ح ٧.
أقول: ومن ثمرات هذا الحديث: عدم القنوط واليأس من رَوح الله تعالىٰ ورحمته، وهو مناط الخوف والرجاء؛ لأنّ ذلك يؤصّل في العبد عقيدته في التضرّع والدعاء والسعي في أُمور المعاش والمعاد، والاستزادة من أعمال الخير واجتناب الشرور رجاء الأجر والثواب من عند الله سبحانه.
أنظر: مرآة العقول ٢/ ١٤١ ح ١٣.

(٢) أنظر: الذريعة ٣/ ٥١ ـ ٥٧ رقم ١٣١ ـ ١٥١ وج ١١/ ١٢٧ رقم ٧٩٠ وج ٢٦/ ٨٧ رقم ٤١٩.

ممّا فات الشيخَ الطهراني تسجيله فيها، لكان العدد المحصىٰ أكبر من هذا.

أمّا إذا حاولنا استقصاء ما كُتب عن البَداء ـ كفصول وبحوث ـ ضمن الكتب المختلفة، لَكان إحصاء ذلك أمراً عسيراً.

من ذلك كلّه يظهر مدىٰ عناية علمائنا بمفهوم البَداء؛ لدقّة مطلبه وحسّاسيّته وخطورته، وهذا ما سيتّضح من هذه الرسالة إن شاء الله.

أمّا هذه الرسالة..

فهي من أفضل ما كُتب في «البَداء»، فهي بعيدةٌ عن الاختصار المخلّ، والتطويل المملّ، وهي علىٰ قصرها فيها غنىً للباحث عن الحقّ عن غيرها، ممّا يثبت ويؤكّد منزلة المؤلّف العلمية السامية، فقد كُتبت بأُسلوب واضح جليّ، وسبك قويّ، وبُنيت علىٰ استدلال جميل ظاهر، ولم تشحن بالاصطلاحات العلمية والتعبيرات الغامضة التي لا يفهمها الكثيرون، وقد استقصىٰ المؤلّف ﷺ فيها كلّ جوانب المسألة، ولم يترك تساؤلاً إلّا وأجاب عنه بالدليل القويّ الرصين.

وكان قد حرّرها ﷺ جواباً عن استفسار ورد إليه عن

البَـداء ، فأحسـن وأجاد .

وقد أحال فيها المؤلّف ﷺ علىٰ كتابه «نصائح الهدىٰ»[1] ، الذي ألّفه ردّاً علىٰ البابية والبهائية ودحض شـبهاتهم ، أحال فيها علىٰ بعض الروايات التي تتضمّن النـصّ عـلىٰ إمـامة الإمـامين موسىٰ الكـاظم والحسـن العسكـري عليهما السلام فـي جـملة الأئـمّـة الأطهـار عليهم السلام ، بنحو الإشارة إليهـا .

طبعات الرسالة :

كانت قد نُشرت لأوّل مرّة في أواسط الخمسـينيات مـن القرن الميلادي المنصرم ، باسم : «مسألة في البَـداء» ، في آخر المجموعة الرابعة من سلسلة «نفائس المخطوطات» ، التي كـان يصدرها في بغداد الشيخ محمّـد حسـن آل ياسـين حفظه الله .

فأعدتُ العمل عليها بما يناسـب عصرنا الحاضر ، وطُبعت في قم سـنة ١٤١٤ هـ ، بقياس ٢١/٥ × ١٤/٥ سم ، ضمن كتيّب «رسـالتان في البَـداء» ، وألحقتُ بهـا «البَـداء فـي التكـوين»

---

(١) آنظر الصفحة ٧٤ ـ ٧٥ من هذه المجمـوعة .

وقد قمتُ بتحقيق هذا السفر القيّم ، وصدر بطبعتين ؛ الأُولىٰ في قم عن دار «دليل ما» سنة ١٤٢٣ هـ ، والثـانية طـبعة مـصحّحة مـنقّحة مزيدة ، امتازت علىٰ الطبعة الأُولىٰ بذلك ، صدرت في بيروت عن دار «المحجّة البيضاء» سنة ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣ م .

لآية الله العظمىٰ السيّد الخوئي ﷺ ، وهو أحد فصول كتابه القيّم «البيان في تفسير القرآن» ، كنت قد استللته منه ؛ لقوّة عرضه ودقّة بيانه وحُسن أُسلوبه ، والذي يعدّ ـ هو الآخر ـ من أفضل ما كُتب في هذا الموضوع ، فجاءت الرسالتان من أدقّ وأفضل ما كُتب في بابه .

ثمّ أعدتُ العمل عليها ، فصحّحتُ ما وقع في تلك من أغلاط مطبعية ، وأضفت لها تعليقات نافعة مفيدة ، وجمعتها مع أخوات لها ضمن مجموعة نفيسة من رسائل الشيخ البلاغي ﷺ ، فكانت هذه الطبعة التي بين يديك عزيزي القارئ .

* * *

٢ ـ نسمات الهدىٰ ونفحات المهديّ

وقد ردّ الشيخ البلاغي ﷺ في رسالته هذه علىٰ افتراءات وشبهات الدكتور زكي نجيب محمود المصري، التي طعن بها علىٰ عقائد الشيعة الإمامية الاثني عشرية، ولم تك تلك الافتراءات والشبهات وليدة يومها، أو من بنات أفكاره، فما كانت إلّا صدىً لِما تقوّله مَن سبقه مِن المعاندين المكابرين.. فكشف بذلك عن سوء سريرته، وخبث طويّته، وجرأته علىٰ كيل التهم بدون حقّ أو أثارة من علم.

إذ أثار في مقالٍ كتبه قضية الاعتقاد بالإمام المهديّ عليه السلام، وسرداب الغَيبة، وقيام الإمام الحسين عليه السلام بوجه الظلم، والإمامة عند الشيعة، وعبدالله بن سبأ..

فردّها المصنّف ﷺ بالأدلّة والبراهين القوية، معتمداً في ذلك علىٰ ما ورد في أُمّهات مصادر أهل السُنّة، في ما يخصّ الأُمور المشتركة، كيما تكون الحجج ألزم وأدعىٰ للقبول.. فيما عضّد ذلك بما ورد من طرق الشيعة.

وفي ما عدا ذلك فقد اعتمد ـ كعادته ـ علىٰ الحوار العقلي العلمي بأدبٍ جمٍّ وخُلق رفيع.

وقد أحال فيها المؤلّف ﷺ على كتابه «نصائح الهدىٰ»، على ما أورده فيه من الروايات المصرّحة أو المعيّنة بأنّ الإمام المهديّ عليه السلام هو الابن الصلبي للإمام الحسن العسكري عليه السلام (١).

وكعادة الشيخ البلاغي ﷺ في تصانيفه فإنّه لم ينهِ الرسالة باسمه الصريح، وإنّما أنهاها بتوقيع: (ب)، إشارة إلىٰ لقبه.

طبعات الرسالة:

طُبعت هذه الرسالة لأوّل مرّة في مجلّة «العرفان» اللبنانية، المجلّد ١٨، الجزءين الأوّل والثاني، شهرَي ربيع الأوّل والآخر ١٣٤٨ هـ/ آب وأيلول ١٩٢٩ م، قسم المراسلة والمناظرة، ص ١٩٥ ـ ٢٠٢.

وقد قمتُ بتحقيقها اعتماداً على طبعتها الأُولىٰ تلك، وصدرت في قم وبيروت، عن مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، في مجلّة «تراثنا»، العدد ٦٥، السنة ١٧، شهر المحرّم ١٤٢٢ هـ.

ثمّ قمتُ بتصحيح ما وقع فيها من أخطاء في طبعتها المحقّقة الأُولىٰ، وطُبعت ثانية سنة ١٤٢٤ هـ، بقياس ٢٠ × ١٤/٥ سم، خالية من اسم الناشر ومكان الطبع.

---

(١) آنظر الصفحة ١٠١ من هذا الكتاب.

وهذه التي بين يديك ـ عزيزي القارئ ـ هي طبعتها الثالثة ، وقد امتازت على سابقتيها بتصحيحٍ وتنقيحٍ وزيادةِ تعليقات وتوضيحات نافعة .

* * *

٣ ـ البلاغ المبين

وهذا أثر آخر من آثار العلّامة الحجّة الشيخ البلاغي قدس سره ، قد اتّبع فيه أُسلوباً جديداً لإيصال مفهوم العبودية لله تعالىٰ والغاية من خلق البشر والمسؤوليّات المترتّبة عليهم ، وجعله محاورة بين شخصين جمعتهما رفقة سفرٍ ، هما : (عبدالله) و (رمزي) ؛ ثمّ أنهىٰ كتابه ـ كعادته ـ بتوقيعِ اسمٍ مستعار ، هو : عبدالله .

فجاء الكتاب علىٰ نسق الحواريّات كما هو الحال في الأدب الروائي .. ذلك الأُسلوب الذي يستهوي جيل الشباب ويغريهم بمتابعة القراءة في عصرٍ ثقل فيه علىٰ النفوس قراءة الكتب ومطالعتها للاستزادة من شتّىٰ حقول العلم والمعرفة والفكر ، فأبقتها رهينة الرفوف والمكتبات ، وسهل عليها الركض وراء ما لا ينفعها ولا يغنيها ، حتّىٰ غدت البشرية تموج في فراغ فكري هائل أوردها المهالك ..

﴿ ولو أنّ أهل القرىٰ آمنوا واتّقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ﴾[1] .

---

(١) سورة الأعراف ٧ : ٩٦ .

وفي الحوار الدائر بين شخصيّتَي الكتاب، يضرب الشيخ البلاغي ﷺ الأمثال، ويورد الحجج العقلية لإثبات الخالق الصانع سبحانه، ووجوب عبادته، وإطاعة أوامره، وشكر نعمته.

وقد ذكره له الشيخ آقا بزرك الطهراني ﷺ في كتابه وقال عنه: «البلاغ المبين: في إثبات الصانع تعالىٰ بالطرز الحديث المأنوس للأذهان الصافية... وهو كسائر تصانيفه باكورةً في مواضيعه»[1].

علماً بأنّ من الأمثلة التي أوردها الشيخ البلاغي ﷺ التي عُدّت يوم تأليف الكتاب ونشره ـ قبل أكثر من سبعين عاماً ـ من المخترعات الجديدة والمستحدَثات التي ينبغي إعمال الفكر فيها وآستلهام العِبر منها.. في حين أنّها تُعدّ اليوم من المألوفات التي لا يُلتفت إليها..

كما أنّه ﷺ ضرب أمثلة لم يكن يقصد بها الانتقاص من قومٍ أو الإهانة لملّة، وإنّما جرت منه مجرىٰ الحكايات التي تُستلهم منها الدروس والعِبر.

فتبرز هنا منزلة هذا الكتاب الذي ينبّه العقل الإنساني لإعمال فكره ونظره في كلّ ما حوله، قديمه وجديده، للوصول إلىٰ الغاية المنشودة.

---

(١) الذريعة ٣/ ١٤٠ رقم ٤٨١.

طبعات الكتاب :

طُبع هذا الكتاب لأوّل مرّة في مطبعة الآداب ببغداد سنة ١٣٤٨ هـ، في ٤٧ صفحة، بقياس ١٧ × ١٠ سم، بتصحيح السيّد عبد المطّلب الحسيني الهاشمي، صاحب مجلّة «الهدىٰ» التي كانت تصدر في مدينة العِمارة العراقية.

فعملتُ علىٰ تصحيحه وإعداده بشكل يناسب أفهام هذا العصر، وأنهيت عملي فيه في ذكرىٰ مولد سيّد شباب أهل الجنّة، سبط الرسول وريحانته، الإمام أبي محمّد الحسن المجتبىٰ عليه السلام، في ١٥ شهر رمضان ١٤٢١ هـ، إلّا أنّه لم يقدّر له أن يرىٰ النور إلّا ضمن هذه المجموعة، فكانت هذه الطبعة هي الأُولىٰ المحقّقة لهذا الكتاب، مع أخواته الثلاث الأُخرىٰ.

* * *

٤ ـ الردّ على الوهّابية

منذ ظهور الفرقة الضالّة المضلّة (الوهّابية) وحتّىٰ أيّامنا هذه بادر علماء الإسلام علىٰ مختلف مذاهبهم، فكتبوا في ردّهم ودحض أباطيلهم وشبهاتهم كتباً ورسائل كثيرة[1]، كان فيها الردّ الحاسم القاطع في وجه الوهّابية، فانحصر وجودهم في مهد ظهورهم أرض الحجاز.

وما استمرّ وجود الوهّابية في أرض الحجاز إلّا بقوّة الحديد والنار؛ إذ لم يستطيعوا أن يقارعوا الآخرين بالحجّة والبرهان، إلّا أنّ نشاطها الهدّام ونفث سمومها وأباطيلها وشبهاتها لا يزال مستمرّاً، بعد أن لفظتهم المذاهب الإسلامية كافّة، لمخالفتها الفطرة السليمة والأُسس الإسلامية الصحيحة، فكان نفاذهم المستشري في أصقاع العالم الأُخرىٰ مبنيّاً علىٰ

---

(١) آنظر مقال: «معجم ما ألّفه علماء الأُمّة الإسلامية للردّ علىٰ خرافات الدعوة الوهّابية» للسيّد عبدالله محمّد عليّ، المنشور في مجلّة «تراثنا»، العدد ١٧، السنة ٤، شوّال ١٤٠٩ هـ، ص ١٤٦ ـ ١٧٨، فقد أحصىٰ فيه أكثر من ٢٠٠ كتاب ورسالة في الردّ علىٰ الوهّابية، لعلماء المذاهب الإسلامية المختلفة.

ولو أضفنا إلىٰ ذلك ما صدر في هذا الباب منذ ذلك التاريخ إلىٰ يومنا هذا، لقاربت الردود عليهم الثلاثمئة مصنّف!

انتحال أسماء أُخرىٰ لحركتها المتزمّتة، وبذل الأموال الطائلة تحت عناوين ومسمّيات كثيرة وبأساليب عديدة.

لذلك كلّه رأيت من المناسب أن أُحيي رسالة في الردّ عليهم، فاخترت هذه الرسالة القيّمة، التي هي رسالة صغيرة الحجم، كبيرة المحتوىٰ، فهي بعيدة عن التطويل المملّ أو الاختصار المخلّ، وقد اشتملت علىٰ جُلّ المباحث اللازمة في الردّ علىٰ الوهّابية، وامتازت ـ بالرغم من صغر حجمها، وكبقية رسائل الشيخ البلاغي ﷺ ـ بإيفاء الموضوع حقّه، بالحجّة القاطعة، والدليل النقلي القوي، والبرهان العقلي المقنع؛ فقد اعتمد المؤلّف ﷺ علىٰ أُمّهات المصادر المعتمدة لدىٰ عامّة المسلمين، لدحض شبهات هذه الفرقة الضالّة، وإثبات مراده، مضافاً إلىٰ ذلك دماثة الأخلاق والأدب الرفيع في المناقشة والمناظرة.

هذه الرسالة..

لقد ذكر أغلب المترجِمين للعلّامة البلاغي ﷺ أنّ له رسالتين اثنتين مطبوعتين في ردّ الوهّابية.

فقد ذكر الشيخ آقا بزرك الطهراني ﷺ رسالة بعنوان: «دعوىٰ الهدىٰ...» التي أوردناها آنفاً برقم ٢٢ بعنوان «دعوة

الهدى...»، ذكرها في الذريعة ٢٠٦/٨ رقم ٨٤٣، وذكر أنّها مطبوعة في سنة ١٣٤٤ هـ، كما ذكر الرسالة الثانية ـ التي أوردناها آنفاً برقم ٢١ ـ في الذريعة ٢٣٦/١٠ رقم ٧٤٠ وقال: «رأيته بخطّه في كتبه في النجف»، ولم ينوّه بأنّها طُبعت فيما بعد أو لا.

ثمّ ذكرهما أيضاً في نقباء البشر في القرن الرابع عشر ٣٢٥/١ ضمن تعداده لكتب الشيخ البلاغي المطبوعة، ولم يصرّح باسم الرسالة الأُولىٰ أو بتاريخ طبع الرسالتين أو إحداهما.

وذكرهما له أيضاً السيّد محسن الأمين العاملي ﵀ في أعيان الشيعة ٢٥٦/٤ بالرقمين ١٢ و ١٣، ولم يصرّح بعنوان خاصّ لإحداهما أو بتاريخ طبعهما.

كما ذكرهما له الأُستاذ المحامي توفيق الفكيكي ﵀ ضمن مؤلّفاته المطبوعة، في مقدِّمته للطبعة الثانية من كتاب «الهدىٰ إلىٰ دين المصطفىٰ»، ص ١٣، بالتسلسلين ٩ و ١٠، ولم يصرّح بعنوان خاصّ لإحداهما أو بتاريخ طبعهما كذلك.

وذكرهما ـ كذلك ـ كوركيس عوّاد في معجم المؤلّفين العراقيّين ١٢٤/٣ بالرقمين ١٠ و ١١، ولم يصرّح بعنوان خاصّ لإحداهما أو بتاريخ طبعهما هو الآخر.

أمّا الرسالة الأُولىٰ، وهي «دعوة الهدىٰ إلىٰ الورع في الأفعال والفتوىٰ»، المطبوعة في النجف الأشرف سنة ١٣٤٤ هـ، طبعة حروفية، فقد حقّقها سماحة السيّد محمّد عبد الحكيم الموسوي الصافي حفظه الله، وصدرت في بيروت عن دار المحجّة البيضاء، سنة ١٤٢٠ هـ/ ٢٠٠٠ م، ضمن سلسلة «عقائدنا»، برقم ٤.

وأمّا الرسالة هذه، فقد عثرتُ علىٰ ثلاث نسخ منها بعد جهد جهيد، وكانت جميعها خالية من اسم الرسالة والمؤلّف، تتألّف من ٤٥ صفحة، ومطبوعة علىٰ الحجر في النجف الأشرف، وكان الفراغ منها في ليلة ١٤ ربيع الأوّل سنة ١٣٤٥ هـ.

وبقرائن: زمانَي التأليف والطبع ومكانَيهما، وعدم ذِكر اسم المؤلّف[1]، بل ذُكر في الإنهاء اسم مستعار هو (عبد الله)، وقوّة العرض والاستدلال بالرغم من صغر الرسالة، وأدب المؤلّف وأخلاقه في المحاججة والنقاش، وكلّ ما يُعبَّر عنه بـ: نَفَس المؤلّف وأُسلوبه في التصنيف والتأليف...

---

(١) كما هو المعتاد في أكثر كتبه، مثل: «الهدىٰ إلىٰ دين المصطفىٰ» في طبعته الأُولىٰ، و«التوحيد والتثليث»، و«أعاجيب الأكاذيب» وكان قد أنهاه بتوقيع: عبد الله العربي، و«أنوار الهدىٰ» وقد وضع عنوان المراسلة معه علىٰ الصفحة الأُولىٰ باسم: كاتب الهدىٰ النجفي، و«الردّ علىٰ الوهّابية» وأنهاه بتوقيع: عبد الله؛ وغيرها.

بقرينة كلّ ذلك أمكنني الجزم أنّ رسالتنا هذه هي الرسالة الثانية التي نمّقهما يراع المؤلّف ﷺ في هذا المجال.

طبعات الرسالة:

فعملتُ بعد ذلك كلّه على تصحيحها وتحقيقها وإعدادها، وطُبعت أوّلاً في قم وبيروت، في مجلّة «تراثنا»، الصادرة عن مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، في العدد المزدوج ٣٥ ـ ٣٦، السنة ٩، شهر رمضان ١٤١٤ هـ.

ثمّ صدرت ثانية مستقلّة عن مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، في كلٍّ من قم وبيروت، بعد إضافة مجموعة من الفهارس الفنّية إليها، وذلك في سنتَي ١٤١٦ و ١٤١٩، ضمن سلسلة «ذخائر تراثنا»، برقم ٦.

وأُعيد طبعها ثالثة بصفٍّ جديد، بحجم صغير، بقياس ١٦/٥ × ١١/٥ سم، تحت عنوان: «الوهّابية وأُصول الاعتقاد»، ضمن سلسلة «على مائدة الكتاب والسُنّة»، برقم ١٧، وصدرت خلـيّـةً من اسم الناشر ومكان الطبع وزمانه!

ثمّ أعدتُ تصحيحها وتنقيحها، وأضفت لها تخريجات كثيرة وتعليقات نافعة مفيدة، وجعلتها إحدىٰ رسائل هذه المجموعة النفيسة، فكانت هذه طبعة رابعة لها.

منهج العمل في هذه الرسائل

بالرغم من أنّ هذه الرسائل الأربعة قد بحثت مطالب علمية مختلفة، إلّا أنّني اتّبعت في عملي بها أُسلوباً شمل الرسائل كلّها بإطاره العامّ، إلّا في بعض النواحي الفنّية التي فرضتها طبيعة الكتاب أو الرسالة وخصائصه، فكانت مراحل العمل كما يلي:

١ ـ قمتُ بتقطيع النصّ وتوزيعه بالاستفادة من علامات الترقيم الحديثة، كيما يناسب أُسلوب العصر الحاضر، وإظهار المطالب بشكل واضح يسهل معه علىٰ القارئ متابعتها.

٢ ـ خرّجتُ الآيات الكريمة، وكذا الأحاديث والروايات الشريفة وبقيّة المطالب الواردة في الكتاب اعتماداً علىٰ مصادرها الأصلية التي نقل عنها الشيخ البلاغي ﷺ قدر المستطاع..

ففي كلّ حديث أورده المؤلّف ﷺ من مصادر أهل السُنّة قمتُ بتخريجه عن مصادره الأصلية، فإنْ عُدِمْتُ المصدر الأصلي ـ إمّا لعدم عثوري علىٰ المصدر، أو لعدم عثوري علىٰ الحديث في المصدر المشار إليه، أو لأنّ المؤلّف ﷺ كان قد نقل الحديث بالواسطة ـ، فإنّي أضفت إلىٰ ذلك المصادرَ التي

صرّحت بنقل الحديث عن تلك المصادرِ الأصليةِ..

وربّما خرّجت على مصادر أُخرىٰ، عضَّدتُ بها التخريجات الأساسية، إمعاناً في إقامة الحجّة وتوكيدها، وكذا إذا تطلّب المقام التوسّع والإكثار في التخريج.

ولم أُعْنَ بالاختلافات البسيطة والطفيفة والجزئية الواردة في نصوص الأحاديث..

ولم أُشِر في الهامش إلّا إلىٰ ما كان منها ذا تأثير علىٰ المعنىٰ، أو ما كان منها اختلافاً ضرورياً؛ فلم أُشِر إلىٰ تقديم كلمة علىٰ أُخرىٰ، أو جملة علىٰ أُختها، أو ما نقله الشيخ البلاغي ﷺ بالمعنىٰ أو مختصراً.

٣ ـ أدرجت في الهامش التعليقات الضرورية، توضيحاً وشرحاً لبعض مطالب الكتاب وكلمات المتن.

٤ ـ أصلحت الأغلاط الإملائية والطباعية، التي لا تخلو منها أيّة طبعة لأيّ كتاب، ولا سيّما إذا كانت طبعة حجرية، ولم أُشر إلىٰ ذلك إلّا في موضعين من رسالة «الردّ علىٰ الوهّابية».

وربّما أورد العلّامة البلاغي ﷺ استخداماً لغوياً نادراً، فلم أُشِر إلىٰ ذلك؛ لصحّته وإنْ كان ضعيفاً.

٥ ـ كما لم أُشِر في الهامش لِما وضعته بين القوسين المعقوفتين [ ]، لوضوح المراد منه، وإنّما هو أحد ثلاثة:

* إمّا عنوان رئيس وضعته في أوائل الفقرات أو المطالب أو أوائل الفصول، زيادة في توضيح مطالبها، وسهولة تمييزها عن بعضها بعضاً..

* أو إضافة من المصدر المنقول عنه تتميماً لنسق المطلب، ربّما سقطت أثناء الطبع من الطبعات الأصل..

* أو زيادة من عند نفسي يقتضيها السياق، ربّما كانت مثبتة في الأصل لكنّها سقطت أثناء الطبع كذلك..

فجاءت الرسائل الأربعة هذه ـ بحمد الله ـ مُعَدّةً إعداداً طَويتُ فيه عدّةً من مراحل التحقيق بما مكنّي فيه ربّي ممّا أنعم عليَّ بـه..

شكر لا بُدّ منه:

لا يسعني وأنا أُقدِّم هذه الآثار النفيسة إلىٰ الملأ العلمي إلّا أن أُسدي الشكر الجزيل إلىٰ كلّ من أعان وأسدىٰ إليَّ معروفاً، لإخراجها بأفضل صورة ممكنة، ولا سيّما مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث/ فرع دمشق، والإخوة منتسبيها؛ لِما بذلوه من جهد طيّب محمود.

وفّق الله الجميع لخدمة دينه الحنيف، ومراضيه، وإحياء أمر أهل البيت عليهم السلام، وبثّ علومهم، ونشر معارفهم.

وكلمة أخيرة لا بُدّ منها :

فأنا لا أدّعي كمالاً في عملي هذا ، فما كان إلّا في خدمة الدين والدفاع عنه ابتغاء غفران الله جلَّ وعلا ورضوانه ، وما هو إلّا من منّه وفضله وتوفيقه ، وإنْ هو إلّا صفحات أعددتها ليوم فقري وفاقتي ، ويوم لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً ، أرفعها إلىٰ مقام مَن هو أَوْلىٰ بنا مِن أنفسنا ، سيّدنا ومولانا وإمامنا صاحب الزمان عليه السلام ، مشفوعةً بالدعاء والتوسّل إلىٰ الله تعالىٰ بتعجيل ظهوره المبارك .

والحمد لله أوّلاً وآخراً ، وصلّىٰ الله وسلّم علىٰ سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين .

٩ ربيع الأوّل ١٤٢٥ هـ

ذكرىٰ اليوم الأوّل من إمامة

الإمام المهديّ المنتظَر

عجّل الله تعالىٰ فرجه الشريف

دمشق ـ السيّدة زينب عليها السلام

محمّد علي الحكيم

البلاغ المبين

رسالة ترشد إلى معرفة الإله جل وعـــلا وتشير الى
الاخلاق والسعادة برزت بهذا الاسلوب
مجاراة للوقت ودعاية لعموم التلقين
ومن الله التوفيق
وهو المستعان

السيد عبد المطلب الحسني الهاشمي
﴿ صاحب مجلة الهدى ﴾

ـ حقوق الطبع محفوظة للناشر ـ

سنة ١٣٤٨ هجرية

مطبعة الاداب ـ بغداد

صورة الصفحة الأُولىٰ من كتاب «البلاغ المبين»

الطبعة الأُولىٰ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلوة على محمد سيد الاولين
والاخرين صلى الله عليه وسلم وعلى الراجعين
وبعد فقد عثرت في بعض الجرائد على سؤال
نصه هذا غادر مكة في شهر رمضان الماضي
الشيخ عبد الله بن بليهد قاضي قضاة الوهابيين
في الحجاز قاصدا المدينة المنورة وقد تلقت جريدة
ام القرى من مكاتبها في المدينة ان الشيخ ابن بليهد
اجتمع بعلماء المدينة وباحثهم في امور كثيرة ثم وجه
اليهم السؤال الاتي بسم الله الرحمن الرحيم ما قول
علماء المدينة المنورة زادهم الله فهما وعلما في الدنيا

ع

صورة الصفحة الأولى من رسالة «الرد على الوهابية»

الطبعة الأولى

على الفقراء والمحاويج لاهداء ثوابه لصاحب
القبر ليكونه من اهل الكرامة في الدين و
القرب الخ وهذا اوان اختتام الرسالة
وارجوا ان ينفع الله بها انه هو المتفضل
المنان وقد حصل الفراغ منه بيد مؤلفه
الفقير الى الله عبد الله احد طلبة العراق في
ليلة الرابع عشر من شهر ربيع الاول
سنة خمس واربعين بعد الف
ثلثماة هجرية والحمد
لله رب العالمين

صورة الصفحة الأخيرة من رسالة «الردّ على الوهّابية»

الطبعة الأولى

١

مسألة في البَداء

بسم الله الرحمن الرحيم

وله الحمد وهو المستعان

إنَّ الله جلَّ شأنه قد اقتضت حكمته ولطفه بعباده ـ في دلالتهم علىٰ مقام إلٰهيّته في علمه وقَدَرِه وإرادته ـ أن يجعل نظام العالَم ـ في أحواله وأدواره ومواليده ـ مبنيّاً ـ نوعاً ـ علىٰ قوانين الأسباب والتسبيب في المسبّبات، المرتبطة بالغايات والحِكَم، والدالّة علىٰ قصدها.

وهو الخالقُ للسبب والمسبّب، والجاعلُ للتسبيب، وبيده الأسباب وتسبيباتها، في وجودها وبقائها وتأثيرها، وتحكيم بعضها علىٰ بعض، فقد يُعْدِمُ السببَ، وقد يُبْطِلُ تأثيرَه، وقد يَمنعُ تأثيرَه بسببٍ آخر، وقد يُعدِمُ ما يحسب الناسُ أنّه موضوعُ القانونِ المقرّرِ ويُقيمُ غيرَه مقامَه.

وهذا هو مقام البَداء والمحو والإثبات.

وهو ـ جلّ شأنه ـ عالِمٌ منذ الأزل بما تؤدّي إليه مشيئته

من المحو والإثبات، وهذا العلم هو: ﴿أُمّ الكتاب﴾[١].

فالمحو إنّما هو لِما لَه نحو ثبوتٍ بتقدير الأسباب وتسبيباتها، وسيرها في التسبيب.

وعلىٰ ذلك يجري ما روي في «أُصول الكافي»، في صحيحة هشام وحفص، عن أبي عبدالله عليه السلام:

«[و] **هل يُمحىٰ إلّا ما كان ثابتاً ؟!...**» الرواية[٢].

إذ لا يُعقل محو ما هو ثابتُ الوقوعِ بعينه في علم الله وأُمّ الكتاب.

وأمّا كون المراد من المحو هو إفناء الموجود، ومن الإثبات إيجاد المعدوم، أو إبقاء الموجود، كما ذُكر في صدر السؤال[٣]:

فيدفعه أوّلاً: أنّه خلافُ ظاهر الآية الكريمة وسوقها؛ لأنّ استعمال المحو ومقابلته بأُمّ الكتاب إنّما يناسب مقام التسجيل والكتابة، التي هي كناية عن التقدير والتسجيل بسير الأسباب

---

(١) سورة الرعد ١٣: ٣٩؛ وتمام الآية الكريمة: ﴿**يَمْحُو اللهُ ما يَشاءُ ويُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتاب**﴾.

(٢) الكافي ١/١١٤ ح ٢، وتتمّته: «**وهل يُثبت إلّا ما لم يكن ؟!**»؛ وانظر: التوحيد: ٣٣٣ ح ٤.

(٣) يشير المؤلف ـ نوّر الله مرقده ـ إلىٰ ورود سؤال عن «البَداء» إليه، وإلىٰ تحرير هذه الرسالة جواباً عن ذلك السؤال.

ـ وإن كان نوعيّاً ـ..

ولا يناسب في المقام إفناء العين الموجودة، مضافاً إلىٰ أنّه عند إرادة الإفناء لا يبقىٰ لقوله تعالىٰ: ﴿**وعِندَه أُمُّ الكِتاب**﴾ معنىً تأسيسيٌّ ترتبط به أطرافُ الكلام في الآية ويناسب ذِكرَ المحو والإثبات، كما لا ينبغي أن يخفىٰ.

ويدفعه ثانياً: احتجاج الإمام عليه السلام بهذه الآية للبَداء، وكذا الكثير من استشهادات الأئمّة بهذه الآية.

* * *

وأمّا البَداء، فهو بمعنىٰ الظهور؛ مأخوذٌ مِن: بَدا يَبْدُو بَدْواً وبُدُوّاً وبَداءةً وبَداءً وبُدُوءاً، فيقال: فلانٌ بَدا له في الرأي، أي ظهر له ما كان مخفيّاً عنه، وفلانٌ برزَ فَبَدا له من الشجاعة ما كان مخفيّاً عن الناس[1].

فمعنىٰ «بَدا» في المثالين واحد، ولكنّ الاختلاف فيهما جاء من ناحية اللام وربطها للظهور.

فالبَداء المنسوب إلىٰ الله جلّ شأنه إنّما هو بمعنىٰ

---

(١) آنظر مادّة «بدا» من: الصحاح ٦/٢٢٧٨، لسان العرب ١/٣٤٧، ومادّة «بدو» من تاج العروس ١٩/١٨٩ ـ ١٩٠.

المثال الثاني. أي: ظهر لله من المشيئة ما هو مخفيٌّ على الناس، وعلىٰ خلاف ما يحسبون[١].

هذا ما يقتضيه العقل.

ويشهد له من صريح الأحاديث ما رواه في «أُصول الكافي»، في صحيح عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله عليه السلام:

«ما بَدا لله في شيء إلّا كان في علمه قبل أن يبدو له»[٢].

ورواية عمرو بن عثمان، عنه عليه السلام:

«إنّ الله لم يَبْدُ له مِن جهل»[٣].

وصحيحة فضيل ـ الآتية ـ، عن أبي جعفر عليه السلام[٤].

وصحيحة منصور بن حازم: «سألت أبا عبدالله عليه السلام: هل يكون اليوم شيءٌ لم يكن في علم الله بالأمس؟

قال عليه السلام: **لا، مَن قال هذا فأخزاه الله!**

قلتُ: أرأيتَ ما كان وما هو كائن إلىٰ يوم القيامة، أليس في علم الله؟!

---

(١) بمعنىٰ أنّه ظهر من مشيئة الله إلىٰ الناس ما كان مخفيّاً عليهم، وخلاف ما كانوا يحسبون.

(٢) الكافي ١/ ١١٤ ح ٩.

(٣) الكافي ١/ ١١٥ ح ١٠.

(٤) تأتي في الصفحة ٧٨.

قال عليه السلام : **بلىٰ ، قبل أن يخلق الخلق**»[1] .

أقـول :

وإنّ قوله تعالىٰ : ﴿**يَمْحُو اللهُ ما يَشاءُ ويُثْبِتُ وَعِنْـدَهُ أُمُّ الكِتاب**﴾ ينادي بأنّ مقام المـحو والإثـبات هـو غـير مـقام أُمّ الكتاب ، وعلم الله المكنون ، ومشـيئته وإرادته الأزلية . .

بل هو في مقام الظاهر في سير الأسـباب وتسـبيباتها . .

فقد تقتضي مشـيئته ـ جلّ اسمه ـ أن يمنع أسـباب البقاء وطول العمر عن الزاني وقـاطع الرحـم ، وقـد يـمنع الأسـباب المهلكة عن واصل الرحم والمتصدّق والداعي ـ مثلاً ـ ؛ فيمحو في هـذه المـوارد ما جعلـه لنوع الأسـباب من التسـبيب ، وقـد لا يمحوه في بعض الموارد لحكمة أُخرىٰ ، فيكون قد أثبته ، أي أبقاه ثابتـاً .

وقد يراد من قوله تـعالىٰ : ﴿**يُـثْبِتُ**﴾ أنّـه يـثبت حـين المحـو خلاف المحو ؛ والله العالِم .

قد كان الناس يحسـبون أنّ إسماعيل ابن الصادق عليه السلام هو الإمام بعد أبيه ؛ لِما علموه من أنّ الإمامة للولد الأكبر ما لم يكن ذا عاهةٍ ؛ ولأنّ الغالب في الحياة الدنيا وأسـباب البقاء أن يبقىٰ

---

(١) الكافي ١ / ١١٥ ح ١١ ؛ وآنظر : التوحيـد : ٣٣٤ ح ٨ .

إسماعيل بعد أبيه عليه السلام ، فبَدا وظهَرَ بموت إسماعيل أنّ الإمام هو الكاظم عليه السلام ؛ لأنّ عبدالله كان ذا عاهة ، فظهر لله[1] وبَدا للناس ما هو في علمه المكنون[2] .

وكذا في موت محمّد ابن الهادي عليهما السلام ، حيث ظهر للشيعة أنّ الإمام بعد الهادي هو الحسن العسكري عليه السلام .

وهذا الظهور للشيعة هو الأمرُ الذي أحدثه اللهُ بموت محمّد ، كما قال الهادي للعسكري عليهما السلام عند موت محمّد : **«أَحْدِث لله شكراً ، فقد أَحْدَثَ فيكَ أمراً»**[3] .

فالإمامة ثابتة للكاظم والعسكري منذ الأزل ، وقد جاء في الأحاديث البالغة حدّ التواتر ـ أو ما يقاربه ـ عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم والأئمّةِ ممّن هو قبل الكاظم والعسكري عليهم السلام ما يتضمّن النصّ علىٰ إمامتهما في جملة الأئمّة عليهم السلام ، وقد ذُكر[4] بعضُ هذه

---

(١) أي : من الله إلىٰ الناس .

(٢) قال الإمام الصادق عليه السلام : **«ما بَدا لله بَداءً كما بَدا له في إسماعيل ابني»** .

قال الشيخ الصدوق رحمه الله : «يقول : ما ظهر لله أمرٌ كما ظهر له في إسماعيل ابني ، إذ اخترمه قبلي ليُعلم بذلك أنّه ليس بإمام بعدي» .

التوحيد : ٣٣٦ ح ١٠ .

(٣) الكافي ١ / ٢٦٢ ح ٤ و ٥ و ٨ .

(٤) أحال الشيخ البلاغي رحمه الله هنا علىٰ كتابه «نصائح الهدىٰ» ولم ينسبه

الأخبار بنحو الإشارة إليها في كتاب «نصائح الهدىٰ»[١].

وإلىٰ ما ذكرناه في معنىٰ البَداء والمحو يرشد ما رواه في «أُصول الكافي»:

كصحيحة زرارة، عن أحدهما عليهما السلام:

«ما عُبِدَ اللهُ بشيء مثل البَداء»[٢].

ومعتبرة هشام بن سالم، عن أبي عبدالله عليه السلام:

«ما عُظِّمَ اللهُ (بشيءٍ مثل) البَداء»[٣].

وصحيحة الريّان، عن الرضا عليه السلام:

«ما بَعث الله نبيّاً قطّ إلّا بتحريم الخمر، وأن يقرّ لله بالبَداء»[٤].

إلىٰ نفسه تواضعاً ونكراناً للذات كما هي عادته.

راجع الصفحة ٥٨ هـ ١.

(١) نصائح الهدىٰ: ٦٤ وما بعدها.

وراجع في أمر النصّ علىٰ إمامة الإمامين موسىٰ الكاظم والحسن العسكري عليهما السلام: الكافي ١/ ٢٤٥ ـ ٢٤٨ و ص ٢٦١ ـ ٢٦٤ و ص ٤٤١ ح ١ و ص ٤٤٢ ح ٣، كفاية الأثر: ٢٥٥ ـ ٢٦٣ و ص ٢٨٢ ـ ٢٨٨ ومواضع أُخرىٰ مختلفة منه، الإرشاد ٢/ ٢١٦ ـ ٢٢٠ و ص ٣١٤ ـ ٣٢٠، إعلام الورىٰ ٢/ ٧ ـ ١٥ و ص ١٣٣ ـ ١٣٦.

(٢) الكافي ١/ ١١٣ ح ١؛ وآنظر: التوحيد: ٣٣١ ـ ٣٣٢ ح ١.

(٣) الكافي ١/ ١١٣ ذ ح ١؛ وآنظر: التوحيد: ٣٣٣ ح ٢، وفيهما بدل ما بين القوسين: «بمثل».

(٤) الكافي ١/ ١١٥ ح ١٥؛ وآنظر: التوحيد: ٣٣٣ ـ ٣٣٤ ح ٦.

ونحوها معتبرتا مرازم وجهم، عن أبي عبدالله عليه السلام (١).

فإنّ الاعتراف بمجرّد أنّه يَظهرُ لله من الأُمور ما لم يكن محتسَباً ـ بل كان المحتسَب غيره ـ ليس له أهمّيّة بالنسبة إلىٰ جلال الله.

إذاً، فالفضل المذكور والأهمّيّة الكبرىٰ للاعتراف بالبَداء ما هو إلّا لأنّه يرجع إلىٰ الاعتراف بحقيقة الإلٰهيّة، وأنّ الموجِد للعالَم إنّما هو إلٰهٌ موجِدٌ بالإرادة والقدرة علىٰ مقتضىٰ الحكمة، متصرِّفٌ بقدرته بما يتراءىٰ من العلل وتعليلاتها التي هي من صنعه وإيجاده، والخاضعة لتصرّف مشيئته فيها، لا أنّ وجودَ العالَمِ منوط بالتعليلات الطبيعيةِ ومحضِ اقتضاءِ الطبيعةِ العمياء فاقدةِ الشعورِ والإرادةِ؛ تعالىٰ الله عمّا يقولون.

وعلىٰ ذلك تجري صحيحة محمّد بن مسلم، عن أبي عبدالله عليه السلام:

---

(١) قال مرازم: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «**ما تنبّأ نبيٌّ قطّ حتّىٰ يقرّ لله بخمس خصال: بالبَداء، والمشيئة، والسجود، والعبودية، والطاعة**».

الكافي ١/ ١١٥ ح ١٣؛ وآنظر: التوحيد: ٣٣٣ ح ٥.

وقال جهم، عمّن حدّثه: قال أبو عبدالله عليه السلام: «**إنّ الله عزّ وجلّ أخبر محمّداً صلى الله عليه وآله بما كان منذ كانت الدنيا، وبما يكون إلىٰ انقضاء الدنيا، وأخبره بالمحتوم من ذلك، وآستثنىٰ عليه في ما سواه**».

الكافي ١/ ١١٥ ح ١٤.

«ما بعث الله نبيّاً حتّىٰ يأخذ عليه ثلاث خصال: الإقرار [له] بالعبودية، وخلع الأنداد، وأنّ الله يقدّم ما يشاء ويؤخّر ما يشاء»[1].

فالبَداء، وأنّ الله يمحو ما يشاء ويثبِت، وعنده أُمّ الكتاب، يكون الاعتراف بحقيقتها المعقولة ومدلول الأحاديث، هو الفارق بين الإلٰهيّة والطبيعية، وهو الفارق بين الاعتراف بحقيقة الإلٰهيّة وبين المزاعم المستحيلة في مسألة العقول العشرة[2]، المبنية علىٰ التقليد الأعمىٰ للفلسفة اليونانية ومزاعم

---

(١) الكافي ١/ ١١٤ ح ٣؛ وآنظر: التوحيد: ٣٣٣ ح ٣.

(٢) العقول العشرة هي:

١ ـ العقل بالفعل: هو الذي من شأنه إدراك المعقولات الثانية، أي العلوم الكسبية.

٢ ـ العقل بالملَكة: هو الذي من شأنه إدراك المعقولات الأوّلية، أي البَدهيّة والعلوم الضرورية.

٣ ـ العقل العملي: هو الذي من شأنه الاستعداد المحض من غير حصول علم ضروريّ أو كسبيّ.

٤ ـ العقل الغريزي: هو الذي يتعلّق به التكليف، ويلزم به التعبّد.

٥ ـ العقل الفطري: هو الذي يحكم بالبَدهيّات؛ ككون الكلّ أعظم من جزئه.

٦ ـ العقل الفعّال: هو الذي تكون فيه جميع المعقولات مرسّمة، وتخرج العقول الإنسانية من القوّة إلىٰ الفعل.

٧ ـ العقل المستفاد: هو حصول العلوم الكسبية بالفعل، المتعلّقة

أوهامها، مع الخبط في أمر الإيجاد بالإرادة والتعليل الطبيعي.

ثمّ إنّ مقتضىٰ دلالة العقل والنقل هو أنّ البَداء والمحو لا يقعان في ما أخبر اللهُ به أنبياءَه وأوصياءَهم، وأخبروا به عنه جلّ اسمه.

أمّا دلالة العقل؛ فلأنّ وقوع ذلك يستلزم عدم وثوق الناس بهم وبأخبارهم، وحمل الناس لهم علىٰ الجهل والكذب علىٰ الله، فيسقط محلّهم، وينتقض الغرض من نصبهم للنبوّة والإمامة؛ ونقض الغرض قبيح ومحال علىٰ الله جلّ اسمه.

وأمّا النقل؛ فمنه ما رواه في «أُصول الكافي»، في صحيحة الفضيل، عن أبي جعفر عليه السلام:

«العِلم عِلمان:

فعِلمٌ عند الله مخزون لم يُطلِع عليه أحداً مِن خلقه..

وعِلمٌ علّمه ملائكتَه ورسلَه، فما علّمه ملائكته ورسله

بالأُمور العلمية والعملية.

٨ ـ العقل المكتسَب: هو الذي يؤدّي إلىٰ صحّة الاجتهاد وقوّة النظر.

٩ ـ العقل النظري: به يدرك الإنسان التصوّرات والتصديقات، ويعتقد الحقّ والباطل في ما يعقل ويدرك.

١٠ ـ العقل الهيولاني: هو الذي من شأنه الاستعداد المحض من غير حصول علم ضروري أو كسبيّ.

آنظر: شرح المصطلحات الكلامية: ٢٢٠ ـ ٢٢٤.

فإنّه سيكون ، لا يكذّب اللهُ نفسَه ولا ملائكتَه ولا رسلَه . .

وعِلمٌ[١] عنده مخزون يقدِّم منه ما يشاء ، ويؤخّر منه ما يشاء ، ويثبِت ما يشاء»[٢] .

ونحوها صحيحته الأُخرىٰ عن أبي جعفر عليه السلام[٣] ، ورواية أبي بصير ، عن أبي عبدالله عليه السلام[٤] .

وأيضاً : إنّ الأنبياء والأئمّة لا يخبرون عن المغيّبات من اطّلاعهم علىٰ الأسباب وقوانينها ، التي هي مَعرضٌ للبَداء والمحو ـ كما يسمّيها الناس بـ «النفوس الفلكيّة والألواح القدريّة» ، إنْ هي إلّا أسماء ـ ، فإنّه اعتماد علىٰ الظنّ ، وهو خلاف وظيفتهم الكريمة ، ويلزم من ذلك أن يجعلوا أنفسهم معرضاً لعدم الوثوق بهم ، وعَدّ الناس لهم من الكاذبين حينما يظهر خلاف ما أَخبروا به ، وهذا نقضٌ لغرضهم في دعوة الناس

---

(١) هذا بيانٌ من الإمام عليه السلام وتفصيلٌ لعِلم الله المخزون ، المتقدّم آنفاً .

(٢) الكافي ١ / ١١٤ ح ٦ .

(٣) قال الفضيل : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : **«من الأُمور أُمورٌ موقوفة عند الله ، يقدِّم منها ما يشاء ، ويؤخّر منها ما يشاء»** .
الكافي ١ / ١١٤ ح ٧ .

(٤) قال أبو بصير : قال أبو عبدالله عليه السلام : **«إنّ لله عِلمين ، عِلمٌ مكنون مخزون ، لا يعلمه إلّا هو ، مِن ذلك يكون البَداء ، وعِلمٌ علّمه ملائكتَه ورسلَه وأنبياءَه ، فنحن نعلمه»** .
الكافي ١ / ١١٤ ح ٨ .

إلىٰ الله وإلىٰ قبول أقوالهم وإرشادهم وتصديقهم، ونقض الغرض قبيح مستحيل علىٰ المعصوم.

إذاً، فلا يخبرون الناس بالغيب اعتماداً علىٰ الأسباب أو الألواح القدريّة ـ كما يقال ويُزعم ـ، وإن كانوا أكمل البشر في تلك العلوم.

وممّا يشهد لذلك ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام من قوله في بعض المواطن:

«ولولا آيةٌ سبقت في كتاب الله ـ وهي قوله تعالىٰ: ﴿يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الكِتَابِ﴾ ـ لأخبرتُكم بما يكون إلىٰ يوم القيامة»[1].

يريد ـ صلوات الله عليه ـ أنّ هذه العلوم المستندة إلىٰ سير الأسباب والتسببيات والتقدير هو أعلم الناس بها، وأكملهم فيها، ولكنّه لا يعتمد عليها، ولا يخبر الناس بمداليلها، لأنّها مَعْرِضٌ للمحو.

فالمحصّل ممّا ذكرناه:

أنّ المحو والإثبات في الآية الكريمة ليس المرادُ منها

---

(١) ورد الحديث باختلاف يسير في المصادر التالية: التوحيد: ٣٠٥ ح ١، الأمالي ـ للصدوق ـ: ٢٨٠ ب ٥٥ ح ١، الاحتجاج: ٢٥٨، قرب الإسناد: ٣٥٣ ح ١٢٦٦، وعنها في بحار الأنوار ٤/٩٧ ح ٤ و ٥.

إفناءَ الموجودِ وإبقاءَه، أو تجديدَ موجودٍ آخر.

وأنّ البَـداء والمحوَ لا يتعلّق بما في أُمّ الكتاب، ولا بما يخبر اللهُ به أنبـياءَه والأئمّـة، ولا بما يخبرون به عن الله من أنباء الغيب؛ ولا يخبرون عمّا هو معرضٌ للبَـداء والمحو، صلوات الله وسـلامه عليهم.

والحمـد لله أوّلاً وآخـراً

* * *

٢

نسمات الهدىٰ
ونفحات المهديّ

[تمهيد]

قد وقفنا اتّفاقاً علىٰ صورة مقالة انتشرت في العدد ٩٦ من مجلّة «السياسة» المصرية، في سنتها الثانية، عنوانها: «**المهديّ المنتظَر .. نشأته، وأطواره في التاريخ**» بتوقيع: زكي نجيب محمود[1]..

فكان من واجب الحقيقة الدينية والتاريخية أن نعلّق علىٰ بعض كلماتها علىٰ وجه الإيجاز..

---

(١) فيلسوف مفكّر، من دعاة التغريب، وُلد في إحدىٰ قرىٰ محافظة دمياط بمصر سنة ١٣٢٣ هـ/١٩٠٥ م، وتوفّي في إحدىٰ مستشفيات القاهرة سنة ١٤١٤ هـ/١٩٩٣ م، نال شهادة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة لندن، تولّىٰ رئاسة تحرير مجلّة «الفكر المعاصر» منذ إنشائها، وكذا مجلّة «الثقافة»، ألّف وترجم كتباً عديدة في الفلسفة والثقافة والأدب، أدرج في كتبه ومقالاته أفكاره المعادية للدين والشرع الحنيف، ممّا حدا بالكثيرين للتصدّي له والردّ عليه وتفنيد ادّعاءاته ودحض شبهاته، كالعلّامة البلاغي ـ في الرسالة التي بين يديك ـ، والشيخ محمّد متولّي الشعراوي، وكمال المليجي.
أنظر: تتمّة الأعلام ١/١٩٢، ذيل الأعلام: ٨٨، إتمام الأعلام: ١٠٢، تكملة معجم المؤلّفين: ١٩٥.

[التشكيك بالمهديّ عليه السلام]

* فمن كلماته قوله: «كثيراً ما تعترض الإنسانية أزمنة يكثر فيها الأحزاب والفوضىٰ، فسرعان ما تسود الفكرة عند الشعوب الساذجة أنّ السماء ستُنزل رجلاً يعيد النظام وينشر الأمن والعدل بين الناس..

فالعقول البسيطة إذا حلّت كارثة لا تلجأ إلّا إلىٰ القوّة الإلٰهية؛ وقد حدث ذلك عند اليهود والمسيحيّين والمسلمين علىٰ السواء..

إلىٰ أن قال: وهذه الفكرة لعبت دوراً كبيراً في الإسلام، حتّىٰ إنّها لا تزال - إلىٰ اليوم - تستولي علىٰ معظم العقول»؛ انتهىٰ.

يا للعجب!! قد كنّا نسمع من طنين الإلحاد - في رواية تاريخ الأديان - ما اختلقته الأفكار الشاذّة من أوهام الأهواء، أخذاً عن نزعات المبادئ المادّية، وهو:

إنّ البشر لمّا أرعبتهم الأهوال الكونية بصدفة الطبيعة، اختلقوا لهم ما وراء الطبيعة إلٰهاً، افترضوه قادراً علىٰ التصرّف بإرادته في العالم؛ وذلك لكي يلتجئوا إليه ويستغيثوا به عند

عروض الأهوال والكوارث، ليخلّصهم منها.

وعلىٰ نَعْرة[1] هذه الرواية قد طبّل المطبّلون وزمّر المزمّرون، وإنّ هذا الكاتب لم يحترم الحقائق، ولا أهل الأديان في مبادئهم، بل تحمّل المسؤولية الكبرىٰ لشرف الحقيقة!

ولكنّا نحترمه فلا نقول: إنّه ضرب علىٰ ذلك الوتر، وترنّم بتلك النغمة، وترنّح علىٰ ذلك الإيقاع! بل ننشد عن لسان حاله:

عيونُ المها بين الرُّصافَةِ والجسرِ
جَلبنَ الهوىٰ من حيثُ أدري ولا أدري[2]

علىٰ رِسْلك أيّها الكاتب! إنّ أهل الأديان الّذين يقولون بنحو ما تذكره عنهم، هم إلٰهيّون متديّنون، قد أخذوا قولهم هذا من البشائر الإلٰهيّة بواسطة النبوّات..

ويا ليتما يتّضح لنا أنّ المناقشة معهم في هذا القول ـ شكّاً أو جحوداً ـ هل هي في الإلٰهيّة التي هي مركز الحقائق، أو

---

(١) النعرة: صوت في الخيشوم علىٰ الاستعارة هنا؛ آنظر: تاج العروس ٧/٥٤٣ ـ ٥٤٤ مادّة «نعر».

(٢) البيت من شعر علي بن الجهم، والرصافة هي الجانب الشرقي من بغداد، وفيها مقابر خلفاء بني العبّاس.
آنظر مادّة «رصف» في: معجم البلدان ٣/٥٣ رقم ٥٥٠٣، تاج العروس ١٢/٢٣٠.

في صدق النبـوّات ، أو في صدور هذا النبـأ عنها ؟!

أمّا المناقشة في المركز المذكور ، فيلزم فيها المصارحة بتعديل صفوف البحث ، ليجري الكلام علىٰ مجاريه .

وكذا الكلام في صدق النبـوّات . .

وأمّا صدور هذا النبأ عنها ؛ فإنّ كلّ أُمّة تملي عليك من كتب وحيها وتقاليدها البشرىٰ بذلك شيئاً كثيراً .

وعلينا ـ معاشر المسلمين ـ أن نملي عليك بعض ما جاء في ديننا عن رسول الله ﷺ في شأن المهديّ ، ممّا يَجْـبَـهُ[1] الريبَ والتشـكيك . .

* * *

(١) جَبَهَهُ جَـبْهاً : صَكَّ جَـبهتَه ؛ وَجَـبَه الرجـلَ يَـجْبَـهُهُ جَـبْهاً : رَدَّه عـن حاجته وآستقبله بما يكره ؛ وجَبَهْتُ فلاناً إذا استقبلته بكلام فيه غِلظة ؛ وجَبَهْتُه بالمكروه إذا اسـتقبلته بـه .
آنظر : لسان العرب ٢ / ١٧٢ ـ ١٧٣ مادّة «جبه» .
والمعنىٰ : أنّه يردّ الشكوك والشـبهات ويدحضها .

[أحاديث أهل السُّنّة]

فمن طرق أهل السُنّة وكتبهم، في ما جاء عن الرسول الأكرم ﷺ من أحاديث آخر الزمان، وحوادثه، والمهديّ عليه السلام :

١ ـ «أَبشِروا بالمهديّ، رجل من قريش من عترتي، يخرج في اختلاف من الناس وزلزال، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً».

أخرجه أحمد، والباوردي (١)، مسنداً؛ عن أبي سعيد، عن رسول الله ﷺ (٢).

---

(١) هو : أبو منصور الباوردي، نسبة إلىٰ بلدة بنواحي خراسان يقال لها : أبيوَرْد، وتخفّف، ويقال : باوَرْد، خرج منها جماعة من الفضلاء والمحدِّثين.
آنظر : الأنساب ـ للسمعاني ـ ١ / ٢٧٤، معجم البلدان ١ / ٣٩٦ رقم ١٤٢٤، فيض القدير شرح الجامع الصغير ١ / ٨٧.

(٢) مسند أحمد ٣ / ٣٧ و ٥٢، معرفة الصحابة ـ للباوردي ـ : مخطوط.
وآنظر : عقد الدرر : ٦٢ و ١٥٦ و ٢٣٧، فرائد السمطين ٢ / ٣١٠ ح ٥٦١، مجمع الزوائد ٧ / ٣١٣، العرف الوردي ٢ / ٥٨، الصواعق المحرقة : ٢٥٤، كنز العمّال ١٤ / ٢٦١ ح ٣٨٦٥٣.
ولزيادة التفصيل راجع : معجم أحاديث الإمام المهديّ عليه السلام ١ / ٩٢ ـ ٩٦ ح ٥٣.

٢ ـ «لو لم يبق من الدهر إلّا يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتي، يملأُها عدلاً كما ملئت جوراً».

أخرجه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وآبن ماجة؛ عن عليٍّ عليه السلام، عنه صلى الله عليه وآله وسلم (١).

٣ ـ «لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم لطوّل الله ذلك اليوم حتّىٰ يبعث رجلاً من أهل بيتي، يواطئ آسمه آسمي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً».

أخرجه أبو داود، عن ابن مسعود؛ عنه صلى الله عليه وآله وسلم (٢).

---

(١) مسند أحمد ١/٩٩، سنن أبي داود ٤/١٠٤ ح ٤٢٨٣، سنن الترمذي ٤/٤٣٨ ح ٢٢٣٠ عن ابن مسعود وقال: «وفي الباب عن عليّ...»، سنن ابن ماجة ٢/٩٢٨ ح ٢٧٧٩ عن أبي هريرة نحوه.
وآنظر: مصنّف ابن أبي شيبة ٨/٦٧٨ ح ١٩٤، مسند البزّار ٢/١٣٤ ح ٤٩٣، المعجم الكبير ١٠/١٣٤ ح ١٠٢١٩ و ص ١٣٥ ح ١٠٢٢٤ و ص ١٣٦ ح ١٠٢٢٧/٢ كلّها عن ابن مسعود، الاعتقاد علىٰ مذهب السلف ـ للبيهقي ـ: ١٢٢، الصواعق المحرقة: ٢٤٩.
ولزيادة التفصيل راجع: معجم أحاديث الإمام المهديّ عليه السلام ١/١١٩ ح ٦٩.

(٢) سنن أبي داود ٤/١٠٤ ح ٤٢٨٢.
وآنظر: المعجم الكبير ١٠/١٣٥ ح ١٠٢٢٤، مسند الشاشي ٢/١٠٩ ح ٦٣٢، الاعتقاد علىٰ مذهب السلف: ١٢٢، مصابيح السُنّة ٣/٤٩٢ ح ٤٢١٠، عقد الدرر: ٢٧ و ٢٨ و ١٦٩، الصواعق المحرقة: ٢٤٩، منهاج السُنّة ٤/٩٥، مشكاة المصابيح ٣/١٧٠ ح ٥٤٥٢، كنز

٤ ـ «ثمّ يخرج رجل من أهل بيتي، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً».

أخرجه الطبراني، عن جابر الصدفي؛ عنه ﷺ (١).

٥ ـ «لا تقوم الساعة حتّىٰ تُملأ الأرض ظلماً

العمّال ١٤/ ٢٦٧ ح ٣٨٦٧٦.

ولزيادة التفصيل راجع: معجم أحاديث الإمام المهديّ عليه السلام ١/ ١٥٧ ح ٨٦.

أمّا بالنسبة لزيادة جملة «وآسم أبيه اسم أبي» الواردة في بعض أحاديث أهل السُنّة، فانظر ما كتبه السيّد ثامر العميدي في فصل «اختلاف الأحاديث في تشخيص اسم والد المهديّ عليه السلام»، من مقاله: «تطبيق المعايير العلمية لنقد الحديث علىٰ أحاديث المهديّ عليه السلام بكتب الفريقين»، المنشور في مجلّة «تراثنا»، العدد المزدوج ٤٣ ـ ٤٤، ص ١٢ ـ ٨٥، إذ استدلّ فيه علىٰ بطلان هذه الزيادة بعدّة أدلّة، عمدتها أنّها أحاديث شاذّة، مدارها علىٰ راوٍ واحد، وأنّ عمدة حفّاظ أهل السُنّة وأئمّتهم قد رووا الحديث من دون تلك الزيادة، وأنّ ١٢٨ عالماً ومحدّثاً ومؤرّخاً من أهل السُنّة صرّحوا بأنّ الإمام المهديّ عليه السلام هو ابن الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

(١) المعجم الكبير ٢٢/ ٣٧٤ ـ ٣٧٥ ح ٩٣٧.

وانظر: معرفة الصحابة ـ لأبي نعيم ـ ٢/ ٥٥٤ رقم ١٥٣٨، الاستيعاب ١/ ٢٢١ رقم ٢٨٨، تاريخ دمشق ١٤/ ٢٨٢ ـ ٢٨٣ ح ٣٥٦١ و ٣٥٦٢ و ج ٦١/ ١٩٥ ح ١٢٥٩٩، أُسد الغابة ١/ ٣١٠ رقم ٦٥٣، عقد الدرر: ١٩، مجمع الزوائد ٥/ ١٩٠، كنز العمّال ١٤/ ٢٦٥ ح ٣٨٦٦٧.

ولزيادة التفصيل راجع: معجم أحاديث الإمام المهديّ عليه السلام ١/ ١٦ ح ٢.

وعدواناً ، ثمّ يخرج من عترتي مَن يملأُها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً» .

أخرجه أحمد ؛ عن عليٍّ عليه السلام (١) ، عنه صلى الله عليه وآله وسلم (٢) .

٦ ـ «فيبعث الله رجلاً من عترتي وأهل بيتي ، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً» .

أخرجه الحاكم في «المستدرك» ، عن أبي سعيد ؛ عنه صلى الله عليه وآله وسلم (٣) .

---

(١) كذا في الأصل ، ولعلّه سهو ، إذ إنّ الحديث بكلّ ألفاظه وفي جميع المصادر مرويٌّ عن طريق أبي سعيد الخدري ؛ فلاحظ .

(٢) مسند أحمد ٣/٣٦ .

وآنظر : مسند أبي يعلىٰ ٢/٢٧٤ ح ٩٨٧ ، تاريخ أصبهان ١/١١٥ ذيل رقم ٣٣ ، الإحسان بترتيب صحيح ابن حبّان ٨/٢٩٠ ـ ٢٩١ ح ٦٧٨٤ ، المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/٦٠٠ ح ٨٦٦٩ وصحّحه هو والذهبي علىٰ شرط الشيخين و ص ٦٠١ ح ٨٦٧٤ وصحّحه علىٰ شرط مسلم ، عقد الدرر : ١٦ .

ولزيادة التفصيل راجع : معجم أحاديث الإمام المهديّ عليه السلام ١/١٠٤ ح ٥٩ .

(٣) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/٥١٢ ح ٨٤٣٨ .

وآنظر : مصنّف عبد الرزّاق ١١/٣٧١ ـ ٣٧٢ ح ٢٠٧٧٠ ، مصابيح السُنّة ٣/٤٩٣ ح ٤٢١٥ ، عقد الدرر : ١٧ و ٦٠ ، كنز العمّال ١٤/٢٧٥ ح ٣٨٧٠٨ .

ولزيادة التفصيل راجع : معجم أحاديث الإمام المهديّ عليه السلام ١/٨٣ ح ٤٤ .

٧ ـ «المهديّ من عترتي، يقاتل علىٰ سُنّتي كما قاتلت أنا علىٰ الوحي».

أخرجه نعيم بن حمّاد، عن عائشة؛ عنه ﷺ (١).

٨ ـ «المهديّ من عترتي، مِن وُلد فاطمة».

أخرجه أحمد، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجة، والبيهقي، وصاحب كتاب «المصابيح»، وصاحب «جواهر العقدين»، والبغوي، والسيوطي في «الجامع الصغير»، والكنجي؛ ونصّا علىٰ صحّته؛ عن أُمّ سلمة، عنه ﷺ (٢).

---

(١) الفتن: ٢٢٩.
وانظر: عقد الدرر: ١٦ ـ ١٧، جواهر العقدين: ٣٠٦، العرف الوردي ٢/ ٧٤، الصواعق المحرقة: ٢٥١.
ولزيادة التفصيل راجع: معجم أحاديث الإمام المهديّ عليه السلام ١/ ٢٢٤ ح ١٣٦.

(٢) مسند أحمد ١/ ٨٤ نحوه، صحيح مسلم ـ كما في: كنز العمّال ١٤/ ٢٦٤ ح ٣٨٦٦٢، والصواعق المحرقة: ٢٤٩، وإسعاف الراغبين: ١٤٥ ـ، سنن أبي داود ٤/ ١٠٤ ح ٤٢٨٤، سنن النسائي ـ كما في: عقد الدرر: ١٥، وجواهر العقدين: ٣٠٣، وغيرهما ـ، سنن ابن ماجة ٢/ ١٣٦٨ ح ٤٠٨٦، وأخرجه الحافظ أبو بكر البيهقي ـ كما في: عقد الدرر، وجواهر العقدين، والصواعق المحرقة ـ، مصابيح السُنّة ٣/ ٤٩٢ ح ٤٢١١، شرح السُنّة ٨/ ٣٥٤ ح ٤٢٨٠، الجامع الصغير: ٥٥٢ ح ٩٢٤١، البيان في أخبار صاحب الزمان: ٤٨٦.
وانظر: التاريخ الكبير ٣/ ٣٤٦ رقم ١١٧١، تاريخ الرقّة: ٩٤ ـ ٩٥

٩ ـ «المهديّ رجل من وُلدي، وجهه كالكوكب الدُّرّي».

أخرجه الروياني، والسيوطي وصحّحه، والطبراني، وأبو نعيم، والديلمي، والكنجي؛ عن حذيفة، عنه صلى الله عليه وآله وسلم (١).

١٠ ـ في خطابه صلى الله عليه وآله وسلم لفاطمة كريمته: «ومنّا المهديّ، وهو مِن وُلدك».

أخرجه الطبراني في «الأوسط»، وآبن المغازلي، والكنجي؛ عن حذيفة، عنه صلى الله عليه وآله وسلم (٢).

ح ١٤٢، المعجم الكبير ٢٣/ ٢٦٧ ح ٥٦٦، المستدرك على الصحيحين ٤/ ٦٠٠ ـ ٦٠١ ح ٨٦٧١ و ٨٦٧٢.

ولزيادة التفصيل راجع: معجم أحاديث الإمام المهديّ عليه السلام ١/ ١٣٦ ح ٧٤.

(١) مسند الروياني ـ كما في: العرف الوردي ٢/ ٦٦، وكنز العمّال ١٤/ ٢٦٤ ح ٣٨٦٦٦، وغيرهما ـ، الجامع الصغير: ٥٥٣ ح ٩٢٤٥، الطبراني ـ كما في: الصواعق المحرقة: ٢٥١ ـ، الحافظ أبو نُعيم ـ كما في العرف الوردي ٢/ ٦٦ ـ، فردوس الأخبار ٢/ ٣٥٩ ح ٦٩٤٠، البيان في أخبار صاحب الزمان: ٥١٣.

ولزيادة التفصيل راجع: معجم أحاديث الإمام المهديّ عليه السلام ١/ ١٣٠ ح ٧٢.

(٢) المعجم الأوسط ٦/ ٤٠٩ ح ٦٥٤٠، مناقب الإمام عليّ عليه السلام: ١٢٩ ـ ١٣٠ ح ١٤٤، البيان في أخبار صاحب الزمان: ٤٨٦ و ٥٠٢.

وآنظر: المعجم الكبير ٣/ ٥٧ ـ ٥٨ ح ٢٦٧٥، المعجم الصغير

١١ ـ «نحن وُلد عبد المطّلب سادات أهل الجنّة، أنا وحمزة وعليٌّ وجعفر والحسن والحسين والمهديّ».

أخرجه ابن ماجة، وأبو نعيم، [و] الثعلبي، والحاكم في «المستدرك»، وصاحب «الأربعين»، والكنجي، والديلمي، والحموينى؛ عن أنس، عنه صلى الله عليه وآله وسلم (١).

١٢ ـ «المهديّ منّا، يختم الدين بنا كما فتح بنا».

أخرجه الطبراني، عن عليّ عليه السلام، عنه صلى الله عليه وآله وسلم (٢).

١/ ٣٧، عقد الدرر: ١٥٣، مجمع الزوائد ٩/ ١٦٥.

ولزيادة التفصيل راجع: معجم أحاديث الإمام المهديّ عليه السلام ١/ ١٤٣ ـ ١٥٣ ح ٧٦ ـ ٨٠.

(١) سنن ابن ماجة ٢/ ١٣٦٨ ح ٤٠٨٧، الحافظ أبو نُعيم ـ كما في: عقد الدرر: ١٤٤، والعرف الوردي ٢/ ٥٨ ـ، أبو إسحاق الثعلبي ـ كما في: المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/ ٣٣٣ ح ٤٩٤٠، مطالب السؤول: ٣١٣ ـ، الأربعين ـ لأبي نعيم؛ كما في: كشف الغمّة ٢/ ٤٣٨ ـ، البيان في أخبار صاحب الزمان: ٤٨٨، فردوس الأخبار ١/ ٤٧ ح ١٤٥، فرائد السمطين ٢/ ٣٢ ح ٣٧٠.

وانظر: تاريخ بغداد ٩/ ٤٣٤ رقم ٥٠٥٠، مناقب الإمام عليّ عليه السلام ـ لابن المغازلي ـ: ٩٥ ح ٧١، ذخائر العقبىٰ: ٤٦ و ١٦١، النهاية في الفتن والملاحم ـ لابن كثير ـ: ٢٧.

ولزيادة التفصيل راجع: معجم أحاديث الإمام المهديّ عليه السلام ١/ ١٩٨ ح ١١٠.

(٢) المعجم الأوسط ١/ ٩٨ ح ١٥٧.

ورواه الكنجي، قال: «هذا حديث حسن عال، رواه الحفّاظ في كتبهم».. وذكر رواية الطبراني له في «الأوسط»، وأبي نعيم في «الحلية»، وعبد الرحمٰن بن [أبي] حاتم في «عواليه»[1].

ونحوه في «كنز العمّال» في حديث ذكره نعيم بن حمّاد، والطبراني، وأبو نعيم، والخطيب في «التلخيص»[2].

١٣ ـ «ثمّ يخرج رجل منّي يملأُها عدلاً كما ملئت جوراً».

أخرجه الطبراني، والبزّار؛ عن قرّة المزني، عنه صلى الله عليه وآله وسلم[3].

١٤ ـ «كيف تهلك أُمّة أنا في أوّلها، وعيسىٰ بن مريم في آخرها، والمهديّ من أهل بيتي في وسطها؟!».

---

(١) البيان في أخبار صاحب الزمان: ٥٠٦ ـ ٥٠٧.

(٢) كنز العمّال ١٤/٥٩٨ ح ٣٩٦٨٢.
وأنظر: الفتن: ٢٢٩، عقد الدرر: ١٤٢.
ولزيادة التفصيل راجع: معجم أحاديث الإمام المهديّ عليه السلام ١/٢٤٨ ح ١٥٤.

(٣) المعجم الكبير ١٠/١٣٦ ـ ١٣٧ ح ١٠٢٢٩ وج ١٩/٣٢ ح ٦٨.
وأنظر: مجمع الزوائد ٧/٣١٤، كنز العمّال ١٤/٢٦٦ ح ٣٨٦٦٩.
ولزيادة التفصيل راجع: معجم أحاديث الإمام المهديّ عليه السلام ١/١٧٠ ح ٩٨.

أخرجه الحاكم، وآبن عساكر؛ عن ابن عبّاس، عنه ﷺ (١).

● **بيان**: كون المهديّ في وسطها باعتبار أنّه يظهر أوّلاً، ثمّ ينزل المسيح ويصلّي خلفه ويكون من أعوانه، كما كثر ذلك في الحديث عنه ﷺ.

١٥ ـ «منّا الذي يصلّي خلفه عيسىٰ بن مريم».

أخرجه أبو نعيم في كتاب «المهديّ»، والكنجي؛ عن أبي سعيد، عنه ﷺ (٢).

١٦ ـ «ومنّا مهديّ الأُمّة الذي يصلّى خلفه عيسىٰ بن

---

(١) المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/٤٣ ح ٤٣٥١ وصحّحه علىٰ شرط الشيخين، تاريخ دمشق ٥/٣٩٥ ح ١٣١٠.
وآنظر: قصص الأنبياء ـ للثعلبي ـ: ٤٠٤، مناقب الإمام عليّ عليه السلام ـ لابن المغازلي ـ: ٣١٣ ح ٤٤٩، عقد الدرر: ١٤٦ ـ ١٤٧، البيان في أخبار صاحب الزمان: ٥٠٨، فرائد السمطين ٢/٣٣٨ ـ ٣٤٠ ح ٥٩٢ و ٥٩٣، كنز العمّال ١٤/٢٦٦ ح ٣٨٦٧١ و ص ٢٦٩ ح ٣٨٦٨٢.
ولزيادة التفصيل راجع: معجم أحاديث الإمام المهديّ عليه السلام ١/٥٢٢ ح ٣٥٩.

(٢) البيان في أخبار صاحب الزمان: ٥٠٠.
وآنظر: عقد الدرر: ٢٥ و ١٥٧ و ٢٣٠، كنز العمّال ١٤/٢٦٦ ح ٣٨٠٧٣.
ولزيادة التفصيل راجع: معجم أحاديث الإمام المهديّ عليه السلام ١/٥٣٥ ح ٣٦٥.

مريم»، ثمّ ضرب علىٰ منكب الحسين وقال: **«مِن هذا مهديّ الأُمّة»**.

أخرجه الدارقطني، والكنجي؛ عن أبي سعيد، عنه صلى الله عليه وآله وسلم (١).

١٧ ـ «حتّىٰ يدفعوها إلىٰ رجل من أهل بيتي، يواطئ اسمه آسمي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً».

أخرجه الحاكم، وابن ماجة، والكنجي؛ عن ابن مسعود، عنه صلى الله عليه وآله وسلم (٢).

١٨ ـ «لا تذهب الدنيا حتّىٰ يملك العرب رجل من

---

(١) البيان في أخبار صاحب الزمان: ٥٠٢ ـ ٥٠٣ وقال: «هكذا أخرجه الدارقطني صاحب (الجرح والتعديل)».
وانظر: الفصول المهمّة ـ لابن الصبّاغ المالكي ـ: ٢٩٦.
ولزيادة التفصيل راجع: معجم أحاديث الإمام المهديّ عليه السلام ١/ ١٤٧ ح ٧٨.

(٢) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٥١١ ح ٨٤٣٤، سنن ابن ماجة ٢/ ١٣٦٦ ح ٤٠٨٢، البيان في أخبار صاحب الزمان: ٤٩١.
وانظر: الفتن ـ لنعيم بن حمّاد ـ: ١٨٨، مصنّف ابن أبي شيبة ٨/ ٦٩٧ ح ٧٤ كتاب الفتن، الكنىٰ والأسماء ـ للدولابي ـ ٢/ ٢٦ مختصراً، مسند الشاشي ١/ ٣٦٢ ح ٣٥١، الصواعق المحرقة: ٢٥٠.
ولزيادة التفصيل راجع: معجم أحاديث الإمام المهديّ عليه السلام ١/ ٣٨١ ح ٢٤٥.

أهل بيتي ، يواطئ اسمه اسمي» .

أخرجه الترمذي ، عن ابن مسعود ، عنه ﷺ (١) .

هذا بعض ما جاء في كتب أهل السُنّة من الأحاديث المسندة في شأن المهديّ عليه السلام .

وقال الشيخ عبد الحقّ (٢) في «اللمعات» : «قد تظاهرت الأخبار ـ البالغة حدّ التواتر معنىً ـ في كون المهديّ من أهل

---

(١) سنن الترمذي ٤/٤٣٨ ح ٢٢٣٠ .
وانظر : سنن أبي داود ٤/١٠٤ ح ٤٢٨٢ ، مسند أحمد ١/٣٧٦ ـ ٣٧٧ و ٤٣٠ و ٤٤٨ ، المعجم الكبير ١٠/١٣٤ ح ١٠٢١٨ ، مسند الشاشي ٢/١١٠ ح ٦٣٤ ، تاريخ أصبهان ١/٣٨٦ رقم ٧٢٠ ، مصابيح السُنّة ٣/٤٩٢ ح ٤٢١٠ ، مشكاة المصابيح ٣/١٧٠ ح ٥٤٥٢ ، عقد الدرر : ٢٩ .
ولزيادة التفصيل راجع : معجم أحاديث الإمام المهديّ عليه السلام ١/١١٥ ح ٦٨ .

(٢) هو : عبد الحقّ بن سيف الدين بن سعد الله الدهلوي ، وُلد سنة ٩٥٩ هـ/١٥٥٢ م ، وتوفّي سنة ١٠٥٢ هـ/١٦٤٢ م ، فقيه حنفي ، صوفي ، محدِّث الهند في عصره ، مشارك في بعض العلوم ، جاور في الحرمين الشريفين أربع سنوات ، وأخذ عن علمائهما ، له مصنّفات كثيرة باللغتين العربية والفارسية ، منها : لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح ، رسالة في أقسام الحديث ، مطالع الأنوار البهية في الحلية النبوية ، أخبار الأخيار في أسرار الأبرار .
انظر : فهرس الفهارس والأثبات ٢/٧٢٥ رقم ٣٨٣ ، معجم المؤلّفين ٢/٥٨ رقم ٦٦٢٦ ، الأعلام ٣/٢٨٠ .

البيت ، من وُلد فاطمـة عليها السلام »[١] .

* * *

(١) لمعات التنقيح : مخطـوط .
والأحاديث الثمانية عشر التي أوردها الشيخ البلاغي ﷺ تبيّن ذلك .

[أحاديث الشيعة]

وأمّا ما جاء من طرق الشيعة ومسانيدهم، فهو ممّا يضيق عن ذِكره هذا المجال..

وفي رسالة «نصائح الهدىٰ» لبعض كتبتنا ـ المطبوعة في بغداد سنة ١٣٣٠[1] ـ ذكر من ذلك ـ من طرق الشيعة وأهل السُنّة، بالأسانيد المعتبرة عن الرسول الأكرم ﷺ، وعن أئمّة أهل البيت عليهم السلام ـ مئة وسبعة أحاديث، كلّها تصرّح، أو تعيّن، أنّ المهديّ هو ابن الحسن بن عليّ بن محمّد بن عليّ بن موسىٰ بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام، ذكر ذلك من صفحة ٢٠ إلىٰ ٦٠[2].

---

(١) كذا في الأصل المطبوع، وهو خطأ مطبعي، والصحيح هو: ١٣٣٩، كما هو مثبت علىٰ طبعة الكتاب الأولىٰ.

وكتاب «نصائح الهدىٰ والدين إلىٰ من كان مسلماً وصار بابياً» هو ممّا جاد به يراع الشيخ البلاغي رحمه الله نفسه، وإنّما نسبه هنا لبعض كتبته تواضعاً ونكراناً للذات، كما هي عادته، وكلٌّ من ترجم له قد نسب الكتاب إليه.

هذا، وقد قمت بتصحيح كتاب «نصائح الهدىٰ» وإعداده إعداداً جديداً، كما أسلفتُ في المقدّمة؛ فراجع الصفحة ٤٦ هـ ١.

(٢) آنظر الطبعة المحقّقة الجديدة من نصائح الهدىٰ: ٦٤ ـ ١٢٢، وقد أحصيتُ الأحاديث بـ ١١٠ بدلاً من ١٠٧ بعد إعادة ترقيم الأحاديث.

[نزول المسيح وآئتمامه بالمهديّ عليه السلام]

وأمّا ما جاء عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في نزول المسيح عيسىٰ بن مريم عليه السلام ، وصلاته خلف المهديّ عليه السلام ، ومؤازرته له ، فيكفينا أن نشير هنا إلىٰ ما جاء منه في رواية أهل السُنّة ، وهو كثير ، ومنه :

١ ـ ما أخرجه ابن عساكر ، عن ابن عمر ، عنه صلى الله عليه وآله وسلم (١) .

٢ ـ وآبن ماجة ، وآبن خزيمة ، والضياء ، والحاكم ، والطبراني ، وآبن حبّان ، والكنجي ؛ عن أبي أُمامة ، عنه صلى الله عليه وآله وسلم (٢) .

٣ ـ وأحمد ، وآبن خزيمة ، وأبو يعلىٰ ، والحاكم ،

---

(١) آنظر : تاريخ دمشق ٤٧/ ٥٠٠ ـ ٥٠١ ح ١٠٣١٧ ـ ١٠٣٢١ من عدّة طرق .

(٢) سنن ابن ماجة ٢/ ١٣٦١ ذ ح ٤٠٧٧ ، المعجم الأوسط ٩/ ١٧٤ ح ٩٢٠٣ عن نافع ، الإحسان بترتيب صحيح ابن حبّان ٨/ ٢٨٣ ح ٦٧٦٤ عن أبي هريرة وفي ص ٢٨٩ ح ٦٧٨٠ عن جابر ، البيان في أخبار صاحب الزمان : ٤٩٩ ح ١٢٥٥ وقال : «هذا حديث صحيح ثابت» وعن أبي سعيد في ص ٥٠٠ ح ١٢٥٦ .
وآنظر : العرف الوردي ٢/ ٦٥ عن ابن خزيمة ، كنز العمّال ١٤/ ٢٩٤ ح ٤٨٧٤٢ عن ابن خزيمة والضياء والحاكم .

والضياء ؛ عن جابر ، عنه صلى الله عليه وآله وسلم (١) .

٤ ـ وأحمد ، ومسلم ، وآبن أبي أُسامة ، وأبو نعيم ، والكنجي ؛ عن جابر ، عنه صلى الله عليه وآله وسلم (٢) .

٥ ـ والبخاري ، ومسلم ؛ عن أبي هريرة ، عنه صلى الله عليه وآله وسلم (٣) .

٦ ـ وأحمد ، والبخاري ، ومسلم ، والترمذي ، وآبن ماجة ؛ عن أبي هريرة ، عنه صلى الله عليه وآله وسلم (٤) .

٧ ـ وإسحاق بن بشر ، وآبن عساكر ؛ عن ابن عبّاس ، عنه صلى الله عليه وآله وسلم (٥) .

٨ ـ وأحمد ، ومسلم ، والأربعة ؛ عن حذيفة بن أَسِيد ،

---

(١) مسند أحمد ٣/ ٣٤٥ و ٣٨٤ ، مسند أبي يعلىٰ ٤/ ٥٩ ـ ٦٠ ح ٢٠٧٨ .

وآنظر : كنز العمّال ١٤/ ٣٢٥ ـ ٣٢٦ ح ٣٨٨١٩ عن ابن خزيمة والحاكم والضياء المقدسي .

(٢) مسند أحمد ٣/ ٣٤٥ و ٣٨٤ ، صحيح مسلم ١/ ٩٥ ، البيان في أخبار صاحب الزمان : ٤٩٦ ـ ٤٩٧ ح ١٢٥١ وعن ابن أبي أُسامة وأبي نُعيم في الصفحة ٥٠٧ ح ١٢٧٣ وقال : «هذا حديث حسن ، رواه . . . رُزقناه عالياً» .

(٣) صحيح البخاري ٤/ ٣٢٥ ح ٢٤٥ ، صحيح مسلم ١/ ٩٤ .

(٤) مسند أحمد ٢/ ٢٧٢ و ٣٣٦ ، صحيح البخاري ٤/ ٣٢٥ ح ٢٤٥ ، صحيح مسلم ١/ ٩٤ ، سنن الترمذي ٤/ ٤٣٩ ح ٢٢٣٣ ، سنن ابن ماجة ٢/ ١٣٦٣ ح ٤٠٧٨ .

(٥) أنظر : كنز العمّال ١٤/ ٦١٨ ـ ٦١٩ ح ٣٩٧٢٦ عن إسحاق وآبن عساكر .

عنه ﷺ (١).

٩ ـ وآبن جرير، عن حذيفة بن اليمان، عنه ﷺ (٢).

١٠ ـ وأحمد، ومسلم، والترمذي؛ عن النوّاس بن سمعان، عنه ﷺ (٣).

١١ ـ والترمذي، عن مُجَمِّع بن جارية، عنه ﷺ (٤).

وقال الترمذي: «وفي الباب: عن عمران بن حصين، ونافع بن عتبة، وأبي برزة، وحذيفة بن أَسِيد(٥)، وأبي هريرة، وكيسان، وعثمان بن أبي العاص(٦)، وجابر، وأبي أُمامة، وآبن

---

(١) أنظر: عقد الدرر: ٣٢٧.

(٢) أنظر: عقد الدرر: ٢٢٩ ـ ٢٣٠ و ٣٢٨.

(٣) مسند أحمد ٤/١٨١ ـ ١٨٢، صحيح مسلم ٨/١٩٧ ـ ١٩٩، سنن الترمذي ٤/٤٤٢ ـ ٤٤٥ ح ٢٢٤٠.

(٤) سنن الترمذي ٤/٤٤٧ ح ٢٢٤٤.

(٥) في المصدر: «حذيفة بن أبي أَسِيد»، وهو سهو، والصحيح ما في المتن؛ آنظر: تهذيب التهذيب ٢/١٩٧ رقم ١٢٠٧، تهذيب الكمال ٤/١٩٠ رقم ١١٢٨.

(٦) كذا في الأصل، وفي المصدر: «العاصي»؛ وهو الصحيح في كتابته لغةً؛ إذ إنّه من الأسماء المنقوصة، وهي كلّ اسم معرب في آخره ياءٌ ثابتة مكسور ما قبلها، وحكمه الإعرابي حذف الياء منه في حالتَي الرفع والجرّ، كقولنا: هذا قاضٍ.. ومررتُ بقاضٍ، وإثباتها عند الإضافة ودخول «أل» التعريف عليها، كقولنا: جئتُ من عند قاضي القضاة.. والقاضي العادل أمان للضعفاء، وثبوتها في حالة النصب

مسعود ، وعبدالله بن عمر ، وسمرة [بن جندب] ، والنوّاس بن سمعان ، وعمر بن عوف ، وحذيفة بن اليمان» .

١٢ ـ وأحمد ، ومسلم ؛ عن ابن عمر ، عنه صلى الله عليه وآله وسلم (١) .

١٣ ـ وأحمد ، والطبراني ، والروياني ، والضياء ؛ عن سمرة ، عنه صلى الله عليه وآله وسلم (٢) .

١٤ ـ والطبراني ، عن عبدالله بن مغفل ، عنه صلى الله عليه وآله وسلم (٣) .

١٥ ـ وأحمد ، ومسلم ؛ عن عائشة ، عنه صلى الله عليه وآله وسلم (٤) .

أيضاً كقولنا : رأيتُ قاضياً .

وقد شاع بين الكُتّاب والمتأدّبين من العصر الأوّل حتّىٰ يومنا هذا كتابته بحذف الياء ، وهو ليس بصحيح . .

قال المبرّد : «هو العاصِيْ ، بالياء ، لا يجوز حذفها ، وقد لهجتِ العامّةُ بحذفها» .

أنظر : تاج العروس ١٩ / ٦٨٢ مادّة «عصي» .

(١) مسند أحمد ٢ / ٢٢ و ٣٩ و ٨٣ و ١٢٢ و ١٢٦ ـ ١٢٧ و ١٥٤ ، صحيح مسلم ١ / ١٠٧ ـ ١٠٨ .

(٢) مسند أحمد ٥ / ١٣ ، المعجم الكبير ٧ / ٢٢١ ح ٦٩١٩ و ص ٢٦٥ ح ٧٠٨٢ ، مسند الروياني ٢ / ٣٨ ـ ٣٩ ح ٨٢٨ .

وأنظر : كنز العمّال ١٤ / ٣١٨ ح ٣٨٧٩٥ عن الضياء .

(٣) المعجم الأوسط ٥ / ٨٦ ـ ٨٧ ح ٤٥٨٠ .

وأنظر : مجمع الزوائد ٧ / ٣٣٥ ـ ٣٣٦ ، كنز العمّال ١٤ / ٣٢١ ح ٣٨٨٠٨ ، كلاهما عن المعجمين الكبير والأوسط .

(٤) مسند أحمد ٦ / ٧٥ .

وأنظر : تاريخ دمشق ٤٧ / ٤٩٧ ـ ٤٩٨ ح ١٠٣١٥ و ١٠٣١٦ .

[الإمامة عند الشيعة]

* ثمّ قال الكاتب على أثر مقاله الأوّل : « ويرجع ذلك إلى أنّه حدث في صدر الإسلام أن نهض جماعة شايعوا عليّ بن أبي طالب في إمامته ، واعتقدوا أنّ الإمامة لا تخرج من أولاده؛ وحجّتهم في ذلك أنّ الإمامة قضية ليست من المصالح العامّة التي تُطرح أمام الجمهور لإبداء رأيه فيها ، بل هي وصيّة يوصيها القائم بالأمر إلى من يخلفه ، ويتعيّن أن تخضع هذه الأُمّة لهذه الوصيّة .

وتلك الجماعة ـ التي يُطلق عليها اسم (الشيعة) في التاريخ ـ تقول : إنّ النبيّ (ص) أوصى بإمامة عليٍّ قبل موته ، وقال في ذلك أقوالاً كثيرة ، مثل : (من كنتُ مولاه فهذا عليٌّ مولاه)[1] » .

---

(١) وحديث الغدير صحيح متواتر ، بل في أعلى درجات التواتر ، قطعيّ الصدور ، واضح الدلالة جليُّها على إمامة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام بالرغم من محاولات التعتيم عليه ، وطمس معالمه ، وكتم الكاتمين ! !

فقد قاله النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أكثر من مرّة ، وفي أكثر من مكان ، وأشهرها وآخرها ما قاله صلى الله عليه وآله وسلم عند منصرفه من حجّة الوداع ، في غدير خُمّ ، في ١٨ ذي الحجّة من السنة العاشرة للهجرة ، ورواه عنه أكثر

وغير خفيٍّ من الأحاديث المتقدّمة، والمشار إليها، وأضعافها ممّا لم نذكره، بل من اتّفاق المسلمين في أمر المهديّ

من مئة صحابيّ.

ثمّ كانت مناشدات أمير المؤمنين الإمام عليّ عليه السلام الصحابةَ به لإثبات حقّه بالخلافة مشهورة.

وقد روي هذا الحديث في أُمّهات مصادر الجمهور، فانظر مثلاً:

سنن الترمذي ٥/٥٩١ ح ٣٧١٣، السنن الكبرىٰ ـ للنسائي ـ ٥/١٣٠ ـ ١٣٢ ح ٨٤٦٤ ـ ٨٤٧٣، سنن ابن ماجة ١/٤٣ ح ١١٦ و ص ٤٥ ح ١٢١، مسند أحمد ١/٨٤ وج ٤/٢٨١، التاريخ الكبير ـ للبخاري ـ ١/٣٧٥ رقم ١١٩١، مصنّف عبد الرزّاق ١١/٢٢٥ ح ٢٠٣٨٨، مصنّف ابن أبي شيبة ٧/٤٩٤ ـ ٤٩٦ ح ٢ و ٩ و ١٠، مسند البزّار ٢/١٣٣ ح ٤٩٢ و ص ٢٣٥ ح ٦٣٢، مسند أبي يعلىٰ ١/٤٢٨ ـ ٤٢٩ ح ٥٦٧ وج ١١/٣٠٧ ح ٦٤٢٣، المعجم الكبير ٥/١٧٠ ـ ١٧٢ ح ٤٩٨٣ ـ ٤٩٨٦، المعجم الأوسط ٢/١٠ ح ١١١٥.

ولخطورة حديث الغدير وواقعته في تاريخ الإسلام فقد تناوله المؤلّفون عبر القرون ـ علىٰ اختلاف مذاهبهم وتخصّصاتهم ولغاتهم ـ بتخريج طرقه وألفاظه، والبحث فيه سنداً ودلالة، ونظم الواقعة شِعراً.

فقد استوفىٰ البحث في ما يتعلّق بذلك كلّه وما يرتبط به من بحوث علمية وتاريخية ورجالية وأدبية، العلّامة الشيخ عبد الحسين الأميني رحمه الله في موسوعته «الغدير»، والعلّامة السيّد عليّ الحسيني الميلاني ـ حفظه الله ورعاه ـ في الأجزاء ٦ ـ ٩ من موسوعته «نفحات الأزهار»..

هذا، وقد أحصىٰ ممّا أُلّف في الغدير المحقّق السيّد عبد العزيز الطباطبائي رحمه الله في كتابه: «الغدير في التراث الإسلامي» ما يقرب من مئتَي كتاب ورسالة، مرتّبة حسب القرون..

فللّٰه درّهم وعليه أجرهم.

والمسيح ، أنّ أمر المهديّ يرجع إلىٰ تبليغ رسول الله وبشراه في تعاليم دين الإسلام .

● **وأمّا اعتقاد الشيعة في الإمامة** ، فحججهم فيه معروفة عنهم ـ لمن له معرفة ـ مدوّنةٌ في كتبهم ، المنتشر مطبوعها ومخطوطها في أطراف العالم ، مجهّزة بالحجج النيّرة الباهرة من الكتاب والسُنّة والعقل . .

ومن جملة ذلك : إنّهم يقولون : إنّ نصب الإمام ، وتعيين الذي هو صالح للإمامة الدينية ـ بحسب علمه ، وكماله الظاهر والباطن ، وملَكاته الراقية الزكية الثابتة المستمرّة ـ ، إنّما يكون من الله تبارك اسمه وجلّت آلاؤه . . ويكون ذلك بعهد متّصل بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، مستند إلىٰ الوحي الإلٰهي .

وحجّتهم في ذلك من الكتاب المجيد تؤخذ من قوله تعالىٰ لخليله إبراهيم : **﴿إنّي جاعلك للناس إماماً قال ومن ذرّيّتي قال لا ينال عهدي الظالمين﴾** [1][2] . .

فإنّه واضح الدلالة علىٰ أنّ الإمامة الدينية وزعامتها العامّة هي عهد الله ويجعلِه ، ولا تنال الظالمين ، بل تجري علىٰ روح الصلاحية الدينية وحقيقة مصالح البشر ورغائبهم الصالحة

---

(١) سورة البقرة ٢ : ١٣٤ .

(٢) راجع مثلاً : تقريب المعارف : ١٩١ ، قواعد العقائد : ٤٦٠ .

بواسطة العهدِ بأمرِها إلىٰ الصالح الكامل المقدّس في الظاهر والباطن، وهو من يعلم اللهُ أن لا يظلم غيره ولا نفسه بتعدّي الحدود الشرعية والمعقولة، كما يشير إلىٰ ذلك بفحواه قوله تعالىٰ: ﴿**الله أعلم حيث يجعل رسالته**﴾[1].

وحجّتهم من العقل ما يرشد إلىٰ وجهه المشرق وَحْيُ الآيتين الكريمتين، وهو: إنّ الإمامة الشرعية والزعامة العامة الدينية التي تخلف مقام الرسالة وزعامتها، وتنوب عنها في وظائفها، إنّما هي زعامة ومصلحة عامّة للبشر، لا تختصّ بأُمّة ولا قومية ولا بمصلحةِ قطرٍ خاصّ أو قادة مخصوصة، بل تسري بصلاحها العامّ مع الدين حيثما سار، يداً بيد، وجنباً لجنب..

ويشترك في أمرها وفائدتها وشؤونها ونفوذها كلٌّ من: الأرملة، واليتيم، والطفل، والهرم، والضعيف، والقويّ، والعاجز، والعبد، والمولىٰ، والفقير، والغنيّ، والصالح، وغيره؛ وهي أكبر مصلحة عامّة ينتظم بها الصلاح والإصلاح لأُمور البشر، ولا يكون من ذلك علىٰ الوجه المطلوب فيها والكامل في الصلاح، إلّا ما استند إلىٰ علم الله القدّوس العليم وآختياره.

---

(١) سورة الأنعام ٦: ١٢٤.

فمن الغرائب ـ التي لا قيمة لها في سوق المعرفة والأدب والصدق والأمانة ـ قول القائل: «وحجّتهم في ذلك أنّ الإمامة ليست من المصالح العامّة التي تُطرح أمام الجمهور لإبداء رأيه فيها»! وكأنّه بهذا الكلام يرثي لحقوق الأُمّة، ويسكب لها عبرات الرحمة!

كَفكِف دموعَك أيّها الكاتب!! فإنّ مبدأ الشيعة بالوصية بالإمامة المسنَدة إلىٰ الرسول وإلىٰ الوحي مبنيٌّ ومؤسّس علىٰ أحسن الوجوه وأصحّها في رعاية الصالح لعامّة البشر في الحال والمستقبل، ومطابقة الرغائب الصحيحة الصالحة الحرّة لجميع الناس بالنحو الجاري بروح اللطف الإلهي والعدل والحكمة، والمنزّه عن الخطأ، والخداع، والاستبداد، والمحاباة، وعن تدخّل المدلّسين في الحلّ والعقد وتمثيل الأُمّة، والّذين يكمّون أفواه ذوي الحقوق بالضربة القاضية، وعن تمويه الاستبداد والضغط والاستعباد باسم الحرّيّة، وعن، وعن، وعن...

ألا تدري أنّ الشيعة ينسبون هذه الوصيّة من إمام إلىٰ إمام إلىٰ عهد الرسول إلىٰ عهد الله وآختياره؟!(١).

أَوَليس الله بأنظر لخلقه منهم لأنفسهم، وأحسن رعاية

---

(١) راجع: الكافي ١/٢١٨ ـ ٢٢٠ ح ١ ـ ٤ باب أنّ الإمامة عهد من الله عزّ وجلّ معهود من واحد إلىٰ واحد عليهم السلام.

لمصالحهم العامة والخاصة ؟! وهو القدّوس الحكيم الذي أحاط بكلّ شيء علماً ، والغنيّ المطلق ، واللطيف الرؤوف الرحيم .

وإنّ اختياره للإمام هو روح الرعايةِ لعامةِ البشر وصلاح أمرهم ، والنظر إلىٰ المستقبل في شؤون الإمام والرعية ، وهو الجامع لكلّ حكمة وفائدة تفرض في اجتماع الآراء ، والمنزّه من نقائص البشرية ، من حيث الجهل والخداع والتدليس والاستبداد والاستئثار والضغط والمحاباة والمَيل وجرّ النار إلىٰ القرص والاستعجال وآغتنام الفرص .

إذاً فالإمامة علىٰ مبدأ الشيعة تجري علىٰ أرقىٰ وأحسن وجه في صلاح البشر ، والرعاية لحقوقهم ، ومساواة الضعيف بالقوي .

وهل تُنكر بعد هذا ـ أيّها الكاتب ـ وجوب خضوع الأُمّة لهذه الوصية المستندة إلىٰ الرسول وتعيينه وآختياره القائم بحقيقة الصلاح العامّ ؟!

وقد كتب الشيعة مبدأهم هذا ودوّنوه في كتبهم مدعوماً بالبراهين وموازين المنطق ونواميس المعقول[1] ، فإنْ كانت لك مناقشة في ما دوّنوه ، فهلمّ إلىٰ البحث النزيه ، فإنّ الحقيقةَ

---

(١) راجع مثلاً : أوائل المقالات : ٦٤ ـ ٦٥ ، الذخيرة في علم الكلام : ٤٠٩ وما بعدها ، تجريد الاعتقاد : ٢٢١ وما بعدها .

بِنتُه!

● **وأمّا تعرّضك لقول الشيعة** بوصيّة الرسول ﷺ بإمامة عليٍّ.. فدع أمر هذه الوصيّة لِما مضىٰ، وإنْ كانت رغماً عن الكوارث المتتابعة تُثبت وجودها، وتُظهر ذاتها بالمظاهر الجليّة، من خصوص روايات أهل السُنّة في مسانيدهم وجوامعهم، وغير ذلك من كتبهم، تتجلّىٰ منه أحاديث: الغدير[١]، والمنزلة[٢]، والولاية[٣]،

---

(١) مرّ تخريجه مختصراً في الصفحة ١٠٦ ـ ١٠٧ هـ ١.

(٢) إشارة إلىٰ قول رسول الله ﷺ لعليٍّ عليه السلام: «**أنت منّي بمنزلة هارون من موسىٰ إلّا أنه لا نبيَّ من بعدي**»، وقد روي الحديث في أُمّهات مصادر الجمهور.. فانظر مثلاً:

صحيح البخاري ٥/٨٩ ـ ٩٠ ح ٢٠٢ وج ٦/١٨ ح ٤٠٨، صحيح مسلم ٧/١٢٠ ـ ١٢١، سنن الترمذي ٥/٥٩٨ ـ ٥٩٩ ح ٣٧٣٠ و ٣٧٣١، سنن ابن ماجة ١/٤٥ ح ١٢١، السنن الكبرىٰ ـ للنسائي ـ ٥/٤٤ ـ ٤٥ ح ٨١٣٨ ـ ٨١٤٣ و ص ١٠٧ ـ ١٠٨ ح ٨٣٩٩ و ٨٣٩٩ م و ص ١١٩ ـ ١٢٥ ح ٨٤٢٩ ـ ٨٤٤٩، مسند أحمد ١/١٧٩ وج ٣/٣٢، مسند البزّار ٣/٢٧٦ ـ ٢٧٧ ح ١٠٦٥ و ١٠٦٦ و ص ٢٧٨ ـ ٢٧٩ ح ١٠٦٨ و ص ٢٨٣ ـ ٢٨٥ ح ١٠٧٤ ـ ١٠٧٦، مسند أبي يعلىٰ ٢/٨٦ ـ ٨٧ ح ٧٣٨ و ٧٣٩ و ص ٩٩ ح ٧٥٥، المعجم الكبير ١/١٤٦ ح ٣٢٨ و ص ١٤٨ ح ٣٣٣ و ٣٣٤ وج ٥/٢٢١ ذح ٥١٤٦.

وراجع الجزءين ١٧ و ١٨ من موسوعة «نفحات الأزهار» ففيه كلّ ما يتعلّق بالحديث وما يرتبط به من بحوث علمية.

(٣) إشارة إلىٰ أحاديث كثيرة، منها قول الرسول ﷺ عن عليٍّ عليه السلام:

والخلافة[١]، والوصيّة[٢]، والثقلين[٣]، وغير ذلك..

﴿ «هو وليّ كلّ مؤمن بعدي»، أنظر مثلاً:

سنن الترمذي ٥/ ٥٩٠ ح ٣٧١٢، السنن الكبرىٰ ـ للنسائي ـ ٥/ ١٢٦ ح ٨٤٥٣، مسند أحمد ٤/ ٤٣٨، المعجم الكبير ١٨/ ١٢٨ ح ٢٦٥، الإحسان بترتيب صحيح ابن حبّان ٩/ ٤١ ـ ٤٢ ح ٦٨٩٠ و ٦٨٩١، المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/ ١١٩ ح ٤٥٧٩، تاريخ دمشق ٤٢/ ١٩٧ ـ ١٩٩ ح ٨٦٦٢ ـ ٨٦٦٥.

وراجع الجزءين ١٥ و ١٦ من موسوعة «نفحات الأزهار» ففيه كلّ ما يتعلّق بالحديث وما يرتبط به من بحوث علمية.

(١) إشارة إلىٰ أحاديث للرسول الكريم ﷺ كثيرة في حقّ أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، منها يوم الدار قوله ﷺ: «**إنّ هذا أخي ووصيّي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا**»، أنظر مثلاً:

مسند أحمد ١/ ١١١، السنن الكبرىٰ ـ للنسائي ـ ٥/ ١٢٦ ح ٨٤٥١، تاريخ الطبري ١/ ٥٤٢ ـ ٥٤٣، تاريخ دمشق ٤٢/ ٤٩ ـ ٥٠ ح ٨٣٨١ و ٨٣٨٢، مجمع الزوائد ٩/ ١١٣، كنز العمّال ١٣/ ١٣١ ـ ١٣٣ ح ٣٦٤١٩.

(٢) إشارة إلىٰ أحاديث كثيرة للرسول ﷺ عن عليّ عليه السلام، قالها في مواطن متعدّدة، منها قوله ﷺ: «**لكلّ نبيّ وصيٌّ ووارث، وإنّ عليّاً وصيّي ووارثي**» وفي لفظ: «**إنّ وصيّي ووارثي عليّ بن أبي طالب**»، فانظر مثلاً:

مناقب الإمام عليّ عليه السلام ـ لابن المغازلي ـ: ١٩٢ ح ٢٣٨، فردوس الأخبار ٢/ ١٩٢ ح ٥٠٤٧، مناقب الإمام عليّ عليه السلام ـ للخوارزمي ـ: ٨٤ ـ ٨٥ ح ٧٤، ذخائر العقبىٰ: ١٣١ ـ ١٣٢، تاريخ دمشق ٤٢/ ٣٩٢ ح ٩٠٠٥ و ٩٠٠٦.

(٣) وحديث الثقلين من الأحاديث المتواترة، وله طرق عديدة وألفاظ

وإنّا بالنسبة للوثام وتوحيد الكلمة أشدّ احتياجاً منّا إلىٰ إيراد الأدلّة والإدلاء بالحجج علىٰ هذه الحقيقة . .

مختلفة ، ومن ألفاظه أنّ الرسول ﷺ قال : **«إنّي تارك فيكم الثقلين : كتاب الله عزّ وجلّ وعترتي ، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلىٰ الأرض ، وعترتي أهل بيتي ، وإنّ اللطيف الخبير أخبرني أنّهما لن يفترقا حتّىٰ يردا عليَّ الحوض ، فانظروني بم تخلفوني فيهما»** ، آنظر مثلاً :

صحيح مسلم ٧/ ١٢٢ ـ ١٢٣ ، سنن الترمذي ٥/ ٦٢١ ح ٣٧٨٦ و ص ٦٢٢ ح ٣٧٨٨ ، السنن الكبرىٰ ـ للنسائي ـ ٥/ ٤٥ ح ٨١٤٨ و ص ١٣٠ ح ٨٤٦٤ ، سنن الدارمي ٢/ ٢٩٢ ح ٣٣١١ ، مسند أحمد ٣/ ١٤ و ١٧ و ٢٦ و ٥٩ ، مصنّف ابن أبي شيبة ٧/ ٤١٨ ح ٤١ ، مسند البزّار ٣/ ٨٩ ح ٨٦٤ ، مسند أبي يعلىٰ ٢/ ٢٩٧ ح ١٠٢١ و ص ٣٠٣ ح ١٠٢٧ ، صحيح ابن خزيمة ٤/ ٦٢ ـ ٦٣ ح ٢٣٥٧ ، المعجم الكبير ٥/ ١٥٤ ح ٤٩٢٣ و ص ١٦٦ ـ ١٦٧ ح ٤٩٦٩ ـ ٤٩٧١ .

وآنظر ما سطره العلّامة الشيخ محمّد حسن المظفّر ﷺ من بحث علميّ رصين حول الحديث في كتابه القيّم دلائل الصدق ٢/ ١٨٧ و ج ٦/ ٢٢٨ وما بعدها .

وراجع ما كتبه العلّامة السيّد عليّ الحسيني الميلاني ـ حفظه الله ورعاه ـ في الأجزاء ١ ـ ٣ من موسوعته «نفحات الأزهار» ، من بحوث علمية في ما يتعلّق بالحديث وما يرتبط به .

وأمّا في ما يخصّ لفظ «كتاب الله وسُنّتي» فانظر :

ما كتبه السيّد عليّ الحسيني الميلاني في كتابه الآخر : حديث الثقلين : تواتره ، فقهه . . كما في كتب السُنّة .

ورسالته في حديث الوصيّة بالثقلين : الكتاب والسُنّة .

وكذلك ما كتبه الشيخ جلال الدين الصغير ـ حفظه الله ورعاه ـ في كتابه : عصمة المعصوم عليه السلام وفق المعطيات القرآنية : ٢٠٥ ـ ٢٤٢ .

نعم، قد اعترضت الفترة[١] في نفوذ الإمامة الشرعية الدينية بأسباب بشرية، إذ عرقل الناس مساعيها الكريمة، حيث إنّ الله لا يُلجئ عبادَه في أفعالهم وتروكهم، بل يريد منهم الطاعة الاختيارية، لكي يرتقوا باختيارهم إلىٰ معارج الكمال وسعادة الحال والمستقبل، بعد أن أرشدهم إلىٰ سبيل الرشاد، وأقام لهم علَم الهدىٰ بتبليغ الرسول المتكرّر المؤكّد كما يقتضيه لطفه ورحمته.

وعندئذٍ فالشيعة يقولون ـ كسائر المتمدّنين ـ: إنّ الزعامة السياسية الزمنية المدنية، القائمة بالأمن العامّ وآنتظام المدنية، والمكافِحة لموبقات الفوضوية، من شأنها وواجبها أن تُطرح أمام الجمهور وعامّة الرعية لإبداء رأيهم الحرّ فيها، من دون تدخّل كيت وكيت في أمرها، كما تشير إليه احتياطات الحكومة المتمدّنة في الانتخابات للاختيار والتأسيس.

* * *

---

(١) الفَتْرَةُ: ما بين كلّ نبيَّين، وما بين كلّ رسولين من رسل الله عزّ وجلّ من الزمان الذي انقطعت فيه الرسالة؛ آنظر: لسان العرب ١٠ / ١٧٤ مادّة «فتر».

والمعنىٰ هنا: هو عدم تمكّن الإمام عليه السلام من تولّي الخلافة بلا فصل وبسط يده علىٰ العباد والبلاد، أو المراد هو زمان الغَيبة.

[قيام الإمام الحسين عليه السلام]

* وقال الكاتب: «قام الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام مدفوعاً بإغراء الشيعة بأنّها (أي الإمامة) من حقّه الطبيعي، فاعتبره يزيد ـ الخليفة الأُموي، القائم بالأمر وقتئذٍ ـ ثائراً، فأرسل إليه جيشاً هزمه وقتله في وقعة كربلاء سنة ٦١، فهزّ قتل الحسين بناء الإسلام هزّاً عنيفاً، كان من نتائجه أن اضطربت الدولة في جميع الأرجاء.

فمن الطبيعي ـ والحالة هذه ـ أن يلجأ الناس إلىٰ العناية الإلٰهيّة، وما لبثوا أن ساد الاعتقاد بأنّه لا بُدّ لقمع تلك الفوضىٰ من رجلٍ يرسله الله فيهدي القوم».

لم يقم الحسين عليه السلام لمنصب الإمامة والطلب بحقّها إلّا لعلمه بأنّه الإمام المنصوب من الله، والمعهود له بالإمامة بعد أخيه الحسن عليه السلام..

والمنصوص عليه ـ مع ذلك ـ بقول الرسول الأمين صلى الله عليه وآله وسلم: «**الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا**»[1]..

---

(١) آنظر: مناقب آل أبي طالب ٣/ ٤٤٥ وفيه: «وآجتمع أهل القِبلة

والعَلم الشاخص الهادي في وقته..

وعديل كتاب الله من العترة، أهل البيت، المنصوص عليهم في حديث الثقلين أو الخليفتين، وهو الحديث المروي بالأسانيد المتعدّدة الكثيرة العالية، عن نيّف وعشرين صحابيّاً[1]..

وهو الخامس من أهل الكساء، الّذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، كما روي بطرق متعدّدة متضافرة من كلٍّ من الفريقين[2]..

﴿ علىٰ أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا»، فرائد السمطين ١/ ٥٥ ذ ح ١٩ وفيه: «والحسن والحسين إماما أُمّتي بعد أبيهما»، نزهة المجالس: ٢٢٨ وفيه ـ مخاطباً الحسنين عليهما السلام ـ: «أنتما الإمامان ولأُمّكما الشفاعة»، ومثله في الإتحاف بحبّ الأشراف: ١٢٩ إلّا أنّ فيه: «الأمان» بدل «الإمامان» وهو تصحيف كما يبدو.

(١) تقدّم تخريجه في الصفحة ١١٣ هـ ٣.

(٢) من الثابت المسلَّم به بين الفريقين نزول آية التطهير ﴿**إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهلَ البيت ويطهّركم تطهيراً**﴾ [سورة الأحزاب ٣٣: ٣٣] في الرسول الأكرم وعليّ وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهم خاصّة، وخروج بقية بني هاشم وأقرباء النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وزوجاته من مراد الآية..

أمّا ما في مصادرنا فنحن في غنىً عن ذِكره لإثباته؛ لأنّ ذلك من أوضح الواضحات، ومن ضروريّات مذهبنا..

وأمّا ما ورد في مصادر الجمهور، فانظر مثلاً: صحيح مسلم ﷺ

وسيّد شباب أهل الجنّـة ، كما أخرجه أحمد ، والترمذي ، والنسائي ، وآبن حبّـان ؛ عن حذيفـة ، عنـه ﷺ (١) . .

٧/ ١٣٠ ، سنن الترمذي ٥/ ٣٢٧ ـ ٣٢٨ ح ٣٢٠٥ و ص ٦٢١ ح ٣٧٨٧ و ص ٦٥٦ ـ ٦٥٧ ح ٣٨٧١ ، السنن الكبرىٰ ـ للنسائي ـ ٥/ ١٠٧ ـ ١٠٨ ح ٨٣٩٩ ، مسند أحمد ١/ ٣٣١ وج ٣/ ٢٥٩ ، فضائل الصحابة ـ لابن حنبل ـ ٢/ ٧٢٦ ـ ٧٢٨ ح ٩٩٤ ـ ٩٩٦ ، مسند البزّار ٣/ ٣٢٤ ح ١١٢٠ ، مسند أبي يعلىٰ ٧/ ٥٩ ـ ٦٠ ح ١٢٢٣ و ١٢٢٤ وج ١٢/ ٣١٣ ح ٦٨٨٨ ، المعجم الكبير ٣/ ٥٢ ـ ٥٦ ح ٢٦٦٢ ـ ٢٦٧٣ ، المعجم الأوسط ٣/ ٣٩ ح ٢٢٨١ وج ٧/ ٣٦٩ ح ٧٦١٤ ، المعجم الصغير ١/ ٦٥ و ١٣٥ ، مسند الطيالسي : ٢٧٤ ح ٢٠٥٩ ، مصنّف ابن أبي شيبة ٧/ ٥٠١ ح ٣٩ ـ ٤٠ و ص ٥٢٧ ح ٤ ، مسند عبد بن حميد : ١٧٣ ح ٤٧٥ و ص ٣٦٧ ـ ٣٦٨ ح ١٢٢٣ ، التاريخ الكبير / الكنىٰ ٨/ ٢٥ ـ ٢٦ رقم ٢٠٥ ، السُنّة ـ لابن أبي عاصم ـ : ٥٨٩ ح ١٣٥١ ، مشكل الآثار ١/ ٢٢٧ ـ ٢٣١ ح ٧٧٠ ـ ٧٨٥ ، الإحسان بترتيب صحيح ابن حبّان ٩/ ٦١ ح ٦٩٣٧ ، المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ٤٥١ ح ٣٥٥٨ و ٣٥٥٩ .

وآنظر : دلائل الصدق ٤/ ٣٥١ ـ ٣٨٠ مبحث آية التطهير .

وراجـع : نـفحات الأزهـار ٢٠/ ٧١ ـ ١١١ فـفيه كـلّ مـا يـتعلّـق بالحديث وما يرتبط به من بحوث علمية . .

وكـتاب : مع الدكتور السالوس في آية التطهير . .

وكذا المبحث الخاصّ بآية التطهير من كتاب : عصمة المعصوم عليه السلام وفـق المعطيات القرآنيّـة : ١٣٠ ـ ١٩٠ .

(١) مسـند أحـمد ٥/ ٣٩١ ، سـنن التـرمذي ٥/ ٦١٩ ح ٣٧٨١ ، السـنن الكبرىٰ ـ للنسائي ـ ٥/ ٨٠ ـ ٨١ ح ٨٢٩٨ ، الإحسان بترتيب صحيح ابن حبّان ٩/ ٥٥ ح ٦٩٢١ .

وآنظر : كنز العمّال ١٢/ ٩٦ ح ٣٤١٥٨ و ص ١٠٢ ح ٣٤١٩٢ .

وأحمد ، وأبو يعلىٰ ، وآبن حبّـان ، والطبراني ، والحاكـم في «المستدرك» ؛ عن أبي سـعيد ، عنـه صلى الله عليه وآله وسلم [١] ..

والطبراني ، وأبو نعيم ؛ عن عليّ ، عنـه صلى الله عليه وآله وسلم [٢] ..

والديلمي ؛ عن أنس ، عنـه صلى الله عليه وآله وسلم [٣] ..

ومن سادات أهل الجنّـة ، كما مـرّ في الحـديث الحـادي عشـر [٤] .

وهذا كلّـه متواتر النقل وقطعِـيّه من طرق الشـيعة .

وقد رأىٰ عليه السلام أنّ استبداد يزيد ـ مع أحواله المعلومة [٥] ـ

---

(١) مسند أحمد ٣/٣ و ٦٢ و ٦٤ و ٨٢ ، مسند أبـي يـعلىٰ ٢/٣٩٥ ح ١١٦٩ ، الإحسان بترتيب صحيح ابن حبّان ٩/٥٥ ح ٦٩٢٠ ، المعجم الكبير ٣/٣٨ ـ ٣٩ ح ٢٦١٠ ـ ٢٦١٥ ، المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/١٨٢ ح ٤٧٧٨ .

وآنظر: سنن الترمذي ٥/٦١٤ ح ٣٧٦٨ ، السنن الكبرىٰ ـ للنسائي ـ ٥/٥٠ ح ٨١٦٩ و ص ١٤٩ ـ ١٥٠ ح ٨٥٢٥ ـ ٨٥٢٨ .

(٢) المعجم الكبير ٣/٣٥ ـ ٣٦ ح ٢٥٩٩ ـ ٢٦٠٣ ، المعجم الأوسط ١/١٧٣ ـ ١٧٤ ح ٣٦٨ عن الإمام الحسين عليه السلام ، حلية الأولياء ٤/١٤٠ .

(٣) فردوس الأخبار ١/٣٥٥ ح ٢٦٢٤ عن أبي سعيد .

(٤) راجع الصفحة ٩٥ .

(٥) فمن موبقاته التي استوجب عليها اللعن ، علاوة علىٰ نزوه علىٰ منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وتسلّطه علىٰ رقاب المسلمين بغير حقّ ، وقتله ريحانة النبيّ وسبطه الإمام الحسين عليه السلام ، وأسره وسبيه وتسييره

ممّا لا يسوغ له أن يتساهل في أمره، ويعجّل بسببٍ يسير من الاضطرار إلىٰ بيعته الجائرة قبل واجب المدافعة والمماطلة، إلىٰ أن يرىٰ ما تقتضيه المصالح الوقتية والظروف، فلعلّما يرجع الحقّ إلىٰ نصابه وتنال الأُمّةُ حقوقَها المغتصبة.. فتنحّىٰ عن بيعة يزيد الجائرة.

ولمّا استغاث به المسلمون، ووعدوه الطاعة والقيام بالنصرة، وأعطوه المواثيق، لم يجد بُدّاً من المطالبة بحقوق الإسلام والمسلمين ولازمِ الدفاع لطاغوت الظلم والمنكَر، فقام ولسان حاله يقول ما قاله أبوه أمير المؤمنين: «**لولا حضور الحاضر، وقيام الحجّة بوجود الناصر، لألقيتُ حبلها علىٰ غاربها، وسقيتُ آخرَها بكأس أوّلِها**»[1]..

﴿ للهاشميّات وأهل بيت النبوّة والرسالة عليهم السلام، وقوله الكفرَ شعراً بعد وضع رأس الإمام الحسين عليه السلام بين يديه، وكونه من بني أُميّة الشجرة الملعونة في القرآن:

رمي الكعبة المشرّفة بالمنجنيق وهدمها وإحراقها، وقتل النفوس المحترمة، حتّىٰ قتل أكثر من عشرة آلاف نفس في وقعة الحرّة، واستباحة المدينة المنوّرة ثلاثة أيّام، وشرب الخمر، وترك الصلاة، واللعب بالطنابير والكلاب، ونكاح المحارم، ونهب الأموال، وهتك الأعراض والحرمات... وغيرها كثير.

أنظر مثلاً: الردّ علىٰ المتعصّب العنيد: ٥٣ ـ ٦٢، تذكرة الخواصّ: ٢٥٩ ـ ٢٦١.

(١) نهج البلاغة: ٥٠ الخطبة ٣.

ودعا إلىٰ سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة، وأقام الحجج، وأنار البراهين، مع الثبات الهائل والبأس المروّع، ودافع عن حقوق الدين والمسلمين بأحسن ما يفتخر به التاريخ من صادق الجدّ والتفادي في سبيل الله والإصلاح، إلىٰ أن جرىٰ علىٰ الإسلام والمسلمين في يوم الطفّ مثل ما جرىٰ في واقعة أُحد:

ولا مثلَ يومِ الطفِّ يومَ فجيعةٍ
لذِكراه في الأيّامِ ينقصمُ الظهرُ
يُذيبُ سُوَيدا القلبِ حزناً فعاذِر
إذا سفحت من ذوبها الأدمعُ الحمرُ[1]

وما كنت أحسب أنّ واحداً من الناس ـ حتّىٰ ممّن عرّقت فيه هند أو سميّة ـ يجترئ بكذبه، ويسوّد وجه المطبوعات بقوله في شأن الحسين عليه السلام: «فاعتبره يزيد ـ الخليفة الأموي، القائم بالأمر وقتئذٍ ـ ثائراً، فوجّه إليه جيشاً هزمه وقتله»!!

---

(١) البيتان من قصيدة للشيخ البلاغي رحمه الله، نظمها ردّاً علىٰ قصيدة أحد علماء بغداد المنكرين لوجود الإمام الثاني عشر، المهديّ الغائب المنتظَر عليه السلام، والتي بعثها إلىٰ علماء النجف الأشرف عام ١٣١٧ هـ، كما ذكرنا سابقاً.
أنظر: مقدّمة الإعداد والتحقيق، الصفحة ٢٥ ـ ٣٠.

ليت الكاتب يقول: إنَّ يزيد خليفة مَن ؟ ؟ !!

ومتىٰ قام بالأمر ؟!

ومتىٰ طُرحت حكومته أمام الجمهور ؟!

ومتىٰ رضي به المسلمون ؟!

أليس أوّل ما مات معاوية، وأراد أن يتسلّق إلىٰ الزعامة الجائرة، قامت عليه قيامة المسلمين من ها هنا وها هنا، كما يشهد به التاريخ في أسباب وقعة كربلاء، ووقعة الحرّة، ووقعة هدم الكعبة ؟!

ألَم يكن الحسين قد حبس يده الكريمة ـ في جملة الناس ـ عن البيعة الجائرة، وخرج من المدينة كما خرج رسول الله ﷺ من مكّة، وأمَّ الكوفة كما أمَّ رسول الله ﷺ المدينة ؟!

ولكن لمّا استفحل الجور والاستبداد، فوهن لذلك المستغيثون به، وغدروا به، جاشَ عليه الجيشُ العَرمرم[1] في

---

(١) جاشَت القِدر: إذا بدأت تغلي ولم تَغْلِ بعد، أو إذا غَلَت، وكذلك الصدر إذا لم يقدر صاحبه علىٰ حبس ما فيه.. وكلّ شيء يغلي فهو يجيش، حتّىٰ الهَمّ والغُصّة في الصدر.

وجاشَ البحرُ جَيْشاً وجُيُوشاً وجَيَشاناً: هاجَ فلم يُسْتَطَع ركوبُه.

وجاشَ الوادي يَجيشُ جيشاً: زَخَرَ وامتدَّ جدّاً.

وجاشَت الحربُ بينهم: إذا بدأت تغلي، وهو مجاز.

كربلاء، وهو في ثلّة يسيرة من أهل بيته وصفوة صحبه، فسامَه[١] الأعداء أن يستسلم ضارعاً لطاعة يزيد وحكم ابن مرجانة، ويخضع لبيعة الضلال..

فأبىٰ أن يعيشَ إلّا عزيزاً
أو تُجلّىٰ الكفاح وهو صريعُ[٢]

فوقف في وجه الحرب وأدار رحاها ثابت الجَنان، ماضي العزيمة، علىٰ بصيرة من أمره..

أَقَرُّ علىٰ الأرضِ مِن ظَهرِها إذا مَلْمَلَ الرعبُ أقرانَها
تزيدُ الطلاقةُ في وجهِهِ إذا غَيّرَ الرَّوعُ ألوانَها[٣]

---

[١] آنظر مادّة «جيش» في: لسان العرب ٢/ ٤٣٥، تاج العروس ٩/ ٧٧ ـ ٧٩.

والمعنىٰ المراد هنا علىٰ الكناية والمجاز: أنّ الجيش الكبير الجرّار قد تجمّع في أرض كربلاء وتهيّأ للحرب الحقودة.

والعَرَمْرَم: الجيش الكثير؛ آنظر: القاموس المحيط ٤/ ١٥١ مادّة «عرام»، تاج العروس ١٧/ ٤٧٣ مادّة «عرم».

(١) السَّوْم: أن تُجَشِّمَ إنساناً مشقّة أو سوءاً أو ظلماً؛ آنظر: لسان العرب ٦/ ٤٤٠ مادّة «سوم».

(٢) ديوان السيّد حيدر الحلّي ـ القسم الحسيني ـ: ٣٣.

والبيت من قصيدة بعنوان «كلّ عضو في الروع منه جموع»، مطلعها:

قد عهدنا الربوعَ وهي ربيعُ أينَ لا أينَ أُنسُها المجموعُ

(٣) ديوان السيّد حيدر الحلّي ـ القسم الحسيني ـ: ٤٨.

حتّىٰ قال أحد أعدائه من جيش ابن سعد: «فوالله ما رأيت مكثوراً قطّ قد قُتل وُلدُه وأهلُ بيتِه وصحبُه أربطَ جأشاً منه»[1].

ولمّا قضىٰ للعُلا حقَّها ... وشَيّدَ بالسيفِ بُنيانَها
ترجَّلَ للموتِ عن سابحٍ[2] ... لهُ أخْلَتِ الخيلُ مَيدانَها

* * *

غريباً أرىٰ يا غريبَ الطُّفوفِ ... تَوَسَّدَ خَدُّكَ كُثبانَها
وقَتْلَكَ صَبراً بأَيْدِ أبوكَ ... ثَناها وكَسَّرَ أوثانَها

وفي الديوان: «الخوفُ» بدل «الروعُ» من البيت الثاني.
والبيتان السابقان والأبيات الأربعة الآتية من قصيدة للسيّد حيدر الحلّي بعنوان «فنفس الأبيّ وما زانها» يرثي بها أبا الأحرار سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام، مطلعها:

تَركتَ حَشاكَ وسُلوانَها ... فَخَلِّ حَشايَ وأحزانَها

(١) أنظر: تاريخ الطبري ٣/٣٣٤ حوادث سنة ٦١ هـ، مقتل الحسين ـ للخوارزمي ـ ٢/٤٤، النهاية في غريب الحديث والأثر ٤/١٥٢ ـ ١٥٣ مادّة «كثر» وفيه:
«ومنه حديث مقتل الحسين عليه السلام: (ما رأينا مَكْثوراً أجرأ مَقْدَماً منه).. المكثور: المغلوب، وهو الذي تكاثر عليه الناس فقهروه، أي: ما رأينا مقهوراً أجرأ إقداماً منه».

(٢) في الديوان: «سابقٍ» بدلاً من «سابحٍ».
والسَّابِحُ: هو من الخيل الذي يحسن مَدّ يديه في الجَرْي.
والسَّابِقُ: هو الذي يسبق من الخيل.
أنظر: لسان العرب ٦/١٤٣ و ١٦١ مادّتَي «سبح» و «سبق».

وليت شعري مَن ذا الذي اجترأ وقال قبل هذا الكاتب: «إنّ جيش يزيد هزم الحسين»؟!

من أين هزمه؟! وإلىٰ أين هزمه؟!!..

ولعمري إنّ قتل الحسين عليه السلام، وانتهاك حرمة الرسول والإسلام بقتله، قد هزّ بناء الإسلام هزّاً عنيفاً، ولكنّه رفع الخداع، وأماط الستار عن الحقيقة، ومحّص الأمر، وأزال التمويه، وبصّر المرتاب، ونبّه الغافل، وأثار أهل الدين، فانجلىٰ بذلك غياهب كانت متراكمة، وفتح للرشد أبواباً كانت موصدة!

فإن لم يكن الحسين قد فتح بانتصاره، فقد فتح باب الهدىٰ بقتله، وأزال عن الدين معاثر التدليس، وكان من نتائج ذلك أن ثار الناس للتحرّر من الاستبداد القاسي، وطرح ذلك النِّيْر[1] الجائر عن أعناق الأُمّة المسكينة.

ومهما كان من الأمر، فإنّ العراقيل من سياسات تلك العصور لم تعرقل روح الحقّ من أن ينتعش في البصائر انتعاشاً جديداً باهراً، لم يزل ينمو علىٰ مرور الأيّام.

---

(١) النِّيْرُ: هو الخشبة المعترضة علىٰ عُنقَي الثورين المقرونَين للحراثة؛ أنظر: لسان العرب ١٤/ ٣٤٨ مادّة «نير».

والمعنىٰ: الظلم والقهر والهيمنة والتسلّط بغير حقٍّ؛ علىٰ المجاز هنا.

[الاعتقاد بالمهديّ عليه السلام]

* وأمّا قول الكاتب أخيراً : «**فمن الطبيعي ـ والحال هذه ـ أن يلجأ الناس إلىٰ العناية الإلٰهيّة ، وما لبثوا أن ساد الاعتقاد...**» **إلىٰ آخره.**

فقد أوضحنا في صدر الكلام أنّ هذا الاعتقاد إنّما هو من التعاليم الدينية بالبشرىٰ الإلٰهيّة.. مَن ذا الذي يجحدها أو يستهزئ بها ؟!

* ثمّ قال : «**أمّا المسلمون فيعتقدون أنّ هذا المهديّ سيظهر بعد اختفائه ، أي إنّه لم تعترِه الوفاة**».

لا يخفىٰ أنّ هذا هو اعتقاد الشيعة الاثني عشرية ، وقد وافقهم عليه عدّة من أهل السُنّة وعرفائهم ، وذكروه في كتبهم[1]..

---

(١) ومن جملة هؤلاء الّذين قالوا بولادته عليه السلام في ١٥ شعبان ٢٥٥ أو ٢٥٦ هـ :

١ ـ أبو نصر سهل بن عبدالله البخاري (كان حيّاً سنة ٣٤١هـ) ، في سرّ السلسلة العلوية : ٣٩ .

٢ ـ فخر الدين الرازي (٦٠٦ هـ) ، في الشجرة المباركة في أنساب

الطالبية : ٩٢ .

٣ ـ ابن الأثير علي بن محمّد الجزري (٦٣٠ هـ) ، في الكامل في التاريخ ٦ / ٢٤٩ ـ ٢٥٠ في آخر حوادث سنة ٢٦٠ هـ .

٤ ـ محيي الدين ابن العربي (٥٦٠ ـ ٦٣٨ هـ) في «الفتوحات المكّية» باب ٣٦٦ ، ونُقل ذلك عنه في مشارق الأنوار ـ للشيخ حسن العدوي الحمزاوي ـ : ١٣١ ، وفي اليواقيت والجواهر ـ للشعراني ـ ٢ / ١٤٤ ـ ١٤٥ .

٥ ـ شمس الدين التبريزي (٥٨٢ ـ ٦٤٥ هـ) ، كما في ينابيع المودّة ٣ / ٣٤٨ .

٦ ـ ابن طلحة الشافعي (٥٨٢ ـ ٦٥٢ هـ) ، في مطالب السؤول : ٣١١ .

٧ ـ سبط ابن الجوزي (٥٨١ ـ ٦٥٤ هـ) ، في تذكرة الخواصّ : ٣٢٥ .

٨ ـ الكنجي الشافعي (٦٥٨ هـ) ، في البيان في أخبار صاحب الزمان : ٥٢١ ب ٢٥ .

٩ ـ ابن خلّكان (٦٠٨ ـ ٦٨١ هـ) ، في وفيات الأعيان ٤ / ١٧٦ رقم ٥٦٢ .

١٠ ـ الجويني الخراساني (٦٤٤ ـ ٧٣٠ هـ) ، في فرائد السمطين ٢ / ٣٣٦ ـ ٣٣٨ ح ٥٩٠ و ٥٩١ .

١١ ـ ابن الصبّاغ المالكي (٧٨٤ ـ ٨٥٥ هـ) ، في الفصول المهمّة : ٢٩١ .

١٢ ـ ابن طولون الدمشقي الحنفي (٨٨٠ ـ ٩٥٣ هـ) ، في الأئمّة الاثنا عشر : ١١٧ .

١٣ ـ عبد الوهّاب الشعراني الشافعي (٩٧٣ هـ) ، في لواقح الأنوار

أمّا باقي أهل السُنّة فيقولون: إنّه سيولد[1].

* * *

في طبقات الأخيار ٢/١٣٩ رقم ٢٥ ترجمة الشيخ حسن العراقي، واليواقيت والجواهر ٢/١٤٣، ونقل ذلك عنه في استقصاء الإفحام: ٩٢.

١٤ ـ ابن حجر الهيتمي المكّي (٩٧٤ هـ)، في الصواعق المحرقة: ٣١٤.

١٥ ـ الشبراوي الشافعي (١١٧١ هـ)، في الإتحاف بحبّ الأشراف: ١٧٩.

١٦ ـ عبد الحقّ الدهلوي (٩٥٩ ـ ١٠٥٢ هـ)، في «مناقب وأحوال أئمّة أطهار»، ونقل ذلك عنه في استقصاء الإفحام: ١٠٦.

١٧ ـ العطّار النيسابوري، في «مظهر الصفات»، ونقل ذلك عنه في ينابيع المودّة ٣/٣٤٨ و ٣٥٠ و ص ٣٩٧ ح ٥٠ و ٥١.

١٨ ـ سليمان القندوزي الحنفي (١٢٢٠ ـ ١٢٩٤ هـ)، في ينابيع المودّة ٣/١٧١.

١٩ ـ الشبلنجي (١٣٠٨ هـ)، في نور الأبصار: ١٨٧.

٢٠ ـ عبد الرحمٰن باعَلَوي (١٣٢٠ هـ)، في بغية المسترشدين: ٢٩٦.

٢١ ـ خير الدين الزركلي (١٣١٠ ـ ١٣٩٦ هـ)، في الأعلام ٦/٨٠.

وأنظر كذلك: كشف الأستار: ٤٦ ـ ٩٣، وكتاب «الإمام الثاني عشر عليه السلام»، ففيهما ذِكر لكلمات مجموعة ممّن ذكرناهم أو غيرهم.

(١) كما هو المشهور المتداول بين الجمهور!

[ابن سبأ والسرداب]

* ثمّ قال الكاتب : «فقد قام رجل يسمّىٰ عبدالله بن سبأ أسلم في خلافة عثمان»..

وقال : «إنّ الإمام الثاني عشر من أئمّة الشيعة، وهو: محمّد بن الحسن العسكري، دخل في سرداب بدارهم في الحِلّة وغاب هناك، وسيخرج في آخر الزمان فيملأ الأرض عدلاً، وقد تبع ذلك الرجل في رأيه جماعة من الشيعة، وهم الآن ينتظرونه، ولذا يسمّونه المنتظَر، ويقفون كلّ ليلة بباب ذلك السرداب الذي يزعمون أنّ الإمام اختبأ بداخله فيهتفون باسمه ويدعونه للخروج حتّىٰ يغشاهم الليل، فينفضّون ويرجئون الأمر إلىٰ الليلة الثانية».

وقد ذكرنا هذا الكلام علىٰ طوله، لكي يبتهج بصدقه وأمانته ومعارفه أبناء هذا العصر! وتفتخر المطبوعات بمثل هذه التحريرات الراقية!

بَخٍ بَخٍ! زِهْ زِهْ[1]! فإنّ هذا الكاتب يقول: إنّ عبدالله بن

---

(١) بَخٍ: كلمة فَخْر، وتقال عند تعظيم الإنسان، وعند التعجّب من

سبأ ، الذي أسلم في أيّام عثمان ، وقتله عليٌّ في أيّامه بالكوفة من أجل إصراره على الغلوّ والكفر ، فإنّه ادّعى ألوهيّة عليٍّ عليه السلام ، وأصرّ على ذلك . .

هذا الرجل الذي أسلم في أيّام عثمان ، وقتله عليٌّ عليه السلام قبل سنة الأربعين من الهجرة[1] ، نهض بعد سنة ستّين ومئتين وقال بالقول المذكور ! !

فيا للأسف على الإنسانية وشرفها وكرامة العلم والتاريخ ! !

ولا ينبغي أن يخفى على أحد أنّه لم يُعهد لأحد من الأئمّة الاثني عشر ، ولم يُعرف له مكث في الحلّة ، ولا سكنىً ، ولا دار ، ولا سرداب ! بل لم تكن الحلّة في زمانهم موجودة ! ![2] .

الشيء ، وعند المدح والرضا بالشيء ؛ وقد تستعمل للإنكار .
آنظر مادّة «بخخ» في : لسان العرب ١ / ٣٢٩ ـ ٣٣٠ ، تاج العروس ٤ / ٢٥٧ .
زِهْ : كلمة تقال عند التعجّب والاستحسان بالشيء ؛ آنظر : تاج العروس ١٩ / ٤١ مادّة «زهه» .

(١) آنظر : ميزان الاعتدال ٤ / ١٠٥ رقم ٤٣٤٧ ، إختيار معرفة الرجال ١ / ٣٢٣ رقم ١٧٠ و ١٧١ ، نقد الرجال ٣ / ١٠٨ ـ ١٠٩ رقم ٣٠٩١ .

(٢) فإنّ أوّل من بنىٰ مدينة الحلّة بالجامعين وسكنها هو سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبيس بن علي بن مزيد الأسدي ، وذلك في سنة ٤٩٥ هـ ، وإنّما كان يسكن هو وآباؤه ومن قبله في البيوت العربية .
آنظر : الكامل في التاريخ ٩ / ٦٠ حوادث سنة ٤٩٥ هـ .

وإنّما مكث الهادي والعسكري عليهما السلام في سرّ من رأىٰ بجلب الملك العبّاسي وحبسه لهما فيها بحبس النظر، وفيها وُلد المهديّ سنة مئتين وستّ وخمسين[١].

وكان آخر ما ظهر من شؤونه فيها هو أنّ الملك العبّاسي صار يتتبّع آثار المهديّ بعد أبيه بالطلب الحثيث، ومن ذلك أنّ شرطته هجموا علىٰ المهديّ في السرداب، فجَرَت له كرامة حجبتهم عنه[٢]، فكانت للسرداب بتلك الكرامة مزية عند الشيعة.

ولا ينبغي أن يجهل أحدٌ أنّ اعتقاد الشيعة هو أنّ المهديّ قاطن علىٰ وجه الأرض، يتمتّع بحياته بين الناس، وهو

---

(١) الكافي ١/ ٤٣١ ح ١ باب مولد الصاحب عليه السلام.

(٢) آنظر: الخرائج والجرائح ١/ ٤٦٠ ح ٥، كشف الغمّة ٢/ ٤٩٩ ـ ٥٠٠، بحار الأنوار ٥٢/ ٥٢ ح ٣٧ عن الخرائج، الفصول المهمّة: ٢٩٣.

وللميرزا النوري رحمه الله شرح وتوضيح لمسألة السرداب وما أُثير حوله من أقاويل جدير بالقراءة؛ آنظر: خاتمة كتابه كشف الأستار: ٢٠٩ ـ ٢٤٠.

وللأعلام: الشيخ محمّد جواد البلاغي والسيّد محسن الأمين والشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء رحمهم الله ردود منظومة علىٰ ما حيك من شبهات حول السرداب، نظموها ردّاً علىٰ القصيدة التي وردت النجف الأشرف من أحد علماء بغداد، التي أشرنا إليها سابقاً؛ آنظر: كشف الأستار (ملحق الكتاب): ٢٤١ ـ ٢٨٨.

محجوب عن معرفتهم له، إلىٰ أن يأذن الله له بالظهور.

فالشيعة إذا زاروا مرقد الهادي والعسكري عليهما السلام في سرّ من رأىٰ قصدوا السرداب المذكور، ليلاً أو نهاراً، لأجل بركته بتلك المزية المذكورة، فيصلّون فيه، ويدعون الله بالفرج وظهور المهديّ، علىٰ جاري عادتهم من اغتنام الدعاء في مظانّ الإجابة من الأزمنة الشريفة والأماكن المباركة.

ولا ينبغي للكاتب ـ في مثل هذا العصر ـ أن يبدي قيمة أمانته ومعارفه بمثل هذه التواريخ الكاذبة المتهافتة السخيفة!

ولا عذر له في ذلك، وإنْ سبقه فيه بعض المصنّفين في الملل والنحل من بعض ذوي الشهرة![1].

وإنْ كانت لأحدٍ مناقشة في معارف دين الإسلام، أو في أمر المهديّ، فَلْيُبْدِ للحقّ صفحتَه؛ لنورد عليه أدلّتنا من المعقول والمنقول، والله المعين، وهو الهادي إلىٰ سواء السبيل.

وفي شأن الاعتقاد بأمر المهديّ وظهوره، يقول الكاتب المذكور ـ في بعض كلامه المشار إليه ـ: «**وكان لهذه العقيدة نتيجة سيّئة في الأُمم الإسلامية، إذ ساغ لكثير من الدجّالين أو المعتوهين أن يدّعوا أنهم ذلك المهديّ المختبئ**».

---

(١) أنظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل ٣/ ١١٤، منهاج السُنّة ١/ ٤٤ ـ ٤٥.

مهلاً أيّها الكاتب! فإنّ أمثال هذه النتيجة جرت في أمر الإلٰهيّة، حيث ادّعاها البشر الناقصون أو ادُّعيت لهم..

وجرت في أمر النبوّة والرسالة، حيث ادّعاها بعد الإسلام مسيلمة وسَجاحِ[1] و.. و.. و..

والعهد القديم والعهد الجديد يتعرّضان لكثرة المدّعين للنبوّة كذباً![2].

وإنّ مثل هذه النتائج إنّما هي نتائج التدجيل والضلال، لا نتائج الحقائق!

إذاً فماذا تقول في أمر الإلٰهيّة والنبوّة والرسالة مع ما ذكرناه من نتائج السوء؟!

وسبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون..

ولنكتفِ بهذا المقدار، والله الهادي، وهو المستعان.

النجف (ب)

* * *

---

(١) أنظر مثلاً: تاريخ الطبري ٢/٢٦٨ ـ ٢٧١.

(٢) أنظر: سفر التثنية: الأصحاح ١٨/١٩، سفر الملوك الأوّل: الأصحاح ٢٢/٥ ـ ٢٣، سفر أرميا: الأصحاح ١٤/١٤ و ١٥، سفر أرميا: الأصحاح ٢٣/١٤، رسالة بطرس الثانية: الأصحاح ١/٢٠ و ٢١.

٣

البلاغ المبين

كلمـة الناشـــر

في الطبعـة الأُولىٰ

بسمه تعالىٰ

كلمة الناشر

الحمد لله ، والصلاة علىٰ نبيّه وآله الكرام .

وبعد . .

فقد ألّف القدماء طريقة الجدل الأُولىٰ في محاوراتهم ومباحثهم ، فصاروا مقيّدين بها ، وأصبح النظر إلىٰ تحقّق أُصول المنطق ومبادئ النظريّات الفلسفية في البراهين العقلية لازم قبل المادّة التي عُيّنت غرضاً وأُخذت غاية . .

وهذا ما جعل مطالعة الكتب القديمة غير مألوفة لناشئة العصر الجديد ، وغير متّبعة في تحرّي الحقائق والبحث عن المواضيع .

أضف إلىٰ ذلك أنّ الاستدلالات الدينية والشواهد المجرّدة كانت تؤخذ بنظر الاعتبار ، وحتّىٰ في مقام المناظرة لإثبات أُصول الدين نفسه .

وهذا مسلك ربّما لا يطمئنّ إليه الباحثُ ، ولا يتجشّم صعوبة النظر فيه المحقّقُ .

وقد استمرّت هذه الطريقة مألوفة وحتّىٰ في رسائل المتأخّرين !

أمّا الرسالة التي نضعها بين يدَي القرّاء الكرام الآن ، والتي نقدّمها كهدية نسدّ بها فراغ الوقت الذي تحتجب فيه «الهدىٰ» في عطلتها ، فحَرِيّة بأن تكون الأُولىٰ في بابها ، وجديرة بأن تُعدّ السابقة في وضعها ، وخليقة أن تعتبر خطّتها في البحث والنظر المجدِّدة .

ونظنّ أنّ القارئ الكريم سيجد في مطالعتها لذّة ، ومن تتبُّع مواضيعها فائدة ، لِما انطوت عليه فصولها من البحث الملذّ ، وجمعته من الفوائد الغزيرة ، مع ما آتّبعه المؤلّف فيها من الاعتماد علىٰ أدلّة العقل ، والاستشهاد بمظاهر الكون ومخترعات العصر الحديث ؛ فهي أنفس هديّة تُقدّم إلىٰ القرّاء الكرام ، وأحسن سلوة يُسدّ به فراغ العطلة . .

نمّقها يراع أحد النياقدة الأعلام من جهابذة كُتّاب النجف الأشرف ، وهو الذي ما كتب في موضوع إلّا وأعطاه حقّه ، وإنّما لم أُصرّح باسمه الشريف امتثالاً لأمره المطاع .

والله هو المستعان في كلّ قصد ، وإنّه وليّ التوفيق .

عبد المطّلب الحسيني الهاشمي

صاحب مجلّة «الهدىٰ»

بسم الله الرحمن الرحيم

وله الحمد ، وهو المستعان ،

والصلاة والسلام علىٰ جميع أنبيائه ورسله ،

وخصوص خاتمهم ، وآله الطاهرين .

لسان حال .. وتخييل

عبد الله : جمعتني مرحلة هذه النشأة مع مسافر لا يَعرفُ غايتَه .. وغير غريب من عاطفة الإنسانية وحبّ الخير للبشر وواجب الحقيقة ، أن تلجئني إلىٰ إدارة الكلام بيني وبينه في الشؤون النافعة .. لعلّما نستثمر من مَخض الكلام زبدةً ، ونجني من غراسه ثمراً ؛ فقلت له :

هل لك ميل إلىٰ المحادثة في ما يُرجىٰ نفعه ويُؤدّىٰ به واجب هذا السفر وهذه الصحبة ؟

رمزي : أجل ! وليكن الكلام في ما نقضي به الوقت وأنال به لـذّة !

عبد الله : إنّ العقلاء من البشر يعملون أعمالهم ويتكلّمون بكلامهم لأجل أن تكون غراساً صالحاً للاستثمار في المستقبل ، في نظام الحياة ، ونيل الفضيلة في المعارف والأخلاق الفاضلة .

وأمّا ما لا غاية فيه إلّا اللـذّة الوقتية وتقضّي الوقت ، فإنّ العمر الشريف يذهب به ضياعاً .. وربّما تعدّىٰ عنه الخسران إلىٰ رذيلة الانحطاط والضرر الباهظ في المستقبل !

رمزي : ما علينا بكيت وكيت .. حدِّثني بما يؤنسني من

التاريخ وأحوال البلدان .

عبد الله : من الممكن أن أُؤدّي واجب الحقيقة وأُؤانسك .

رمزي : يا صاحبي ! ما آسمك ؟

عبد الله : اسمي عبد الله .

رمزي : أليس من العجيب أنّ الإنسان يُلقي نفسه في أسر العبودية وقيود المحكومية ؟ !

عبد الله : هل تسمح بأن نخوض في هذا الشأن .. وتُقْبِل علىٰ كلامي بسمعك وشعورك ؟

رمزي : لا يهون عليَّ أن أُكدِّر صفاء لذّاتي ، وأُهدّد حرّيّتي بما تحاول أن تجعلني به تحت نير عبودية ، وأغلال طاعة ، وقيودِ : افعل هذا ، لا تفعل هذا .. حدِّثني بما يؤنسني من التاريخ وأحوال البلدان .

عبد الله : نعم .. ومن الممكن أن لا يكون الحديث أجنبيّاً عمّا يجب علَيَّ للحقيقة والإنسانية .

كان أهل البصرة يشترون كثيراً من العبيد والإماء من سودان إفريقا ، ويجعلونهم عَمَلةً في بساتينهم وسفنهم النهرية والبحرية وفي محالّ تجارتهم ، ويزوّجون العبيد بالإماء محافظةً علىٰ عفّتهم ، فيتناسلون ويكونون ذوي بيوت وأولاد وإدارات ،

وكلّهم يأكلون من نفقات مواليهم ، ويتدرّجون بالتعليم والتربية قليلاً قليلاً في الحضارة وآداب المدنيـة .

رمزي : إنّي قرأت في المدرسة جغرافية البصرة الطبيعية ، فأتمِم حديثك في جغرافيتها الاقتصادية ؟

عبـد الله : وقد كان في بساتين شخصٍ من أهـل البـصرة وسفنه ومواقع تجارته جماعة كثيرة من هؤلاء السـودان ، ومـن جملتهم جماعة ممّن نشأ في وطـنه مـن بـلاد السـودان وآنَسَ بعاداتهم الوحشية ، وكلّ واحد من هؤلاء يتألّم كثيراً ويشكو إلىٰ أبناء جلدته من قيود عادات البصرة ، من نحو تأديب الموالي ، وتعليمهم للعبـيد آداب الحضارة ، ومن تعلّم الأعمال والأشغال ، والاشتغال بتحصيل الأموال ، وترتيب إدارة البيت ، والنـظر فـي العواقب ، ومداراة العيال والأولاد ، وتربية الأولاد وتأديبهم . .

وكثيراً ما كانت هـذه الجـماعة يـتمنّون الفـرار مـن هـذه الأحوال المدنية التي يرونها قيوداً باهظة ، فيتلهّفون علىٰ الرجوع إلىٰ وحشية إفـريقا ، ويـدور ذلك فـي حـديثهم مـع أصـحابهم السودان المتولّدين في البصـرة .

رمزي : وما هـي وضـعية السـودان وحـالهم فـي بـراري إفريقا ؟

عبـد الله : قبائل البمباس والزنج في براري إفريقا ، كـلّهم

رجالاً ونساءً، عراة ليس عليهم لباس ولا ساتر أصلاً!

نعم، المرأة منهم في أيّام حيضها تضع علىٰ عورتها ورقة من بعض الشجر علامة علىٰ أنّها حائض.

وإنّ الرئيس منهم لا يزيد علىٰ أن يتوشّح بوشاح من قماش أبيض لا يزيد عرضه علىٰ أربعة أصابع أو خمسة، يجري مجرىٰ حمائل السيف؛ لكي يكون وساماً للرئاسة.

وربّما يكون بعضهم خادماً عند النزلاء في جزيرة زنجبار، فيلجئه المخدوم إلىٰ ستر عورته فيتّزر بمئزر، فإذا سخط علىٰ مخدومه، وعزم وجزم علىٰ مفارقته والرجوع إلىٰ أرضه ووحشيّته، كانت العلامة علىٰ إصراره علىٰ المفارقة النهائية أن يحلّ المئزر وينزعه من وسطه، ويطويه ويرمي به في وجه مخدومه!!

ولهم في طرف النهار مسارح رقص، يجتمعون فيها رجالاً ونساءً، ويسمّون هذه المراقص: «هيوة»، ولهم مسكر مخصوص يسمّونه: «بوزة»، وبحالة السكر وطرب الهيوة ـ وهم عراة علىٰ العادة ـ يرقص نساؤهم ورجالهم معاً!

ومن أحوال رقصهم، أن يلصق كلٌّ منهم عجيزته بعجيزة الآخر، سواءً كان رجلاً أم امرأة!

ومن شدّة السكر والطرب والرقص الماعزي السخالي

تزبد أفواههم ، فيعلو من ذلك على شفاههم ووجوههم السود ما يكون له منظر غريب مضحك !

رمزي : إنّ هذا لتوحّش غريب !

عبدالله : يا للعجب ! أَوَأنت تقول ذلك ؟ !!

رمزي : وماذا كان من حكاية سودان البصرة ؟

عبدالله : ولم يزل أُولئك السودان الناشئون في إفريقا يحاورون أصحابهم من السودان الناشئين في البصرة ، ويحسّنون لهم أحوال بلادهم في إفريقا وأوضاع السودان هناك ، حتّى حصلوا على موافقتهم في الرأي ، وآستقرّ رأيهم جميعاً على الفرار ..

فعيّنوا لهم سفينة بحرية من سفن مولاهم ، وخصّصوا واحداً منهم ربّاناً للسفينة وبعضهم نواتي (ملّاحين) ؛ لكي يصلوا بأجمعهم من طريق البحر سريعاً إلى براري السودان من إفريقا ..

وبعد هزيع من الليل خرجوا جميعاً ، رجالاً ونساءً وأطفالاً ، من غير استعداد للسفر ولا زاد ، ودخلوا السفينة وقد شربوا من مسكرهم (البوزة) حتّى أخذهم السكر .. وفي خيالات السكر رفعوا شراع السفينة من دون أن يحلّوا رباطتها ويقلعوا مراسيها وأناجرها .

هـذا، وخيال السكر والحمق السوداني يـخيّلان لهـم أنّ السفينة تجري بسرعة فائقة، مع أنّها واقفة راسية لا تزول من مقرّها إلّا بمقدار ما تهزّها الأمواج العادية.

وبعد سويعة سألوا الربّان قائلين: أيـن وصـل بـنا سـيرنا السريع؟

فقال: قد تجاوزنا الفاو[1] ودخلنا البحـر.

فعند ذلك صفّـقوا تصفيقاً حادّاً، ونزعوا بأجمعهم ـ رجالاً ونساءً ـ كلَّ ما عليهم من اللباس ورموا به في الماء، وصـاروا بأجمعهم عراة بلا ساتر للـعورة، وآشـتغل رجـالهم ونسـاؤهم بالرقص والنشـيد السوداني.

رمزي: وماذا كان نشـيدهم؟ ألا تترجمه لي بالعربيـة؟!

عبـد الله: نَشـيدُهم: نمضي بحرّيّتنا أحراراً.. وليس لنـا مولىٰ.. كلّ واحد حرّ.. برئنا من الملابس.. من هـو المـولىٰ ومن يكون؟! ما هي البصرة؟! ما هي الدار والغرف؟! ما هي البسـتان؟! ما هي التجارة؟! مـا هـي الأعـمال والصـناعات؟! نحن غزلان الفلاة.. لتحيا الهيوة.. لتحيا البوزة!

رمزي: وماذا صار من أمرهم؟

---

(١) الفاو: مدينة في أقصىٰ جنوب العراق، تقع علىٰ مصبّ شطّ العرب بالخليج العـربي.

عبد الله : وإذ كانت الريح تلاعب الشراع من سفينتهم الواقفة ، أخذهم الأُنس والطرب ، وخَيّل لهم السكرُ أنّ السفينة تسير بهم كالبرق الخاطف ! فسألوا الربّان قائلين : أين بلغ بنا هذا السير السريع السعيد ؟

فنظر الربّان بخيال السكر إلىٰ دور العَشّار[1] والنخيل ، فقال : ما لكم ؟! ألا تنظرون ذات اليمين إلىٰ دور البحرين ونخيلها ؟!

ثمّ مضت سويعة ، فسألوا الربّان قائلين : أين بلغ بنا سيرنا السريع المبارك ؟

فنظر ذات اليسار ، فرأىٰ شبح الجانب الشرقي المقابل للعَشّار ، فقال : قد قابلنا بندر عبّاس[2] ، وقارَبْنا بوغاز هرمز[3] !

وبعد ساعة غلب النعاس وخيالات السكر علىٰ عينَي الربّان فصاح بالنواتي : غَيِّروا وضع الشراع ، غَيِّروا وضع الشراع سريعاً ، لكي نبعد عن مَسقط ، فإنّ في قربنا إلىٰ مَسقط مخاطرة كبيرة ، ولعلّنا قبل الصبح بهذا السير السريع السعيد نجاوز باب المندب إلىٰ سواحل إفريقا فنستريح من بحر العرب وأخطاره . .

---

(١) العَشّار : حيٌّ من أكبر أحياء البصرة .

(٢) بندر عبّاس : من أكبر موانئ إيران ، يقع إلىٰ الجنوب الغربي منها علىٰ شواطئ الخليج العربي .

(٣) هو مضيق هرمز .

صفِّقوا صفِّقوا.. ارقصوا ارقصوا!

فلمّا أصبح الصباح، جاء أهل العَشّار إلىٰ الشاطئ فرأوا سفينة راسية واقفة مربوطة، وشراعها مرفوع يخفق، وهي مملوءة من أشباه الماعز والسخال، من السودان العراة، وهم مشغولون بالتصفيق والرقص والنشيد بأشنع منظر مضحك!

فجاء خدّام مولاهم، فساقوا أُولئك السود بأجمعهم كقطيع الماعز، علىٰ تلك الحالة الشنيعة المضحكة إلىٰ مولاهم ونكال الجزاء!

رمزي، صار يضحك كثيراً ويقول: يا للعجب من وحشية هؤلاء وعدم شعورهم!

عبدالله ـ يقول له[1] ـ:

عجباً!! ينظر في مرآته ثمّ لا يعرف منها صورته!!

رمزي: قد فرغنا من هذا الحديث المضحك؛ فقل لي ما معنىٰ تسميتك بعبدالله؟

عبدالله: إنّي منزعج من أحوال بعض الأشخاص، بحيث لم يُبْقِ لي الانزعاج حالاً وفِكراً لردّ جوابك.. وسأذكر لك حال هذا الشخص لكي تعتبر وتعرف أنّه إلىٰ أيّ حدٍّ يبلغ اتّباع الهوىٰ والضلال والشقاء وعدم الحياء!

---

(١) أي يقول له في نفسه، ولم يُبْدِه له.

رمزي : نعم .. إنَّ حال بعض الناس في الغيّ لا يكاد يوزن بميزان ، ولا يقف في السوء على حدٍّ محدود ؛ فاذكر لي حال هذا الشخص الذي أزعجك .

عبدالله : هذا ولد يعيش بالرغد والرفاهية في نعمة أبيه الرؤوف ، وأبوه ذو علم وكمال فائقَين ، ومن أجل كماله ورأفته وحبّه للخير هيّأ لولده جميع أسباب الرقيّ والسعادة والتربية الصالحة ، فأعدّ لولده معلِّمين كاملين ومرشدِين صالحين ، وجعل له صاحباً ملازماً ناصحاً عاقلاً مشفقاً خبيراً ، وعرّفه جميع أسباب الترقّي والانحطاط والسعادة والشقاء ..

وأكملَ ذلك بكلّ ما يبعث على أعمال الخير والصلاح من الترغيب والوعد الصادق بالجزاء ، وبكلّ ما يزجر عن أعمال السوء من الإرهاب والوعيد والإنذار .

وهذا الولد لا استغناء له عن نعمة أبيه في حال من الأحوال .. وهذا الأب لا حاجة له إلى هذا الولد بوجه من الوجوه .. ولم يكن له في تكميل الولد وتهذيبه حاجة ولا غرض إلّا حبّه للخير والصلاح والكمال وترقّي الولد في معارج السعادة .. والولد يعرف هذا كلّه .. فإنّه أمر لا تستره الغباوة ..

ولكنّ هذا الولد الشقيّ لا يزال يقابل هذا الأب الكامل

المحسن الرؤوف بأنواع أعمال السوء والفحشاء، وبالأخلاق الرذيلة بتمام الصلافة وعدم الحياء..

ومن الاتّفاق أنّي رأيت هذا الولد مشغولاً ـ بمرأىً ومسمع ومحضر من الأب ـ بأعمال الشرّ والقبائح والفساد والأخلاق القبيحة!..

فقلت للولد: يا للعجب!! حتّىٰ متىٰ تتمادىٰ في هذا الغيّ؟! أما تستحي من هذا الأب الجليل الكامل، وليّ نعمتك والرؤوف بك، ولا تخاف من غضبه ونكاله وأنت تعمل بمحضره ومرآه كلَّ ما تريد من الأعمال الرديئة الذميمة من دون حياء ولا مبالاة؟!!

فقال لي: لا أرىٰ لي أباً!

فقلت له: ليس بينك وبينه مسافة بعيدة، ولا حائل، ولا ظلام، وها هي الشمس مشرقة، فكيف لا ترىٰ أباك؟!

فقال: لا أراه أصلاً ورأساً! وإنّ الشمس إلىٰ الآن لم تظهر من الأُفق!

فقلت له: ها هي الشمسُ مشرقةً في وسط السماء، وليس بينك وبينها حاجب أو غيم!

فقال: لا أرىٰ شمساً أصلاً!

فتخيّلت من كلامه هذا أنّه قد فاجأه العمىٰ فعميت عيناه

دفعةً واحدة! فأردت أن أمتحنه وأستعلم الحال، فقلت له: إنّ معي مكتوباً ضئيل الكتابة جدّاً فهل تقدر علىٰ قراءته؟

فقال: هل في قراءة الكتابة عجب؟!

قلت: هل معك نظّارة مكبّرة؟ فإنّ معي خاتماً ضئيل الكتابة جدّاً.

فأخذه وقرأه من دون نظّارة! وأجريت معه من هذا القبيل امتحانات كثيرة، وهو في جميع ذلك يبصر إبصاراً حسناً!

وقال: هل عندك فوق هذا ممّا تمتحن به بصري؟! لماذا لا أُبصر أمثال هذه؟! والحال أنّ عينَيَّ صحيحتان قويّتان، والجوّ صافٍ منير، والشمس مشرقة في وسط السماء قريب الهاجِرة[1]!

فقلت له: إذاً كيف قلت قبل سويعة: إنّي لا أرىٰ لي أباً، ولا أرىٰ شمساً؟!

فقال: دع عنك هذه الأقاويل التي تريد أن تكدّر بها صفاء لذّاتي وحرّيّتي في شهواتي.. أنا ليس لي أب! خرجت من ثقب الجدار! اتركني لحالي لكي أنال لذّاتي براحة فكر، من دون تصوّر تهديد وعراقيل مكدّرة لعيش الأهواء.

---

(١) الهاجرة: نصف النهار عند اشتداد الحرّ؛ آنظر: لسان العرب ١٥/ ٣٤ مادّة «هجر».

رمزي : يا للعجب لهذا الإنسان الساقط الذي لا حسّ له ولا شعور، ولا شرف إنسانية ولا حياء.

عبـد الله :

عـجباً!! ينـظر فـي مـرآتـه ثمّ لا يعرف منها صـورته!!

رمزي : إنّي أسألك سؤالاً.. وأنت تـلهيني وتـحيد عـن جوابي، وتحكي لي قصّة إنسان ساقط، عديم الشعور والشرف والوجدان.. قل لي ما معنىٰ تسميتك بعبـدالله ؟!

عبـد الله : ما ألهيتُك ولا حِدْت عن جوابك، وما خرجت عن مقام الجواب، ولكـنّي أُكـرّر قولي ويا للأسف :

عـجباً!! ينـظر فـي مـرآتـه ثمّ لا يعرف منها صـورته!!

رمزي : لا تتكلّم بالألغاز حياداً عن الجواب.. أجبني عن سؤالي بالصراحة!

عبـد الله : قبل مئتَي سنة، هل كـنّا أنا وأنت موجودين ؟!

وهذه النخيل والأشجار والحبوب، التي نأكل منها طعاماً شهيّاً وثماراً جَنِيّـة، هل كانت موجودة ؟!

وهذا الصوف والحرير والقطن، التي اتّخذنا منها لباسـنا، هل كانت موجودة ؟!

رمزي : لماذا تقول : قبل مـئتَي سـنة ؟! كـلّ هـذا الذي ذكرتَ لم يكن موجوداً قبل مئة سـنة.

عبدالله : الأشياء التي لم تكن موجودة قبل مئة سنة ، أفلا تحتاج في وجودها إلىٰ علّة توجدها ؟!

رمزي : أجل .. لا شكّ في أنّ الموجود الحادث بعد عدمه محتاج إلىٰ علّة موجدة له ؛ فإنّ الموجود الحادث لا يُمكن ولا يُتصوَّر أن يوجَد بلا علّة توجده ؛ وإنّ جميع الموجودات العالمية جارية علىٰ هذا المجرىٰ .

وهذا الأمر بديهي وفطري ، يجري علىٰ فطريّته حتّىٰ الأطفال الرضّع والحيوانات .. ترىٰ الطفل الرضيع والحيوان إذا سمع صوتاً أو جَلَبة فإنّه يعلم أنّه له علّة أوجدته ؛ ومن أجل ذلك يصير يتجسّس عن العلّة لكي يعرف ما هي ! فيستنتج نتيجته في رجائه وخوفه ومستقبله .. هذا أمر بديهي ليس لأحد فيه كلام .

عبدالله : إذاً فالعلّة والمُوجِد ـ الذي أوجدني وأوجدك وأوجد كلَّ إنسان وحيوان ونبات ، وجميع العالم العلوي والسفلي ـ هذا هو : الإلٰه ربّ العالمين ، ومِن أسمائه المقدّسة : « **الله** » .

إذاً فأنا وأنت ، وكلّ إنسان ، وحياةُ كلِّ حيّ وبقاؤه ، ولوازم المعيشة ، وأنواع الفوائد والمنافع ؛ هذه كلّها من نعمة هذا الإلٰه الخالق ؛ فكلّ إنسان هو : « **عبدالله** » .. ولأجل شكر النعمة

والاعتراف بالحقيقة سمّاني أبواي «عبدالله».

رمزي: من أين علمتَ أنّ علّة الإيجاد وموجِد العالَم أوجدَ الكائنات بإرادةٍ وعلمٍ وحكمةٍ لكي يكون خالقاً منعماً؟!

ولعلّ علّة الإيجاد تُعلَّل بالتعليل الطبيعي بلا إرادة، ولا شعور بالغاية، ولا علم، ولا حكمة.. وفي هذه الصورة لا يكون في البين إنعامٌ، ولا خالقٌ بإرادة، ولا منعمٌ!!

عبدالله: إنّي قد قلت ما قلته عن علم وحجّة واضحة؛ فاصغِ إليَّ بسمعك، وتوجّه إليَّ بشعورك وقلبك، لكي أُنبّهك علىٰ حجّتي في ما قلته لك، فإنّ ما أقوله واضح جليّ لا يحتاج إلىٰ تعمّق في الحجّة وإتعاب للفكر.

نعم، لا ينبغي للإنسان ها هنا أن يعشو عشوة الخفّاش في ضياء الشمس، ولا يطفر بعناده طفرات عديمي الشرف بالجحود الأعمىٰ.

رمزي: لا تتعب نفسك.. فإنّه يقال: لا علّة لوجود العالَم إلّا الطبيعة العمياء البكماء عديمة الشعور والإرادة، ولا تعليل إلّا بالتعليل الطبيعي.. فأين الخالقية بالإرادة؟! وأين الخالق؟! وأين الإنعام والمنعِم؟!

أفلا ينبغي الأسف علىٰ إنسان عاقل إذ يجعل نفسه باختياره ـ من دون وجه ولا داع ـ في أسر العبودية لهذه الطبيعة

العمياء فاقدة الشعور ؟!

عبد الله : دع عنك يا رمزي هذه الشفقة التافهة السخيفة .. فإنّه ليس في حجّتي تعب ، وليس عليَّ في احتجاجي للحقيقة كلفة ، ولا في إقامة أدلّتي مشقّة ، بل إنّ البيان ـ الذي هو من فرائض الحقيقة وواجبات الإرشاد ـ يلزم أن يقال لكي تتنوّر به الأفكار ويُهتدىٰ به في سبيل الصواب ؛ وليَ الشرف والابتهاج في ذلك .

رمزي : قل ما عندك .. وأنا أيضاً أقول ما عندي .. فإنّ حقّ الكلام ليس لك وحدك !

عبد الله : نعم ، إنّ حسن التفاهم ورفع معاثر الشبهات يقتضيان أن أقول ما عندي وتقول ما عندك ؛ لكي يصفو جوّ الحقيقة من غبار الشبهات وأوهام الشكوك ..

ولكن يا صاحبي ! إنّك تعلم أنّ الإنسان معرّض للأمراض الدماغية ، من أنواع الماليخوليا ونحوها من فنون الجنون ، ومعرّض لاغتشاش الحواسّ والشعور ..

وأيضاً : ربّما يكون الإنسان لا يريد أن يتكلّم مع صاحبه بالكلام الجدّي لقصد الإفهام والتفهيم ، بل يريد أن يضيّع الوقت ويضطهد الإنسانية بالكلام الاستهزائي الفارغ ، فيسرد الألفاظ الكثيرة بدون معنىً مقصود .

ومع هذه الأحوال، من أين ؟! وبأيّ وجه وميزان أعلم أنّك تتكلّم معي عن عقل وشعور، وإرادة وآختيار، وجدٍّ وقصدٍ للتفهيم ؟!

وأنت أيضاً، من أين تعلم أنّ كلامي معك علىٰ هذا النهج ؟! لكي يتبادل التفاهم بيننا ولا يذهب الوقت والحقيقة علينا ضياعاً..

أفلا يلزم في مقام الاحتجاج والمكالمة أن يكون كلٌّ من المتكالمَين يعلم أنّ صاحبه تكلّم عن شعور وإرادة وجدٍّ في قصد التفهيم ؟!

رمزي : نعم، يلزم ذلك.

عبدالله : إذاً أفلا يلزم أن نعرف الميزان الذي يبيّن لنا أنّ هذه الأعمال والأقوال صادرة عن إرادة وشعور وعقل وجدٍّ وحكمة وقصد للغاية، ويميّزها من الأعمال والأقوال اللاغية الفاقدة لهذه المزايا، والصادرة لا عن إرادة ولا شعور ولا حكمة ولا جدٍّ ؟!

لكي نميّز بهذا الميزان كلامنا الذي يدور بيننا، فنسير في سبيل التفاهم وطلب الحقيقة علىٰ نهج مستقيم وأُصول ممهَّدة.

وإن لم يكن بيدنا هذا الميزان في مكالمتنا، فمن أين نميّز

وجوه الكلام فيها ؟!

أم هل يصحّ للعاقل أن يضيّع وقته بلا استناد إلىٰ دلالة ميزان مميّز يحصل بتمييزه نتيجة ، ويعتصم به عن الاشتباه ؟!

رمزي : يا للعجب من هذا الكلام !! ألا ترىٰ كلّ أفراد البشر ، من الكبير إلىٰ الطفل ـ دائماً ـ يسمع بعضهم كلام بعض ، ويرىٰ بعضهم أعمال بعض ، فيتيقّنون بدون شكّ وشبهة بأنّ ذلك الكلام وتلك الأعمال صادرة عن شعور وإرادة لأجل الوصول بها إلىٰ غاية وغرض مقصود علىٰ الحكمة ؟!

ترىٰ الخيّاط بيده المقراض ، وبيده الأُخرىٰ قطعة ثمينة من الحرير المزركش ، أو الشال الكشميري الفاخر ، أو نحو ذلك من المنسوجات الثمينة ، وهو يقطعها بمقراضه قطعاً ، صغاراً وكباراً ، بقرض مستقيم ومعوَجّ ومُوَرَّب[1] ..

ترىٰ البنّائين مشغولين بالجصّ أو الطين والحجارة ونقل التراب ، ويتحمّلون في ذلك التعب في الحرّ والبرد ، وترىٰ النتيجة أن يجعلوا حجارة علىٰ حجارة ، ونحو ذلك ..

وترىٰ عَمَلة الخطّ الحديدي ، جماعة يحملون التراب من مكان ويلقونه في مكان آخر ، وجماعة يحفرون في الأرض

---

(١) المورّب : هو ما قُصَّ من القماش زيادة عن الحاجة ممّا لا فائدة منه ؛ أنظر : تاج العروس ٢ / ٤٦٧ مادّة «ورب» .

ويلقون التراب في مكان بعيد، وجماعة يعانون المشقّات والأخطار في ثقب الجبال..

وترىٰ في حرّ الصيف جماعة في مقابل النار الملتهبة، بأيديهم المطارق الثقيلة، يضربون دائماً علىٰ حديدة محماة علىٰ السندان والعرق يسيل من أطرافهم..

وجماعة يأخذون قطعة من ذهب، ويعالجونها بالنار والمطرقة وبعض الآلات، فيجعلونها بعد العناء صفيحة أو خيطاً طويلاً، وبعد هذا يأخذون المقراض فيجعلونها قطعاً صغاراً..

يتكلّم الناس معك في المعاملات وغيرها، وتستمع إلىٰ خطبة فلان ودرس فلان..

مع أنّك في جميع هذه الموارد تتيقّن بلا شبهة ولا شكّ بأنّ جميع ما ذكرناه من الأعمال والأقوال صادرة من فاعلها عن عقل وشعور وحكمة وقصد للغاية، وليست من حركة قهرية طبيعية ولا اختلال شعور..

لستَ وحدك تتيقّن بذلك، بل كلّ بشر له تمييز، حتّىٰ الطفل بالنسبة لكلام مربّيه ومدرّسه وغيرهم؛ وكذا بالنسبة إلىٰ أفعالهم.

يا صاحبي! فكيف تقول لي: «من أين أعلم أنّك تتكلّم عن شعور وآختيار وجدٍّ وقصدٍ للغاية»؟!

يا صاحبي ! هل أنت إلىٰ هذا الحدّ قليل الفهم ؟ ! أو أنّك لم ترَ الدنيا وأهلها ، ولم تَتَرَبَّ في عالم البشر ؟ !

عبدالله : لا أُنكر حصول اليقين في هذه الموارد وأمثالها .. ولكنّ كلامي وسؤالي كان عن منشأ اليقين وميزانه ؛ وإنّي الآن ـ أيضاً ـ أسأل هذا السؤال حتّىٰ في هذه التي ذكرتها أنتَ ، فإنّ كلّ هؤلاء الّذين ذكرتهم إذا عملوا أعمالاً لا عن شعور وقصدٍ للغاية فإنّا نعرف أنّها لا عن شعور ولا قصدٍ للغاية ، وإن كانت من نحو الأعمال التي تذكرها ، وكذا في بعض كلامهم ..

فبأيّ وجه ، وبأيّ ميزان ميّزنا بين أعمالهم وكلامهم ، وجعلنا بعضها عن شعور وقصد للغاية وبعضها ليس كذلك ؟ !

هؤلاء المجانين ، نرىٰ جملة من أفعالهم وكلامهم فنتيقّن أنّها لا عن شعور ولا قصد للغاية ، ونرىٰ بعض أفعالهم وكلامهم فنتيقّن أنّه عن شعور وقصد للغاية ، ونعاملهم علىٰ ذلك ..

فبأيّ ميزان ميّزنا بين القسمين من أقوالهم وأفعالهم ؟

وإنّا نجد أيضاً أنّ كلام الأطفال وأعمالهم مشتملاً علىٰ القسمين يقيناً ، ونميّز باليقين بين ما يصدر منهم عن شعور وقصد للغاية وبين غيره ؛ فهل كان تمييزنا اليقيني بين ذلك تشهّياً جزافياً ، أو هو جارٍ علىٰ ميزان معقول يجري عليه العقلاء في تمييزهم ؟ !

إذاً فما هو الميزان في جميع الأُمور المذكورة لكي نزن به الأعمال والأقوال والآثار في جميع الأُمور، وفي ما عزمنا عليه من الاحتجاج ؟!

رمزي: يرىٰ الناس في الحصىٰ وصخور البرّ صخوراً كثيرة علىٰ أشكال هندسية موزونة، كالكروي، والعدسي، والمثلّث بأقسامه، والمربّع، والمخروطي، وغير ذلك؛ وكلّهم يعلمون أنّ تلك الأشكال لم تكن بصناعة بشر، بل حدثت بتكوين الحجر وناموس الاستحجار.

ومع ذلك، لمّا رأوا في الحفريات تحت الأرض أحجاراً لها أشكال خاصة، كالمنشار، والفأس، والسكّين، والخنجر، وسنان الرمح، ونصل السهم؛ تيقّنوا بلا ريب بأنّ هذه أدوات ليست من ناموس الاستحجار، بل هي صناعة إنسان له شعور وحكمة، صنعها لأجل غاياتها التي يتصوّرها، مع أنّ الناس لم يروا صانعها حين صنعها، ولا أخبرهم بذلك أحد عنه، مع أنّ ناموس الاستحجار لا قصور فيه عن إحداث مثل هذه الأشكال.

ترىٰ علماء الغرب والشرق وجميع الناس يتيقّنون بلا شكّ بأنّ هذه أدوات صنعها الإنسان لحكمةِ غاياتها منذ عصر قديم، وسمّوا ذلك العصر بالعصر الحجري والصواني.

وأيضاً: وجدوا في حفريات مصر وسويسرا تحت الأرض

صخوراً متعدّدة بصور أغنام ودجاج وديكة وحمام، وغير ذلك من صور الحيوانات الأهلية ولم يقل أحد ـ حتّىٰ من القائلين بالانتخاب الطبيعي ـ: إنّ هذه الأشكال من عمل الطبيعة وناموس الاستحجار.

بل لم يختلج الريب في أنّها صنعة أُستاذ ماهر متمدّن، صنعها عن شعور وعِلم وقصد للغاية.

عبدالله: يا صاحبي! لا تتكلّم بانزعاج وحدّة، ولا تكثر بالأمثلة، فإنّي أسألك أيضاً أنّ علماء الغرب والشرق بأيّ ميزان حكموا في هذه الصخور المذكورة بأنّها من صناعة إنسان أُستاذ ماهر ذي شعور وتصوّرٍ للغاية، وقد صنعها لأجل غاياتها؟!

فإنّي لا أُنكر اليقين في هذه الموارد، ولكنّي في الجميع أسأل عن سبب اليقين وميزانه!

فقل ما هو السبب والميزان عند العقلاء لهذا اليقين؟!

هل يتيقّن العقلاء بلا سبب وبلا وجه وبلا ميزان عقلائي يجرون عليه في علومهم ويقينهم؟!

هل يكون ذلك عند العقلاء؟!

رمزي: عجباً منك يا صاحبي! وعجباً من ابتلائي بك!.. إذا رأيتَ في برّيّة بعيدة عن المسكون صخرةً عظيمةً جدّاً ذات شكل مخصوص، محيطها بشكل سور عالٍ متقنٍ مستقيمٍ

متساوي الانتظام ، فيه أبواب ذات مصاريع وأغلاق متقنة ، وكلّها صخرية . .

وفي الوسط إيوانات[١] منتظمة ظريفة الوضع ، وغرف منتظمة ذات أبواب وشبابيك متناسبة ، وكلّها صخرية . .

وحياض مع فوّاراتها من صخر . .

وآبار وبالوعات ، وحِباب للماء وأغطيتها ، ومواضع للطبخ مع مواقدها ، ومنافذ دخانها إلىٰ فوق ، وسراديب وجاذبات للهواء إليها ، منتظمة وموجّهة إلىٰ جميع مهابّ الرياح ، ودعائم ، وسلالم ، وسطوح ممهَّدة وستائر لها وميازيب ، وفي الغرف والأواوين والسراديب والسطوح كراسٍ وعروش منتظمة ظريفة الشكل والترتيب ، ومخازن تناسب الحاجة . .

وكلّ هذه من صخر علىٰ أظرف شكل وأتقنه وأوفقه بالنفع .

ثمّ سرتَ في تلك البرّيّة فوجدت صخوراً كباراً كثيرة ، جارية علىٰ ما وصفناه من النظام والصفة والوضع والظرافة . .

فهل يختلج في بال أحد من الناس أنّ هذا كلّه من صدفة

---

(١) إيوانات وأواوين ، جمع إيوان ـ بكسر الهمزة ـ : وهو الصُفّة العظيمة كالأَزَج ـ وهو البيت الذي يبنىٰ طولاً غير مسدود الوجه ـ . .
آنظر : الصحاح ٥/٢٠٧٦ ، لسان العرب ١/٢٧٣ و ١٣٠ ، تاج العروس ١٨/٤٠ و ج ٣/٢٨٧ ، مادّتَي «أَوَنَ» و «أَزَجَ» .

الطبيعة العمياء وناموس الاستحجار ؟!

أو أنّ كلّ عاقل يرىٰ ذلك أو يسمع به يتيقّن بأنّه من صناعة أُستاذ ماهر حكيم، قد نحت كلّ الذي ذكرنا بالإرادة والنظر إلىٰ الغايات، وكلّ أحد يقول في شأنه: ما أحسن صناعته وقدرته وحكمته! ومن بني أيّ عصر هذا الأُستاذ ؟! فإنّه لا يوجد في عصرنا مثله أُستاذ ماهر قادر حكيم متمدّن!

عبد الله: نعم، كلّ عاقل يتيقّن بذلك، وما أنا بمنكر لليقين في ما تذكره وأمثاله، ولكنّي أسأل عن سبب اليقين وميزانه ؟ وأسألك أيضاً عن ميزان اليقين مهما كرّرت بالأمثلة!

رمزي: إنّ الإنسان الموقّر الموزون ـ في الظاهر ـ إذا تكلّم بكلام، أو عمل عملاً، فإنّه لا يحمله الناس علىٰ السُكر وآختلال الشعور، أو الهذيان، أو المسخرة والعبث؛ بل يحمل بظاهره علىٰ السلامة والصحّة، وأنّ كلامه صدر عن شعورٍ وقصدٍ للغاية..

هل أنت غير مُتربٍّ في الناس لكي تعرف الحال ؟!

وهل بعد هذا البيان تسأل عن سبب اليقين وميزانه ؟!

عبد الله: يا صاحبي لا تنزعج! فإنّه لا يخفىٰ أنّ ظاهرَ الحالِ ظاهرُ الصحّةِ والسلامة.. الوقار.. أتمنّىٰ صحّته وسلامته.. أُعيذه من المرض وآختلال الشعور.. حاشاه من

السخرية والاستهزاء.. هذه كلّها لا توجب اليقين الذي نتكلّم فيه، وإنّما توجب شيئاً من الظنّ المبنيّ على الظاهر، وإنّي أسألك عن السبب الذي يوجب اليقين والميزان المميّز.

وأيضاً: فإنّ المجانين الّذين يكثر منهم الهذيان والكلام، الذي لا يصدر عن قصدٍ لغاية، نجد أنّهم ـ في أثناء ذلك ـ يتكلّمون بكلام يتيقّن سامعوه ـ حتّى الأطفال ـ بأنّهم تكلّموا به لغرض معقول وقصدٍ للغاية.

وقد يتكلّم العاقل، الموقّر الموزون، الصحيح في الظاهر، فيحصل اليقين ـ حتّى للأطفال ـ بأنّه تكلّم عن اختلال شعور بهذيان فارغ لم يقصد به غاية، أو تكلّم هازلاً أو متمسخراً.

إذاً فما هو السبب لليقين في ما ذكرناه؟!

وما هو الميزان المميّز في ذلك وأشباهه: : : ..

فإنّ الوقار وظاهرَ الصحّة لم ينفعاك في الميزانية كما شرحناه!

وأيضاً: فإنّ الوقار وظاهر الصحّة، هذا الوجه الذي ذكرته أنت، لا يجري أصلاً حتّى في إفادة الظنّ، ولا ينفع في مثل ما ذكرته من الآلات الصوانية، والصور الصخرية، والصخور الكبار المنحوتة على شكل دار أو مدينة؛ فإنّ واحداً من الناس لم يَر لها صانعاً أصلاً، فكيف تيقّن الناس أنّها من صناعة إنسانٍ ما،

هو حكيم صنعها بإرادةٍ وقصدٍ للغاية ؟!

إذاً فأسألك عن السبب لحصول اليقين في جميع هذه الأُمور وغيرها ؟! وعن الميزان المشترك العامّ الذي نعتمد عليه في الأقوال والأفعال والموجودات ، فيفيد اليقين بأنّها من إيجاد شاعر أوجدها بعلمه وقدرته وإرادته لأجل غاياتها ؟!

فما هو السبب والميزان العامّ لليقين في الجميع ؟!

رمزي : لو أنّ الناس يرتّبون الأثر علىٰ احتمال السكر والجنون والعبث وعدم الشعور ، لاختلّ نظام المعيشة والاجتماع في العالَم ! ولكنّ الناس لأجل ضرورات تعيّشهم ونظام اجتماعهم يُضطَرّون إلىٰ عدم الاعتناء بهذه الاحتمالات ، فهل تسأل أيضاً عن سبب اليقين وميزانه ؟!

عبدالله : ضرورة التعيّش .. ضرورة الاجتماع .. الاضطراب .. هذه كلّها لا توجب اليقين ، ولا تكون سبباً له ، بل إنّما تُلجئ المضطرّ إلىٰ العمل علىٰ الظنّ والشكّ إلجاءً ..

وأيضاً : لا ربط لهذه الضرورة بحال ما وصفته أنتَ من الآلات الصوانية والصور والدور الحجرية !

فإنّه لا يُضطرّ أحد في معيشته وحياته وآجتماعه إلىٰ البناء علىٰ أنّ صانعها إنسان شاعر قاصد للغاية ، لا ناموس الاستحجار !

إذاً فمن أين ، وبأيّ ميزان حصل ذلك اليقين الذي ذكرته في أمثلتها ؟!

وإنّي أُعيد وأُعيد عليك قولي المتقدّم ، وأسألك قائلاً : ما هو السبب والميزان لليقين المذكور في هذه الأُمور وغيرها ؟!

رمزي : إنّ تكرار سؤالك وآضطهادك للحقيقة قد أضجرني ، مع أنّ سبب اليقين المشترك والميزان العامّ له في جميع الأُمور ظاهران متجلّيان لمن له فطرة سالمة من تلويث الهوىٰ والعصبية .

نعم ، إنّ تكرار سؤالك قد اقتضىٰ تمحيص الحقيقة وتجلّيها بمظهرها الحقيقي ووجهها الوضّاح وصراحة البيان ؛ فدع العناد جانباً .. وآصغِ إلىٰ بياني بسمعك وقلبك وصفاء فطرتك .. وحقّق ما شئت في ما أقوله ! ..

* * *

الميزان العادل الحقيقي العامّ

هل ينبغي أن يخفىٰ علىٰ ذي شعور أنّ كلّ موجود يكون وضعه وأوضاع أجزائه وتركيبه وترتيبه ونظمه مرتبطة بالفوائد والمقاصد والغايات ؟

فإنّ هذا الارتباط الذي يُعرف منه يكون دليلاً علىٰ أنّ ذلك الموجود بمزاياه الخاصة هو من إيجاد عالِم بفوائده ، متصوِّرٍ لغاياته ؛ ولأجل تلك الفوائد والغايات أَوجَدَ بإرادته وقدرته ذلك الموجود .

وكلّما ازدادت المعرفة بارتباط ذلك الموجود بالغايات ـ باعتبار وضعه وأجزائه وشؤونه وشرف غاياته وفوائده ـ ازداد العِلم قوّة بأنّ صانعه عالِمٌ بفوائده ، وقد صنعه لأجلها إلىٰ أن يبلغ العِلم أعلىٰ مراتب اليقين .

ويزيد ذلك بياناً ووضوحاً إذا تعدّدت أمثال ذلك الموجود وأفراد نوعه ، وهي جارية علىٰ ذلك التركيب والترتيب ، والوضع ، والمزايا المرتبطة بالغايات علىٰ قانون واحد . .

فإنّه لو كان ما وجدوه في الحفريات من الآلات والصور

الحجرية من كلّ نوع فرداً واحداً لَما بلغ اليقين بأنّها صنع إنسان عالِم صنعها لأجل غاياتها، كما بلغ من القوّة حينما وجدوا من كلّ نوع أفراداً كثيرة، كلّها جارية على ما وصفناه من الارتباط بالغايات على قانون واحد.

ويزداد الحال وضوحاً وبداهة إذا تتابعت في الأزمنة أفراد النوع بالوجود تتابعاً بكثرة، وهي بأجمعها جارية على ذلك الناموس وذلك القانون في التركيب والترتيب وسائر الشؤون المرتبطة بالغايات..

فإنّه يتجلّى من ذلك بالبداهة للبصيرة والرشد نورُ الدلالة على إرادة الموجِد، وحكمته، وقصده للغاية في إيجاده..

يتجلّى ذلك بنور اليقين، ويشرق للبصيرة والشعور بأضواء من إشراق الشمس في رابعة النهار.

عبد الله: يا رمزي! قد ذكرنا لك آنفاً في حكاية ذلك الولد الشقيّ، أنّه قد جحد طلوعَ الشمس وضوءَها مع صحّة بصره وإشراق الشمس في ضحاها؛ فهل ينفع مع جحود العناد ما يتجلّى للبصيرة بمثل إشراق الشمس؟!

رمزي: إنّا الآن نتكلّم في مقام عرفان الحقيقة بدلائلها المتجلّية، ونتّبع البيان بشرف الإنسانية وزينة الفضيلة..

وأمّا جحود العناد والأهواء، فهو داء لا دواء له.. وإذا لم

يردع عنه الشرف والحياء فهو الداء المهلك!

عبدالله: إذاً فاثبت علىٰ هذا المبدأ الصالح، وعُدْ إلىٰ بيانك يا رمزي.

رمزي: أُكرّر البيان وأقول: كلّما ازداد ارتباط الموجود بالغايات ظهوراً ووضوحاً بحسب تركيبه ووضعه وأجزائه وشؤونه وكثرة أفراده وتكرّر مواليد نوعه، فإنّ دلالته علىٰ عِلم الموجِد وحكمته في إرادته وقصده للغاية تزداد أيضاً وضوحاً وبداهةً إلىٰ أن تصل إلىٰ حدٍّ لا يختلج فيه الشكّ.

وأمّا الجحود العنادي، فإنّه يفضح صاحبه ويبيّن أنّه عديم الشرف والحياء، وإنْ كثر أصحابه والمحبّذون لعناده وضلاله.

وإن اختلج في ذهنك الشكّ في ما ذكرته لك، فإنّي أُعزّز البيانَ بذِكر بعض الأمثلة:

* إذا رأيتَ قطعتين من الحديد متّصلتين بنحو الذكر والأُنثىٰ (نرمادة) بمحور مناسب يدوران عليه علىٰ وفق الغرض والحاجة في الاستعمال، مثقوبتين بثقوب مناسبة منتظمة تناسب وضع المسامير أو البراغي فيها حسب الحاجة، فإنّك لا تجد أحداً يشكّ في كونهما صنعَ حكيمٍ بإرادته لأجل منافعها وغاياتها.

* وإذا شاهدتَ جهازاً من آلة الرسم (الفوتوغراف)، وذلك الجهاز موضوع علىٰ محلّ مرتفع في غرفة بقدره، وهي في غاية المتانة والكفاية لحفظه ونجاح عمله، لها باب متقن ذو مصراعين، وآلة تفتح الباب عند الحاجة وتسدّه عند الاقتضاء، وتدير الجهاز إلىٰ مقابلة الشبح لكي يأخذ صورته ورسمه..

وذلك الجهاز لا يحتاج في أعماله المتكرّرة إلىٰ تغيير الزجاجة، بل فيه قوّة تزيل الصورة عنه بعد زمان يسير وتودعها في مستودع آخر لوقت الحاجة إليه..

فبحسب ارتباط هذا الجهاز ومزاياه في وضعه وأجزائه وتركيبه بالغايات والفوائد الكبيرة، يكون من الضروري أن يحصل لك اليقين من دون أدنىٰ شكّ بأنّ هذا الجهاز من صناعة عالِمٍ حكيم، صنعه بحكمته وإرادته لأجل غاياته وفوائده الكبيرة.

يحصل لك اليقين بذلك حتّىٰ لو وجدته في برّ لا يذكر التاريخ وجود بشر فيه.

* يا صاحبي! وإنّك ترىٰ الهاتف (التلفون) وتعرف فوائد أجزائه وحكمة تركيبه..

* وترىٰ صندوق الأصوات (الفونغراف) وتعرف فوائد أجزائه وحكمة تركيبه..

فهل يختلج في ذهنك أن لا يكون موجِدهما حكيمٌ، أوجدهما بإرادته لأجل غاياتهما التي تَصوَّرها؟!

* إذا رأيتَ جهاز الكيمياويّين وآشتماله علىٰ أجزاء متعدّدة وأوضاع مختلفة، من أقسام القدور والإنبيق وآلات الحرارة، والآلات المقطِّعة والطاحنة للمعمولات التي تُلقىٰ في القدر الأوّل ليعمل عمله، ثمّ تُلقىٰ بأحسن تدبير من قدر إلىٰ قدر.. وهكذا.

وفي أثناء ذلك تعمل فيه أعمال ذلك الجهاز أعمالها، من العصر والتصفية وأنحاء التصعيد والتقطير والتحليل والعقد وآستخراج الخلاصة وغير ذلك، وكلّ واحدة من هذه النتائج يودعها ذلك الجهاز في محافظ لائقة بها، ويصرفها في محالّ الحاجة من الاستعمال.

وفي أثناء ذلك تترامىٰ آلاته بالفضول الضارّة إلىٰ أن تخرجها من معملها.

ومن أجل مشاهدة هذا الجهاز وهذه الآلات بما لَها من الأوضاع والتراكيب الفلسفية المرتبطة بالأعمال الكيماوية ونتائجها المفيدة وغاياتها الشريفة في العلم، يكون من الضروري أن تتيقّن بأنّ هذا الجهاز من صناعة عالِم حكيم، ومن نتائج الإرادة والقدرة وقصدِ الغاية.

* وأيضاً: إذا نظرتَ إلىٰ طلمبا (مضخّة) تجذب من طرف، وتعطي مجذوبها من طرف آخر إلىٰ أُنبوب كبير متدرّج في التشعّب والانقسام إلىٰ أنابيب كثيرة ـ كانقسام جذع الشجرة إلىٰ أغصان كثيرة ـ وكلّ أُنبوب له في محلّ التشعّب باب ذو مصاريع ينفتح وينسدّ بحسب الحاجة.

وما بين كلّ أُنبوبتين من الأغصان المتشعّبة أُنبوب احتياطي معترض واصل ما بين الشعبتين، لكي يوازن عملهما، ويقوم بالوظيفة إذا انسدّت إحدىٰ الشعبتين، أو طرأ عليها عيب، فيعطي ذلك الأُنبوب ما فوق السدّ أو العيب.

ومع هذه الطلمبا (المضخّة) ـ لإدامة عملها ـ طلمبا أُخرىٰ علىٰ ذلك النحو من التشعّب والأبواب والاحتياط، ولكنّها بعكس الأُولىٰ في الجذب والدفع..

فإنّها تجذب من أُنبوبها الكبير الجاذب من أغصانه وتدفع في وعاء آخر، وقد وُصِلَ ما بين هاتين المضخّتين بأنابيب ومضخّة أُخرىٰ تديم عملهما وتقوم بعمل آخر كبير الفائدة.

* وآنظر إلىٰ السيّارة (الأُتومبيل)، وتَحقّق في وضعها وأجزائها وأوضاعها العجيبة، وآرتباط تركيبها وأوضاع أجزائها بالفوائد والغايات الكبيرة المشاهدة، وقل: كيف يتجلّىٰ من ذلك

لك اليقين بحكمة صانعها وإرادته وقصده للغاية ؟ حتّىٰ لو رأيتَ السيّارة في بيداء لا يذكر التاريخ أنّها طَرَقها بشر .

ولو قال لك أحدٌ : إنّ ما ذكرناه في الأمثلة لم يصدر عن شعورٍ وإرادة وقصد للغاية ، بل صدر من صدفة الطبيعة العمياء ، لَعدَدتَ ذلك القائل يزيد علىٰ البهائم في الجهل والحمق ، أو أنّ له غرضاً لا يستحي معه من العناد ومكابرة البداهة .

لا تضجر ولا تملّ من كثرة الأمثال !

افرض أنّك ترىٰ سيّارة فيها ما ذكرناه من جهاز الرسم ، والهاتف ، وصندوق الأصوات ، والجهاز الكيمياوي ، والطلمبات ، لكي يكون جهاز الرسم مع الهاتف وصندوق الأصوات ، لأجل رؤية مدير السيّارة وسماعه . .

والجهاز الكيمياوي مع الطلمبات ، لأجل إيصال النتائج الكيمياوية إلىٰ جميع أجزاء السيّارة . .

لكي يكون بعض النتائج المذكورة بمنزلة الدهن والبانزين والماء في تحريك السيّارة .

وبعضها لإصلاح أجزاء السيّارة بجميع أنواعها من جميع ما ذكرناه فيها . . تزيل عنها الصدأ وما فسد بالاستعمال ومرور الزمان وترمي بها إلىٰ خارجها ، وتوصل إلىٰ جميع الأجزاء المذكورة ما يناسب أنواعها ، لكي ينميها ويجدّد فيها خلفاً

صالحاً يقوم مقام الفاسد الذي أُزيل عنها.. تقوم بإصلاح ذلك كلّه بأنواعه، سواءً كان الجزء من حديد أو معدن آخر أو خشب أو قماش أو صمغ مرن.

يا صاحبي! إنّ الذي يشاهد هذه الأجزاء العجيبة، وهذه التراكيب الباهرة، وهذه الأعمال المدهشة، وآرتباط الجميع ـ بالحكمة البالغة، والغايات الكبيرة ـ بهذا الارتباط الشديد الفائق، لا بُدّ من أن يغرس ذلك الارتباط في فكره حقّ اليقين بأنّ صانعها صنعها بإرادته وحكمته لأجل غاياتها.

وماذا تقول إذا رأيت أُلوفاً من السيّارات علىٰ النهج الذي ذكرناه في فرض صنعها، وعلىٰ ذلك القانون في الوضع والارتباط بالغايات والحكمة؟

يا صاحبي! بهذا السبب يحصل اليقين بشعور الموجِد أو المتكلّم وإرادته الجدّية وقصده للغاية.

وهذا هو الميزان العادل لحصول اليقين.

وهذا الميزان غير مختصّ بالأفهام العالية، بل إنّ عمل البشر من الصغير والكبير علىٰ ذلك، بل حتّىٰ الأطفال والمجانين فإنّهم أيضاً بهذا الميزان يميّزون بين الجدّ والهزل، والقصد والغفلة، من أقوال أوليائهم وأعمالهم.

فهل بعد هذا البيان وتحقيق الميزان تقول: «ما هو السبب

في حصول اليقين ؟ وما هو الميزان ؟ ومن أين أعرف أنّ كلامك عن شعورٍ وقصدٍ وجدّ ؟» ؟ ؟ !!

عبد الله : يا رمزي ! هذا البيان ، وهذا الميزان ، وهذا الاحتجاج ، هل تقدر أن تطبّقه على ميزان المنطق ؟

رمزي : نعم .. لأنّا نقول : هذا الشيء ـ أو هذا الكلام ـ بوضعه وأجزائه وتركيبه ومزاياه ، مرتبط بالغايات ببداهة الشعور والحسّ .. وكلّ ما كان كذلك فبالبداهة الفِطرية يجب أن يكون موجِده عالِماً بالغايات ، قد أوجده بإرادته لأجل غاياته .

إذاً فهذا الشيء يجب أن يكون موجِده عالِماً بغاياته ، قد أوجده بإرادته لأجلها .

وهذا القياس يجري في كلّ ما ذكرناه من الأمثلة وغيرها ممّا يرتبط بالغايات ، سواءً كان كلاماً أم فعلاً أم شيئاً موجوداً كالآلات الصوانية وما ضاهاها ، خصوصاً ما كان مستعملاً في الغايات الكبيرة من بدء وجوده .

* * *

الوجود علىٰ طِبق القوانين

عبد الله : يا رمزي! وهل تقدر أن تؤكّد احتجاجك هذا بوجه آخر، وتجري فيه علىٰ ميزان المنطق؟

رمزي : أجل.. كلّ واحد من هذه الأمثلة التي ذكرنا وأمثالها إذا رأيتَ لنوعه أفراداً كثيرة كلّها جارية في وجودها أو أوضاعها أو أحوالها أو أجزائها علىٰ قانون منتظم، فإنّ جريانها علىٰ القانون يدلّ علىٰ أنّ موجِدها عالِم قد طبّق شؤونها بعلمه وقدرته علىٰ القانون المعقول له.

وكذا إذا رأيتَ موجوداً واحداً جارياً في أحواله، أو أوضاعه، أو حركاته علىٰ قانون منتظم.

عبد الله : من أين هذه الدلالة؟!

رمزي : لأنّ القانون إنّما هو عنوان كلّيّ من الأُمور المعقولة التي لا يتحقّق لها وجود ولا كيان إلّا في معمل العقل، بصناعة الإدراك المحيط بتطبيقاته.

نعم، قد تُرسم الإشارة إلىٰ ذلك القانون للدلالة عليه في سجلّات القوانين وكلّيّات العلوم؛ ولكنّ القانون نفسه لا وجود له إلّا في العقل والتعقّل!

إذاً فكلّ موجود رأيناه جارياً في نوعه أو جهة من جهاته وأحواله وأعماله علىٰ قانون منتظم، علمنا ودلّنا ذلك علىٰ أنّ موجِدَه مدركٌ للقانون، وبإدراكه وقدرته طبّق إيجاده وشؤونه علىٰ ذلك القانون..

فإنّك إذا نظرتَ ـ علىٰ الأقلّ ـ من الأمثلة إلىٰ ساعة صناعية واحدة، ورأيتَ في أيّام متعدّدة مسير عقاربها وتقسيمها للزمان جارياً علىٰ قانون سيّال منتظم، فلا بُدّ من أنّك تعلم بالبداهة أنّ موجِدها مُدرك لقانون الحركة والتقسيم ومسير العقارب، وبإدراكه وقدرته في إيجادها طبق أوضاعها وأوضاع عقاربها ومسيرها علىٰ ذلك القانون السيّال المنتظم.

عبدالله: وهل تقدر يا رمزي أن تزن احتجاجك هذا بميزان المنطق.

رمزي: أجل.. فإنّا نقول: هذه الأشياء جارية في أنواعها وأجزائها وأعمالها علىٰ قانون كلّيّ منتظم؛ وذلك بالحسّ والمشاهدة وبداهة العلم؛ وكلّ ما كان كذلك يمتنع أن يكون وجوده غير مستند إلىٰ مُدرِك للقانون، عالِم بتطبيقاته.

وذلك لِما أوضحناه من أنّ القانون والتطبيق عليه من الأُمور المعقولة، كما تقتضيه البداهة والالتفات إلىٰ كيان القانون وهويّته وهويّة التطبيق عليه.

إذاً .. فكلّ واحد من هذه وأمثالها يمتنع أن يكون إيجادها غير مستند إلىٰ مُدرِك للقانون والتطبيق عليه، فلا بُـدَّ مـن أن يكـون موجِـدُها عالِمـاً بالقـانون، قد طـبّق وجـودها وشـؤونها ـ بإرادته ـ علىٰ ذلك القانون.

عـبـدالله: لا تـضجر إذا سـألتك مـن بـاب التـمحيـص للحقيقة، ولا تغضب إذا قلتُ لك: إنّ ماكينة الحياكة توجد القماش علىٰ قانون منتظم في نسجه وتطريزه ووضعه، وكذا ماكينة المطبعة، فإنّها تطبع وتوجِد مطبوعاتها علىٰ قانون منتظم، إلىٰ غير ذلك من الماكينات..

فهل تقول: إنّ الماكينة مدرِكة للقوانين المعقولة فأوجدت معمولاتها بالتطبيق علىٰ تلك القوانين التي تدركها هي ؟!

رمزي: لا ينبغي أن يغيب عن الشعور أنّ الماكينة ليست هي الموجِدة للمعمولات، بل إنّما هي آلة للإيجاد علىٰ طبق القوانين.. وكلُّ ذي شعور يرىٰ تركيب أجزائها وجريان حركاتها وإعمالها علىٰ القوانين، فإنّه لا يشكّ بأنّ وجودها مستند إلىٰ مدرك للقوانين وللتطبيق عليها..

وكلّ من يرىٰ إعمالها ومعمولاتها جارية علىٰ القوانين، فإنّه لا يشكّ بأنّ إيجادها ووجودها وإعمالها ومعمولاتها إنّما هي من نتائج العلم بالقوانين والتطبيق عليها والقدرة علىٰ التطبيق،

بل والعلم بالغايات والقدرة علىٰ إيجاد ما يصلح لها..

أَوَلا تعلم ؟! أَوَلا تسمع بأنّ هذه المصنوعات في التمدّن الحديث إنّما هي من آثار العلم، ومظهر من مظاهر مجده ؟! وما ذلك إلّا لجريانها علىٰ القوانين ودلالة هذا الجريان علىٰ أنّ إيجادها إنّما هو نتيجة العلم بالقوانين والغايات.

يا صاحبي! وهل لك بعد هذا البيان وهذين الميزانين سؤال وكلام في الدلالة علىٰ شعور الموجِد أو المتكلّم وإرادته وقصده للغاية ؟!..

هذين الميزانين البديهيّين، اللذَين لا يشكّ في ميزانيّتهما وبداهتهما إلّا فاقد الشعور، ولا يجحد ذلك إلّا عديم الشرف، ساقط الإنسانية.

عبد الله : أقول لك ولأمثالك ـ مع كمال الأسف عليكم ـ: إنّ الإنسان الذي يبني في أُموره يقينه بإرادة الموجِد وعلمه وقصده للغاية علىٰ هذا الأساس، ويزنه بهذين الميزانين العادلين، ويعرف أنّهما الميزانان الفِطريّان اللذان جرىٰ علىٰ ميزانيّتهما كلُّ ذي شعور، حتّىٰ الأطفال والمجانين..

ويُمثّل لبداهة اليقين بحسب هذه الموازين بالأمثلة المتقدّمة، ويتكلّف في أمثلته بفرض سيّارة موهومة..

هذا الإنسان ـ ويا للعجب! ـ كيف يغفل أو يتغافل

ويغمض عينَي بصيرته وفطرته عن أوضح الأُمور وأجلاها في ذلك ؟!!

* * *

خِلقة العالَم

ودلالتها علىٰ أنّ صانعه إلٰه حكيم عليم

ألا وهي خلقة هذا العالَم الكوني الكبير، وخصائص موجوداته وأجزائها وأحوالها، ومواليده المتماثلة بالناموس، والمتّحدة في جريانها علىٰ قانون.

وكيف يُغفل أو يُتغافل عن صغير الموجودات، وكبيرها، وأجزائها، وتراكيبها، ومزاياها، وبداهة ارتباط كلٍّ منها بأحسن الغايات علىٰ أحسن ارتباط وأوضحه، ووضوح جريانها علىٰ القوانين الفائقة البديعة بأتقن جريان باهر ؟!

فأين مضىٰ ذانك الميزانان العادلان الفطريّان ؟! ماذا صنع الدهر بهما ؟!

نعم، مرض الأهواء وأغراض النفوس يبعثان في تسويلهما علىٰ مغالطة الفطرة والبداهة والتقهقر عنها!

يا صاحبي يا رمزي! لا أمضي بك بعيداً فأتكلّم معك في الحكمة الباهرة والغايات الكبيرة، والقوانين الشريفة، في خلقة الشمس، وشأن منطقة البروج وخصائص المدارات وفوائدها،

أو في خلقة القمر ومسيره، أو الأرض وما ينسب لها من الحركات، أو الجبال وخصائصها وعيونها، أو البراكين وأسبابها وغاياتها، أو البحار وتيّاراتها الحارّة والباردة ومخارجها وتوجّهاتها وأعمالها وغاياتها، أو في خلقة السحاب والمطر والنبات والأشجار، وحسن انتظام العالَم وجريانه دائماً على القوانين والغايات..

بل لنترك الكلام فعلاً في هذا كلّه، وإنْ كان العالَم - بموجوداته وأجزائه وغاياته - يهتف بذلك، فلا تتعب ذهنك بالتعرّض له..

ولكن انظر وتبصّر في خلقتك أنتَ وكلّ إنسان، وجريانها على أبدع الصنع وأتقنه وأعجبه! مرتبطة بالغايات أيّ ارتباط! وجارية على القوانين الفائقة أيّ جريان! لكي تسمع من لسان حالها في ذلك هتافها باسم الإله الخالق العليم الحكيم..

فإنْ كانت الأهواء الوخيمة لا تهيج جحودك وفلتات العناد، فاسمع ما أقوله لك..

ألا وإنّ كلّ مثال ذكرتَه أنت للدلالة البديهية الفِطرية على شعور الموجِد وإرادته وقصده للغاية، وبنيتَه على ما ذكرته أخيراً من الأساس للسبب والميزانَين لليقين.. هذه الأمثلة كلّها - بأحسن وجه، وأحسن حكمة، وأحسن ارتباط بالغايات

الكبيرة ، وأحسن جريان على القوانين الفائقة ـ بأجمعها موجودة في بدنك وبدن كلّ إنسان . .

فهل نسيت قولك في كلّ واحد من أمثلتك أنّه كافٍ في الدلالة البديهية على إرادة الموجِد ، وحكمته ، وعلمه بالغاية ، وقصده لها في إيجاده .

إذاً فاصغِ لي ، وتمسّك بشعورك وشرف إنسانيّتك ؛ لكي أذكر لك أقلّاً أمثلتَك التي ذكرتَها أنت آنفاً . .

١ ـ القطعتان من حديد ونحوه ،
الموصَلَتان بشكل أُنثىً وذكر (نرمادة)

فانظر إلى أمثال ذلك في بدن الإنسان والحيوان بأحسن أوضاع صناعية جارية على دقّة الحكمة في المناسبات اللازمة للحركة والعضو المتحرّك .

وإنْ شئتَ أن تراها على نحو التفصيل فانظر أقلّاً إلى مفاصل الذبائح وأوضاعها ، من الرقبة إلى مفاصل الأكارع .

وتبصّر في رعاية المناسبات بحسب أوضاعها ، وأعجب من أسرار الحكمة والقدرة ، وأنّ النرمادة الحديدة توصل بمحور من حديد تدور عليه ، ولكن وضع هذا المحور في مفاصل الإنسان والحيوان مضرٌّ بحاله ، مانعٌ من جملة من أوضاعه وما

يراد منه ، ومخالفٌ للحكمة ورعاية الغاية ، فاقتضت الحكمة أن توصل المفاصل ونرماداتها بالرباطات التي لا يخفىٰ كثير من حكمها .

٢ ـ الدار الصخرية

ومهما بالغت في وصفها وحسن صنعتها وترتيبها ، فاعلم أنّ أوضاع بدن الإنسان والحيوان أعجب وأجلىٰ في الدلالة علىٰ الحكمة والصناعة الباهرة ، فإنّ كلّ ما قلته وفصّلته من أجزاء تلك الدار الصخرية هو موجود في بدن الإنسان والحيوان ، ويوجد فيه أكثر ممّا ذكرته وأكثر ، بأتقن صناعة وأظرفها وأنسبها بالحكمة !

انظر أقلّاً إلىٰ صناعة عظم الرأس ؛ تعرف أنّ لمحلّ الدماغ أيّ صنعة عجيبة جارية علىٰ الحكمة !

وآنظر إلىٰ التجويف الحجاجي ـ محلّ العينين ـ؛ وآعرف ما له من حسن الصناعة المناسبة لمنفعة العينين وحكمتهما !

وآنظر إلىٰ فقرات الرقبة والظهر ـ محلّ النخاع ـ؛ لكي تعرف بعض حكمتها وحسن صناعتها المناسبة لمنافع نوعها وأفرادها !

وحيث إنّ النخاع مثل سائر الأجزاء من البدن محتاج لأنْ

تصل إليه الشرايين والأوردة ، لأنْ تزوّده بالموادّ الغذائية المنمّية ، وتزيل عنه فضول التحليل ، فلأجل ذلك جعلت له حكمة الصانع ثقوباً مناسبة في بعض محافظه من فقرات الظهر ، لكي تنفذ منها الشرايين والأوردة إلىٰ النخاع العزيز ، العظيم الفوائد في الحياة .

وآنظر إلىٰ وضع الفم وأوضاع الأسنان بحسب الحاجة ، لكي تعرف مواقع الحكمة !

فإنّ جملة من الأسنان معدّة للقطع ، فجُعلت حادّة ، وجُعل تركيب الفوقانية علىٰ التحتانية علىٰ وضع المقراض ، ولأجل توجيه الضغط عند الأكل إلىٰ نقاط متعدّدة ، جُعل لها نحو اعوجاج وتدرّج في الغلظ من داخل اللثّة إلىٰ خارجها ، وذلك لئلّا يتوجّه الضغط بأجمعه إلىٰ أُصولها فتصدم مراكزها . .

وجملة منها أُعدّت للسحق والطحن ، فجُعلت عريضة متقابلة قائمة علىٰ شعبتين أو ثلاث كشعب السندان من أسفله ، وذلك لأجل تثبيتها تحت الضغط وضرب بعضها ببعض ، ولأجل توجيه الضغط ـ أيضاً ـ إلىٰ نقاط متعدّدة .

ومن حيث إنّ الفوقانية معلّقة ، جُعل لكلّ واحد منها ثلاث شُعب !

وآنظر إلىٰ الصدر والبطن والأضلاع الكبار والصغار ؛ وهذه

هي المعمل الكبير والمسكن الأنيق اللائق للقلب، والرئة، والكبد، وجذوع الشرايين والأوردة، وجهاز الهضم والتحليل، وأخذ العصارات والخلاصات والموادّ الغذائية والنتائج اللازمة الحاصلة من الطعام والشراب والتنفّس.. فكم ترىٰ في هذا المعمل البديع من مخازن أنيقة لهذه النتائج الشريفة!!

وكم ترىٰ من مساكن جميلة وغرف منظّمة ومتّكَآت ليّنة علىٰ أحسن مناسبة لِما يحلّ فيها، تتّسع لأجل مناسبةِ أحواله وتضيق!..

ومن الممكن أن تطّلع علىٰ بعض ذلك وبعض حكمته.. فاحضَرِ القصّابَ عندما يشقّ بطن الذبيحة ويخرج الكرش والأمعاء والقلب، وآنظر إلىٰ هذه كيف قد هيّأتِ الحكمةُ لكلّ واحد منها محلّاً مناسباً ومتّكأً ليّناً بصناعة عجيبة!

إذ قد رتّبت تلك الغرف والمتّكَآت من طيّات غلاف محكم مزوّد بتليين الدسومة، والذي يكلّله شحم البطن مساعدة علىٰ أعماله، وهو الغلاف المسمّىٰ «بريتون» والمحيط بها، فكان بانعطافاته وطيّاته لكلّ واحد من هذه المذكورات بمنزلة الغرفة المجهّزة بفراش الحرير.

ولنقتصر في هذا المقام علىٰ هذا المقدار، الذي هو قليل من كثير.

وأيضاً: في بدن الإنسان والحيوان ثقوب كثيرة، صغيرة وكبيرة، تقوم بأعمال كبيرة، فتكون بمنزلة منافذ الدخان، وجاذبات الهواء، والمنافذ لخروج القذارات، وكلّ مخزن وعِرق له باب ظريف الوضع والمصاريع، ينفتح وينسدّ بحسب الحاجة.

هذا ما يسعه هذا المختصر من البيان، والزيادة موكولة إلىٰ ما دُوِّن في علم التشريح.

٣ ـ جهاز الرسم (الفوتوغراف)

يا صاحبي! وكلّ الذي قلته فيه آنفاً وزيادة، وزِد عليه فلسفة النظّارات المكبّرة والمقرّبة، هو موجود في عينَي الإنسان والحيوان بأعجب ممّا ذكرته وفرضته، وكلّه معروف في حكمة العينين والأجفان لعامة الناس.

والعين هي التي تدور في طلب الشبح، وهي التي تنفتح أجفانها وتنطبق بحسب الحاجة، وهي التي يزول عنها رسم الشبح ويودع في مخزن التصوّر.

ولو نظرت إلىٰ ما ذُكر في تشريح العينين وفلسفة طبقاتها، وهي: الصلبة مع جزئها القرنية، والمشيمة مع جزئها القزحية، والشبكية وفلسفة رطوباتها الثلاث ـ وهي: المائية والبلّورية

والزجاجية ـ مع الأوضاع المختلفة لهذه المذكورات، وفلسفة جمع النور وتكسيره، وفلسفة العضلات والأعصاب البصرية والوريقات الغربالية والشرايين والأوردة، لرأيت من بدائع الحكمة شيئاً عجيباً مدهشاً!

مع إنّ جهاز الرسم والنظّارة المكبّرة والنظّارة المقرّبة ليس لها بدون العينين أثر، ولا كرامة!

٤ ـ الهاتف (التلفون)

٥ ـ صندوق الأصوات

وهذان ـ بأحسن ما يُتصوّر ـ موجودان في جهاز السمع والحافظة وجهاز التكلّم، ولا تحسب أنّ جهاز السمع منحصر بالدهليز الذي في الصماخ، أو أنّ جهاز التكلّم مختصٌّ باللسان!

فإنّ من جملة جهاز السمع: الطبلة، والعظيمات الثلاثة، والقنوات الهلالية، والحصىٰ الأُدنية، والقوقعة الملتفّة بلفّة ونصف وقد رُكّب في جوفها نحو أربعة آلاف سهم..

ومن جهاز التكلّم: الحنجرة ذات الوضع العجيب، الذي يشير إلىٰ مواقع الحكمة، ومنه أجزاء كثيرة، منها الغُدد والأنف، والذي ينظر في علم التشريح إلىٰ ما ذُكر في جهازَي السمع والتكلّم من الأوضاع والحِكم الباهرة، فإنّه يعود من

العجب مبهوتاً، مع أنّ التلفون وصندوق الأصوات لا أثر لهما ـ ولا كرامة ـ بدون جهاز التكلّم وجهاز السمع.

٦ ـ الجهاز الكيمياوي

وما شئت أن تقول فيه وفي بيان أجزائه وأدواته وأعماله ونتائجه فقُل، وزِد في البيان ثمّ زِد، فإنّه لا يصل إلىٰ جهاز هضم الطعام والشراب والتنفّس، وما في ذلك من الأجزاء والأوضاع والأعمال الباهرة، وٱستخلاص الأنواع الكثيرة العجيبة من محلول وعصارة وخلاصة لأجل تنمية الجسد وإصلاحه في حياته.

٧ ـ الطلمبات المتعدّدة وأنابيبها المتشعّبة وعرضيّاتها الاحتياطية

وكلّ ما ذكرته فيها، وأكثر وأحسن صنعاً وإتقاناً، هو موجود في القلب والرئة والشرايين والأوردة، بل وغيرها علىٰ أحسن مثال، فإنّ القلب له تجويفان، وهما متحرّكان دائماً بالانقباض والانبساط، فيكون كلٌّ منهما بانبساطه طلمبا جذب، وبانقباضه طلمبا دفع..

وعلىٰ ذلك تجري الرئة أيضاً والشرايين النابضة دائماً،

ويتشعّب كلٌّ من جذعَي الشرايين والأوردة إلىٰ أغصان كثيرة سائرة في جميع أجزاء البدن أحسن سير وأعمّه وأتقنه، فيعملان أعمالهما الشريفة في الدورة الدموية وإيصال الموادّ المنمّية إلىٰ أجزاء البدن، وفي سحب الفضول وتصفية الدم.

وللكلّ منها أبواب ومصاريع باهرة، لظرافتها وإتقانها في عملها، تنفتح وتنسدّ حسب الحاجة في الجذب والدفع.

وأمّا الأنابيب العرضية الاحتياطية فهي لا توجد إلّا في الإنسان والحيوان؛ وهي ما يسمّيه المشرّحون بالتفَمُّمات المعترضة بين أغصان الشرايين والأوردة، أوجدتها الحكمة احتياطاً للدورة الدموية ودوام عملها إذا عرض للأغصان انسداد أو قطع!

وإن شئتَ أن ترىٰ بعض هذه التفمّمات، فانظر إلىٰ ظاهر كفّيك، فإنّك تراها معترضة علىٰ العصب السائب علىٰ سلاميّات السبّابة والوسطىٰ والبنصر.

وإنّ الشرايين والأوردة ليس فيها آلتواء ولا تعريج، ولكنّها في مقام تلتوي وتتعرّج كما تلتوي الحيّة في مسيرها، وذلك يكون في عروق الشفتين والرحم، رعاية لانفتاح الفم وكبر الرحم عند الحمل، فإنّها تتمدّد عند انفتاح الفم وعند الحمل، وتعود إلىٰ حالها الأوّل عند انطباق الفم وصغر الرحم بالولادة.

البلاغ المبين / خلقة العالَم ودلالتها / السيّارة المفترَضة ١٩٣

ومشاهدة الأمر مختصّة بالمشرِّحين، ولكن تمكن مشاهدة بعضه في العروق المتعرّجة حول فم الفرس ونحوه.

٨ ـ السيّارة (الأُتومبيل)

أُذكرها تفصيلاً، وزِد عليها بذِكر ماكينة السكّة الحديدية وماكينة الخياطة والساعة وأمثالها، فهل تصل حكمتها وعجائب صنعها إلىٰ أقلّ قليل من أنحاء الحكمة الموجودة في أجزاء بدن الإنسان وتراكيبه وأعمالها؟!

٩ ـ السيّارة الفرضية الموهومة التي خُيّلت أنّها تجمع هذه الأمثلة

وقد أتعبتَ فكرك في تصويرها بالوهم لكي تمجّد حكمة صانعها وإرادته وقدرته في الصناعة، وتصل إلىٰ أعلىٰ مراتب اليقين البديهي بعلمه بالغايات وقصده لها في مصنوعه، وتحتجّ علىٰ ذلك بصنعته هذه وعجائبها.

يا صاحبي! ومهما صوّرتَ في وهمك في هذه السيّارة الفرضية، وزِد عليه، وزِد عليه، فإنّه موجود في بدن الإنسان والحيوان علىٰ أتقن صناعة وأوفقها بالحكمة والعلم، مع أنّ سيّارةَ بدن الإنسان الحقيقية مِن حكمةِ صناعتها الباهرة أن يتولّد

منها سيّارة مثلها، وهكذا؛ وهكذا في تناسلها.

وهذا قليل من كثير من بيان ما بلغه العلم من الحكم الباهرة، والصنع العجيب، ودلائل العلم، وقصد الغاية في خلقة الإنسان والحيوان وأبدانهما.

ولا زال علم التشريح يوماً فيوماً تنكشف له من ذلك بواهر الحِكم والفوائد الكبيرة.

يا صاحبي يا رمزي! إذاً فكيف لا يحصل لك اليقين بأنّ الإنسان والحيوان ـ أقلّاً ـ مخلوقان لخالق مُريد عالم حكيم؟!

وهل تبلغ الأمثلة التي ذكرتَها أنتَ ـ في ارتباطها بالغايات، وجريانها علىٰ القوانين ـ ما بلغه بدن الإنسان والحيوان في أجزائه وتركيبه وأوضاعه؟!

أفلا يكثر العجب منك ومن أمثالك إذ تقولون: إنّ الاتّصال في قطعتَي الحديد (النرمادة) يدلّ علىٰ أنّهما صنع صانع مُريد للغاية، لتصوّره لها؛ ومع ذلك تقولون: إنّ خلقة الإنسان والحيوان العجيبة، وخلقة العالَم بأجمعه، مع ما فيه من عجائب الحكم علىٰ النواميس الباهرة، والقوانين العامة المستمرّة، ودلائل العلم وقصد الغاية؛ هذه كلّها إنّما هي من صدفة الطبيعة العمياء عديمةِ الشعور؟!!

يا للعجب! أين الوجدان؟! أين الشعور؟! أين البداهة؟!

أين الميزانان اللذان ذكرتَهما أنت ؟! أين دليل المنطق ؟! ماذا صنع الدهر بهما ؟!

أنتَ الذي ضربت تلك الأمثلة آنفاً ، فلماذا لا تتعجّب من نفسك في هذا المقام ؟ ؟ ! !

رمزي : أمّا إذا لم تقف الشهوات أمامي ، ولم تعبث بالفكر زوابع الأهواء ، فإنّ كلّ الذي تقوله صحيح ؛ فإنّ وجود الإنسان والحيوان والموجودات العالمية بأوضاعها وأحوالها ونواميسها وقوانينها ، تدلّ بأوضح البداهة ودليل المنطق علىٰ علم صانعها وحكمته وإرادته وقصده للغايات .

ولكن لماذا تسمّون هذا الصانع : «الله» ؟! ولماذا تسمّون هذا الإيجاد خلقاً ؟!

عبدالله : مرادنا من الخلق هو الإيجاد بالإرادة ، والعلم بالغاية وقصدها .

والمراد من اسم «الله» هو مَن أوجد العالَم بإرادته وحكمته ، وعلمه بالغاية وقصدها .

يا صاحبي ! إنّك في كلامك الأخير موافق لنا في المعاني ، فهل لك عداوة مع الألفاظ ؟!

رمزي : يا عبدالله ! إنّي لا يسعني في الشعور والأدب والشرف أن أجحد ما تقوله ، ولكن اتركني لحالي ، ولحرّيّة

شهواتي ولذّاتي، فإنّي إذا ضممتُ صوتي إلىٰ أصواتكم، وتجاهرتُ بالاعتراف بالإله وحكمته وكماله اللازم، فإنّك حينئذ تقول لي: كذا أمر الله، كذا نهىٰ، إفعل كذا، لا تفعل هكذا، لا تشرب هذا، أُكفف عن هذه الأهواء، لا تَتَهَنَّ باللذّات، هذا حرام، هذا واجب؛ فتجعلني أسيراً مغلولاً مكبّلاً بهذه الحكومات.

عبدالله: عجباً يا صاحبي! إنّك في أوائل مكالمتنا قد تعجّبتَ من حالات السودان ووحشيّتهم ونشيدهم! فلماذا أراك في كلامك هذا تختار أحوالهم ومضامين نشيدهم علىٰ نحو صارت أحوالك وأقوالك تمثّل أحوالهم ونشيدهم؟! وتمثّل ذلك الولد الشقي الذي قال: «لا أرىٰ لي أباً، خرجتُ من ثقب الجدار!» فهلّا تقول منيباً للصلاح ومعتبراً بقول القائل:

ولقد نَهَزْتُ[1] معَ الغُواةِ بِدَلْوِهم
وأَسَمْتُ سَرْحَ[2] الطَرْفِ حيثُ أساموا

---

(١) نَهَزَ بالدلو في البئر: إذا ضرب بها إلىٰ الماء لتمتلئ؛ آنظر: لسان العرب ١٤/ ٣٠٥ مادّة «نهز».

(٢) أسمتُ السرح: إذا خلّيت الإبل ترعىٰ حيث تشاء، والسائم والسرح: المال الراعي؛ آنظر: لسان العرب ٦/ ٢٢٩ و ٤٤٠ مادّتي «سرح» و «سوم».
والمراد: أنّه خلّىٰ نفسَه وهواها وملاذّها تذهب به حيث تشاء بلا وازع أو رادع.

ويَـلَغـتُ مـا بَـلغَ آمـرُؤٌ بشـبابِهِ
فـإذا عُـصارةُ كـلِّ ذاكَ أثـامُ[١]

وقول القائل:

لقدْ طُفْتُ في تـلكَ المـعاهِدِ كلِّها
ورَدَّدْتُ طَرْفي بـينَ تـلكَ المـعالِمِ
فـلمْ أرَ إلّا واضـعاً كَـفَّ حـاسرٍ
علىٰ ذَقَـنٍ أو قـارعاً سِـنَّ نـادمِ[٢]

رمزي: يا عبـدالله! اكـفف الآن عن الملام وأمثال هـذا الكلام، ولا تشوّش علَيَّ حرّيّتي، ولا تكدّر علَيَّ صفاء لذّاتي؛ فإنّك لا تقدر ـ حالاً ـ علىٰ أن تأخذ أمام شهواتي، وإذا كان لي مبدأ اعتقادي فإنّه محوّل إلىٰ ضميري.

عـبـدالله: يُـفهم مـن حـالك وأمـثالك الشـهوانـية أنّك

---

(١) من قصيدة لأبي نوّاس (١٤٦ ـ ١٩٨ هـ/ ٧٦٣ ـ ٨١٤ م)، يمدح بها الأمين العبّاسي، من بحر الكامل، وفيها: «اللهو» بدل «الطرف»، ومطلعها:

يا دارُ! ما فَعلَتْ بكِ الأيّامُ؟! ضـامَتْكِ، والأيّـامُ ليسَ تُـضامُ

آنظر: ديوان أبي نوّاس: ٥٧٥.

(٢) من قصيدة للأبيوردي محمّـد بن أحـمد القـرشي الأُمـوي، المـتوفّىٰ سـنة ٥٠٧ هـ/ ١١١٣ م، وهي من بحر الطويل، وفيها: «وسَـيّرتُ» بدل «وردّدتُ» و «حَيْرَةٍ» بدل «حاسِرٍ».

آنظر: ديوان الأبيوردي: ١٣٨.

سُفوريّ! فهل أنت ممّن يطالب بسفور النساء ويُجري دموعه من أجله ؟!

رمزي: لا، لا، يا صاحبي! لا يصل توبيخك لي إلىٰ هذا الحدّ، ولا تقابل صاحبك بالشتم المقذع وسوء القول، ولا تقل ما يمسّ بالغيرة والشرف؛ فلماذا تطعن بغيرتي وشرفي ؟! وأنا من بيت شريف وأُسرة كريمة!

عبدالله: ما هذا الغيظ منك ؟! ويا للعجب! ومع إنّك عبد الشهوات ولا تبالي بالتهتّك، كيف غضبت من هذا السؤال هذا الغضب ؟! فقل لي ما هو السبب في غيظك بهذه الشدّة من هذا السؤال ؟!

رمزي: وهل يخفىٰ علىٰ أحد أنّ دعوة السفور لا تنفكّ ـ علىٰ الأقلّ ـ عن ثلاث صفات؛ إحداهنّ تُناسِب شهوانيّتي، ودوام آلتذاذي بالآنسات السافرات بما يتعاطَينه من الزيّ الأنيق والطراز البهيج، إذ يتخاصفن[1] في الشوارع

---

(١) كذا في الأصل، ولم أجد لها معنىً مناسباً في مادّة «خصف» من المعاجم اللغوية..

ولعلّها تصحيف: يتحاصفن ـ بالحاء المهملة لا المعجمة ـ، وأحصف إحصافاً: إذا مَرَّ مرّاً سريعاً وأسرع في عَدْوه؛ آنظر مادّة «حصف» في: الصحاح ٤/١٣٤٤، لسان العرب ٣/٢٠٧..

أو تصحيف: يتخاطفن، أي يمررن مرّاً سريعاً؛ آنظر: لسان العرب ٤/١٤٢ مادّة «خطف».

البلاغ المبين / خلقة العالَم ودلالتها علىٰ الله تعالىٰ ١٩٩

كأسراب[١] الريم[٢] الأوانس[٣]، مزوَّدات بلِين العَريكة[٤]، وخفّة المداعبة، وسهولة الانقياد، يمثّلن بالترنّح ما لمحاسنهنّ من الخَدالة[٥] والهَيَف[٦] والارتجاج[٧] والمَيْس[٨]، بوجوه كالأقمار، وصدور كالمرايا، وأجياد كأباريق فضّة، وشعور كسبائك الذهب..

أو كما نشره المتأنّثون من السفوريّين باسم الآنسة «نضيرة» السفورية، في كتاب «السفور»، المطبوع في بيروت

---

(١) أسراب، جمع سِرْب: القطيع من الظباء ومن النساء؛ آنظر: لسان العرب ٦/ ٢٢٥ مادّة «سرب».

(٢) الرِيم: الظَبي الأبيض الخالص البياض؛ آنظر: لسان العرب ٥/ ٣٩٥ مادّة «ريم».

(٣) جارية آنسة: إذا كانت طيّبة النفْس تُحبّ قُربَك وحديثَك، وجمعها آنِسات وأوانِس؛ آنظر: لسان العرب ١/ ٢٣٥ مادّة «أنس».

(٤) العريكة: الطبيعة، وليّن العريكة إذا كان ليّن الخُلُق سلساً مطاوعاً منقاداً قليل الخلاف والنفور؛ آنظر: لسان العرب ٩/ ١٦٩ مادّة «عرك».

(٥) الخَدالة من المرأة: امتلاء الساقين والذراعين؛ آنظر: لسان العرب ٤/ ٤٠ مادّة «خدل».

(٦) الهَيَف ـ بالتحريك ـ: رقّة الخصر وضمور البطن، والهِيْف ـ جمع: أهيف وهيفاء ـ: وهو الضامر البطن؛ آنظر: لسان العرب ١٥/ ١٨١ مادّة «هيف».

(٧) الرَّجُّ: التحريك، والارتجاج: مطاوعة الرجّ؛ آنظر: لسان العرب ٥/ ١٤١ ـ ١٤٢ مادّة «رجج».

(٨) الميس: التبختر؛ آنظر: لسان العرب ١٣/ ٢٣١ مادّة «ميس».

سنة ١٩٢٨، في صحيفة ٢٥٤: «وقد اطّرحنا الملاءات والخرق، وظهرن بأثواب وقلائد كأنّهنّ ملائكة من بشر، يسعين لجعل الأرض جنّات تجري من تحتها الأنهار، تشرح القلوب والصدور، وتسرّ الأرواح والأبصار»..

فأكون كما تمنّوه في صحيفة ١٧٧: «قد جعلت يدي بيد السافرة، نتبادل احترام المغازلة، فكراً وقولاً وفعلاً، سائرين في طريق الـ... بوجوه طافحة بماء الـ...»!

«فظُنَّ خيراً ولا تسألْ عن الخَبرِ»[1]، فإنّ السفور يكون شبكاً عمومياً لصيد الأوانس، لا يحتاج معه إلىٰ كلفة الفخاخ والحبائل الخصوصية، ولا أخاف فيه رقيباً ولا غيرة، غير أنْ «خلا لكِ الجوّ فبيضي وأصفري»[2].

عبد الله: إذا كان هذا الحال يروق لك، وتحبّذه

---

(١) عجز بيت صدره: «فكان ما كان ممّا لستُ أذكرُهُ» والبيت لابن المعتزّ (٢٤٩ ـ ٢٩٦ هـ/ ٨٦١ ـ ٩٠٨ م)، من قصيدة في الغزل، من بحر البسيط، مطلعها:

سقىٰ المَطيرةَ ذاتَ الظلِّ والشجرِ ودِيرَ عبدونَ هطّالٌ منَ المطرِ

أنظر: ديوان ابن المعتزّ: ٢١٩.

(٢) عجز بيت صدره: «يا لكِ من قُبَرَةٍ بمَعْمَرِ»، والبيت لطرفة بن العبد (٨٦ ـ ٦٠ ق. هـ/ ٥٣٨ ـ ٥٦٤ م)، من قصيدة من بحر الرجز، قالها لمّا نصب فخّاً للقنابر فلم يصد شيئاً، فلمّا ارتحل رأىٰ القنابر تلتقط ما نثر لها من حَبّ.

أنظر: ديوان طرفة بن العبد: ٤٦.

شهوانيّتك ، فلماذا انزعجتَ من سؤالي إلىٰ ذلك الانزعاج ؟!

رمزي : انزعجت من أجل ما يلزم لطلب السفور من الصفات الأُخر الذميمة !

ولأجل نفرتي منها ومخالفتها للغيرة وآنزعاجي من سؤالك ، اقطعِ الكلام حالاً علىٰ هذا المقدار ، ولعلّما يسكن غيظي فتسنح الفرصة للكلام في بيان تلك الصفات الذميمة ، وفي مفاسد السفور فلسفياً وآجتماعياً وآقتصادياً ودينياً وإنسانيةً .

فإنّي أعلم أنّك تطيل معي الكلام لكي تستخرج ما في ضميري ، وتمحّص الحقيقة ، فأمهِلني في ذلك .

عبدالله : وهل تسمح نفسك بأن نتكلّم في المهمّات من التعاليم الأساسية الحقيقية في سعادة الإنسان ومدنيّته الصالحة وكماله وحسن أخلاقه وكرامة مستقبله ؟!

رمزي : إنّك تريد الكلام في الدين والشريعة والرسالة لكي تستعين باعترافي بذلك علىٰ أن تحبسني عن شهواتي وملاذّي !

ولكن لا منافاة ؛ أُساعدك علىٰ الكلام والنظر الصحيح ، وأمّا الانقياد إلىٰ تعاليمك وحبسك لي فذلك إلىٰ رأيي ، فإنّ للعمل مقاماً ، وللعرفان والاعتراف بالحقيقة شرفاً وكرامة ..

فأمهِلني .. وما هو الذي يدعوك إلىٰ الاستعجال ؟! وما هذه الحرارة ؟!

عبد الله :

هانَ علىٰ الواجِدِ طَعمُ الكَرىٰ إنَّ الفتىٰ الساهِرَ ما غَمَّضا[1]

* * *

والله المستعان وهو حسبي
وله الحمد أوّلاً وآخراً .

* * *

تمّت

* * *

---

(١) من قصيدة للشريف الرضي (٣٥٩ ـ ٤٠٦ هـ/ ٩٦٩ ـ ١٠١٥ م) ، يمدح بها الملك بهاء الدولة ويعتذر إليه ممّا اتّفق في أمره في أوّل يوم من جمادىٰ الأُولىٰ سنة ٣٩٧ ، مطلعها :

كيف أضاءَ البرقُ إذ أومَضا منابِتَ الرَّمْثِ بوادي الغَضا

آنظر : ديوان الشريف الرضي ١ / ٥٧٤ .

٤

الرَّدُّ على الوهّابيّة

[تمهيـد :]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحـمد لله ربّ العـالمين ، والصـلاة عـلىٰ مـحمّـد سـيّد الأوّلين والآخِرين ، صلّىٰ الله عليه وسلّم ، وعلىٰ آله أجمعين .

وبعـد . .

فقد عثرتُ في بعض الجرائـد[1] علىٰ سؤال نصّه هذا :

«غادر مكّة في شهر رمضان الماضي الشيخ عبـدالله بـن بليهد ، قـاضي قـضاة الوهّـابيّين فـي الحـجاز ، قـاصداً المـدينة المنوّرة ، وقد تلقّت جريدة «أُمّ القرىٰ» من مكاتبها في المدينة أنّ الشيخ ابن بليهد اجتمع بعلماء المدينة وبـاحثهم فـي أُمـور كـثيرة ، ثمّ وجّـه إليهم السـؤال الآتي :

بسـم الله الرحمٰن الرحيم ، ما قول علماء المدينة المنـوّرة ـ زادهم الله فـهماً وعـلماً ـ فـي البـناء عـلىٰ القـبور وآتّـخاذها

---

(١) هي جريدة «أُمّ القرىٰ» ، العدد ٦٩ ، بتاريخ ١٧ شوّال ١٣٤٤ هـ .
وهذا ممّا أفادني به سماحة العلّامة المـحقّق السيّد عـبـد العـزيز الطباطبائي ﷺ .

مساجد، هل هو جائز أم لا؟

وإذا كان غير جائز، بل ممنوعٌ منهيٌّ عنه نهياً شديداً، فهل يجب هدمها ومنع الصلاة عندها، أم لا؟

وإذا كان البناء في مسبّلة ـ كالبقيع ـ وهو مانع من الانتفاع بالمقدار المبنيّ عليه، فهل هو غصب يجب رفعه؛ لِما فيه من ظلم المستحقّين ومنعهم استحقاقهم، أم لا؟

وما يفعله الجُهّال عند هذه الضرائح، مِن التمسّح بها، ودعائها مع الله، والتقرُّب بالذبح والنذر لها، وإيقاد السُّرُج عليها؛ هل هو جائز، أم لا؟

وما يُفعل عند حجرة النبيّ ﷺ، مِن التوجّه إليها عند الدعاء وغيره، والطواف بها، وتقبيلها، والتمسّح بها، وكذلك ما يُفعل في المسجد الشريف، من الترحيم والتذكير بين الأذان والإقامة، وقبل الفجر، ويوم الجمعة؛ هل هو مشروع، أم لا؟

أفتونا مأجورين، وبيّنوا لنا الأدلّة المستند إليها؛ لا زلتم ملجأً للمستفيدين».

وهذا نصّ الجواب:

«أمّا البناء على القبور فهو ممنوع إجماعاً؛ لصحّة الأحاديث الواردة في منعه، وبهذا أفتىٰ كثير من العلماء بوجوب

هدمه، مستندين علىٰ ذلك بحديث عليٍّ عليه السلام أنّه قال لأبي الهيّاج: (ألا أبعثك علىٰ ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ؟! أن لا تدع تمثالاً إلّا طمسته، ولا قبراً مُشرِفاً إلّا سوّيته)، رواه مسلم[1].

وأمّا اتّخاذ القبور مساجد والصلاة فيها فممنوع مطلقاً، وإيقاد السُّرُج عليه ممنوع أيضاً؛ لحديث ابن عبّاس: (لعنَ رسولُ الله زائراتِ القبور، والمتّخذين عليها المساجد والسُّرُج)، رواه أهل السُّنن[2].

وأمّا ما يفعله الجُهّال عند الضرائح، مِن التمسّح بها، والتقرُّب إليها بالذبائح والنذور، ودعاء أهلها مع الله، فهو حرامٌ، ممنوع شرعاً، لا يجوز فعله أصلاً.

وأمّا التوجّه إلىٰ حجرة النبيّ ﷺ عند الدعاء، فالأَوْلىٰ منعُه، كما هو معروف من فقرات كتب المذهب؛ ولأنّ أفضل

---

(١) صحيح مسلم ٣/٦١.
وآنظر: مسند أحمد ١/٩٦ و ١٢٩، سنن النسائي ٤/٨٨، سنن أبي داود ٣/٢١٢ ح ٣٢١٨، سنن الترمذي ٣/٣٦٦ ح ١٠٤٩ ب ٥٦.

(٢) سنن أبي داود ٣/٢١٦ ح ٣٢٣٦، سنن النسائي ٤/٩٥، سنن الترمذي ٢/١٣٦ ح ٣٢٠، مسند أحمد ١/٢٢٩ و ٢٨٧ و ٣٢٤ و ٣٣٧، المعجم الكبير ١٢/١١٥ ح ١٢٧٢٥، الإحسان بترتيب صحيح ابن حبّان ٥/٧٢ ح ٣١٦٩ و ٣١٧٠، مصنّف ابن أبي شيبة ٣/٢٢٥ ح ١ ب ١٤٦.

الجهات جهة القِبلة.

وأمّا الطواف بها والتمسّح بها وتقبيلها، فهو ممنوع مطلقاً.

وأمّا ما يُفعل من التذكير والترحيم والتسليم في الأوقات المذكورة، فهو مُحْدَثٌ.

هذا ما وصل إليه علمنا السقيم».

ويلي ذلك توقيع ١٥ عالماً.

وقد علّقت جريدة «أُمّ القرىٰ» علىٰ هذه الفتوىٰ بمقالة افتتاحية قائلةً:

«إنّ الحكومة ستسير في تنفيذ أحكام الدين، رضي الناس أم كرهوا»! انتهىٰ.

وآطّلعتُ أيضاً علىٰ مقالة في بعض الجرائد المصرية[1]، وهذا نصّها:

«تغلّب الوهّابيّون علىٰ الحجاز، فأَوفدت حكومة إيران وفداً ـ علىٰ رأسه حضرات أصحاب السعادة: ميرزا غفّار خان جلال السلطنة، وزيرها المفوَّض في مصر، وميرزا حبيب الله خان هوَيدا عين الملك، قنصلها الجنرال[2] بالشام ـ إلىٰ الحجاز؛ ليتبيّنوا وجه الحقيقة في ما أُذيع علىٰ العالَم الإسلامي

---

(١) هي جريدة «المقطَّم»، في عددها الصادر في ٢٢ شوّال سنة ١٣٤٤ هـ.

(٢) أي: القنصل العامّ.

أجمع من فظائع الوهّابيّين في البلاد المقدّسة.

وأتـمّ هـذا الوفـد الرسـميّ مـهمّته، ورفـع تـقريره إلىٰ حكومتـه.

ولَـمّا تجدّد نشر الإشاعات بأنّ الوهّابيّـين هم هم..

وأنّ التطوّر الذي غَشِي العالَمَ أجمع لم يُصلح من فسـاد تطـرّفهم شـيئاً..

وأنّهم هدموا القباب والمزاراتِ المبارَكةَ المنبثّة في أرجاء ذلك الوادي المقـدّس..

وأنّهم ضيّقوا الحرّيّة المذهبيّة الإسلامية، نشراً لمذهبهم، وتوسيعاً لنـطاق نـحلتهم، فـي الوقت الذي تـقوم فـيه جـميع حكومات العالَم علىٰ رعاية الحـرّيّـات المذهبيّـة..

أَصْدَرَتْ[1] أَمْرَها بوقف التصريح بالسفر للحجاز، حماية لرعاياها، وحفظاً لهم من قـصدِ بـلادٍ لم يُـعْـرَف تـماماً كُـنه الحكم فيهـا.

وعـادت فأوفـدت سـعادة ميـرزا حبيـب الله خـان هوَيـدا ـ قنصلها الجنرال[2] في الشام ـ ثانيةً، للتحقّـق من مبلغ صدق تلك الإشاعات، فإذا بها صحيحـة في جملتها!

---

(١) أي: حكومة إيران؛ والفعل جوابُ «لَـمّـا» المتقـدّمـة.
(٢) أي: القـنصل العامّ.

لم تمنع الحكومة الإيرانية رعاياها من السفر إلىٰ الحجاز لأنّ حكومته وهّابيّة فحسب، ولكنّ الإيرانيّين أَلِفوا في الحجّ والزيارة شؤوناً يعتقدون أنّها من مستلزمات أداء ذلك الركن، ويشاركهم في ذلك جمهور المسلمين من غير الوهّابيّين، كزيارة مشاهد أهل البيت، والاستمداد من نفحاتهم، وزيارة مسجد منسوب للإمام عليٍّ عليه السلام.

وقد قضىٰ الوهّابيُّ علىٰ تلك الآثار جملةً، وقضىٰ رجاله ـ وكلُّ فرد منهم حكومة قائمة ـ علىٰ الحرّيّة المذهبيّة.

فمَن قرأ الفاتحة علىٰ مشهد من المشاهد، جُلِد.

ومَن دخّن سيجارة أو نرجيلة، أُهينَ وَضُرِبَ وزُجَّ في السجن، في الوقت الذي تحصّل فيه إدارة الجمارك الحجازيّة رسوماً علىٰ واردات البلاد من الدخان والتمباك.

ومَن استنجد بالرسول المجتبىٰ عليه صلوات الله وسلامه بقوله: (يا رسول الله!)، عُدَّ مشركاً.

ومَن أقسم بالنبيّ أو بآله، عُدَّ خارجاً عن سياج الملّة.

وما حادثة السيّد أحمد الشريف السنوسيّ[1] ـ وهو علمٌ

---

(١) هو السيّد أحمد الشريف بن محمّد بن عليّ السنوسي (١٢٨٤ ـ ١٣٥١ هـ)، وُلد وتفقّه في «الجغبوب» من أعمال ليبيا، قاتل

من أعلام المسلمين المجاهدين ـ ببعيدة ؛ إذ كان وقوفه وقراءته الفاتحة علىٰ ضريح السيّدة خديجة رضوان الله عليها ، سبباً كافياً في نظر الوهّابيّين لإخراجه من الحجاز .

كلُّ هذا حاصلٌ في الحجاز لا ينكره أحد ، ولا يستطيع الوهّابيُّ ولا دعاتُه ولا جنودُه أن يكذِّبوه» .

إنتهىٰ ما أردنا نقله من تلك الجريدة .

فرأيتُ أن أتكلّم معهم بكلمات وجيزة ، جارية في نهج الإنصاف ، خالية عن الجور والتعصّب والاعتساف ، سالكاً سبيل الرفق والاعتدال ، ناكباً عن طريق الخرق والجدال ، فما المقصود إلّا هداية العباد ، والله وليُّ الرشاد .

ثمّ إنّا نتكلّم في ما طعن به الوهّابيّون علىٰ سائر المسلمين في ضمن فصول ، والله المستعان .

وآجتنبتُ فيه عن الفحش في المقال ، والطعن والوقيعة والجدال .

هذا ، والجرح لَمّا يندمل ، وإنّ القلوب لحرّىٰ ، والعيون

﴿ الإيطاليّين في حربهم مع الدولة العثمانية سنة ١٣٣٩ هـ ، دُعي إلىٰ إسلامبول بعد عقد الصلح بين إيطاليا والعثمانيّين ، ثمّ رحل منها إلىٰ الحجاز ، كان من أنبل الناس جلالة قدر وسراوة حال ورجاحة عقل ، وكان علىٰ علم غزير ، وقد صنّف في أوقات فراغه كتباً عديدة .
آنظر : الأعلام ١ / ١٣٥ .

لعبرىٰ ، علىٰ الرزيّة التي عمّت الإسلام والمسلمين ، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون .

ويا لها من رزيّة جليلة ! ومصيبة فاظعة[1] فادحة ! وثلمة عظيمة في الإسلام أليمة فجيعة !

كُحِلَتْ بِمِقْطَرِكَ العُيُونُ عَمايَةً
وَأَجَلَّ وَقْعَكَ كُلُّ أُذْنٍ تَسْمَعُ[2]

وعلىٰ الجملة :

فقد هدموا شعائرَ الدين ، وجرحوا قلوبَ المسلمين ، بفتوىٰ خمسة عشر ، تشهد القرائن بأنّهم مجبورون مضطرّون علىٰ هاتيك الفتيا !

ويشهد نفس السؤال ـ أيضاً ـ بذلك ؛ حيث إنّ السائل

---

(١) كذا في الأصل ، ولعلّها : «قاطعة» ، والأصوب لغةً أن تكون : «فظيعة» .

(٢) البيت من قصيدة لدعبل الخزاعي ، يرثي بها سيّد الشهداء الإمام أبا عبدالله الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وقد ورد البيت باختلاف في بعض ألفاظه في الديوان المطبوع ومصادر أُخرىٰ هكذا :
كُحِلَتْ بِمَنْظَرِكَ العُيُونُ عَمايَةً وَأَصَمَّ نَعْيُكَ كُلَّ أُذْنٍ تَسْمَعُ
أنظر : ديوان دعبل : ٢٢٦ ، معجم الأدباء ٣/ ٣٢٠ و ج ١/ ٤٠٩ وفيه : «رُزْؤُكَ» بدل «نَعْيُكَ» ولم يُسمّ قائله هنا ، الحماسة البصرية ١/ ٢٠١ .

يعلِّمُهُمُ الجوابَ في ضمن السؤال بقوله: «وإذا كان غير جائز، بل ممنوع منهيٌّ عنه نهياً شديداً»!

ويومئ إليه ـ أيضاً ـ ما في الجريدة، أنّه اجتمع إليهم أوّلاً، وباحثهم ثانياً، ومن بعد ذلك وجّه إليهم السؤال المزبور!

ولقد حدّثني بعض الثقات من أهل العلم ـ بعد رجوعه من المدينة ـ عن بعض علمائها، أنّه قال: إنّ الوهّابيّة أوعدوني وعالِمَين غيري بالقتل والنهب والنفي (علىٰ مساعدتهم)[1] في الجواب، فلم نفعل.

هٰذِي المَنازِلُ بِالغَمِيمِ فَنَادِها
وَٱسْكُبْ سَخِيَّ العَيْنِ بَعْدَ جَمادِها[2]

* * *

(١) كذا في الأصل، والصواب: «إنْ لم نساعدهم».

(٢) مطلع قصيدة للشريف الرضيّ، يرثي بها سيّد الشهداء الإمام أبا عبدالله الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، في يوم عاشوراء سنة ٣٩١ هـ.
آنظر: ديوان الشريف الرضيّ ١ / ٣٦٠.

الفصل الأوّل
في توحيد الله في العبادة

إعلم أنّ من ضروريّات الدين، والمتّفق عليه بين جميع طبقات المسلمين، بل من أعظم أركان أُصول الدين: اختصاص العبادة بالله ربّ العالَمين.

فلا يستحقّها غيره، ولا يجوز إيقاعها لغيره، ومَن عَبَدَ غيرَه فهو كافرٌ مشرك، سواءٌ عَبَدَ الأصنامَ، أو عَبَدَ أشرفَ الملائكةِ، أو أفضلَ الأنامِ.

وهذا لا يرتاب فيه أحدٌ ممّن عرف دينَ الإسلام.

وكيف يرتاب؟! وهو يقرأ في كلّ يوم عشر مرّات: ﴿إيّاكَ نَعْبُدُ وإيّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[1].

ويقرأ: ﴿قُلْ يا أَيُّها الكافِرونَ * لا أَعْبُدُ ما تَعْبُدونَ * ولا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ * ولا أنا عابِدٌ ما عَبَدْتُمْ * ولا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[2].

ويقرأ في سورة يوسف: ﴿إِنِ الحُكْمُ إِلّا للهِ أَمَرَ أَلّا

---

(١) سورة الفاتحة ١: ٥.

(٢) سورة الكافرون ١٠٩: ١ ـ ٦.

تَـعْـبُـدُوا إلّا إيّـاهُ﴾[١].

ويقرأ في سورة النحل: ﴿وَقالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شاءَ اللهُ ما عَبَدْنا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلا آباؤنا وَلا حَـرَّمْنا مِـنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كذلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إلّا البَلاغُ المُبِـينُ﴾[٢].

ويقرأ في سورة التوبة: ﴿وَما أُمِرُوا إلّا لِـيَـعْـبُدُوا إلٰـهاً واحِداً لا إلٰه إلّا هوَ سُـبْحانَـهُ عَمّا يُشْرِكُونَ﴾[٣].

ويقرأ في سورة البقرة: ﴿أَمْ كُـنْـتُمْ شُـهَداءَ إذْ حَـضَرَ يَعْقُوبَ المَوْتُ إذْ قالَ لِبَنِيهِ ما تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِى قالُوا نَعْبُدُ إلٰهَكَ وَإلٰهَ آبائِكَ إبْراهيمَ وَإسـماعِيلَ وإسْـحاقَ إلٰـهاً واحِـداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[٤].

ويقرأ في سورة الأعراف: ﴿وإلىٰ عادٍ أخـاهُمْ هُـوداً﴾ إلىٰ قوله عزّ من قائل: ﴿قالُوا أَجِئْـتَنا لِنَـعْـبُدَ اللهَ وَحْدَهُ﴾[٥].

ويقرأ في [سورة] الزمـر: ﴿وَالَّذِينَ آتَخَذُوا مِـن دُوْنِـهِ أَوْلِياءَ ما نَعْبُدُهُمْ إلّا لِيُقَرِّبُونا إلىٰ اللهِ زُلْفىٰ إنَّ اللهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ

---

(١) سورة يوسف ١٢: ٤٠.
(٢) سورة النحل ١٦: ٣٥.
(٣) سورة التوبة ٩: ٣١.
(٤) سورة البقرة ٢: ١٣٣.
(٥) سورة الأعراف ٧: ٦٥ ـ ٧٠.

في ما هُمْ فيهِ يَخْتَلِفُونَ إنَّ اللهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كاذِبٌ كَفّارٌ﴾ (١).

ويقرأ فيها: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إلَيْكَ وإلىٰ الّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مَنَ الخاسِرينَ * بَلِ اللهَ فاعْبُدْ وَكُن مِنَ الشّاكِرِينَ﴾ (٢).

ويقرأ فيها: ﴿قُلِ اللهَ أَعْبُدُ مُخلِصاً لَهُ دِينِي﴾ (٣).

ويقرأ في سورة النساء: ﴿وآعْبُدُوا اللهَ ولا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً﴾ (٤).

ويقرأ في سورة هود: ﴿ألّا تَعْبُدُوا إلّا اللهَ إنّني لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ (٥).

ويقرأ في سورة العنكبوت: ﴿يا عِبادِيَ الّذِينَ آمَنُوا إنَّ أَرْضي واسِعَةٌ فَإيّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ (٦).

.. إلىٰ غير ذلك من الآيات الفرقانيّة، والأحاديث

---

(١) سورة الزمر ٣٩: ٣.
(٢) سورة الزمر ٣٩: ٦٥ و ٦٦.
(٣) سورة الزمر ٣٩: ١٤.
(٤) سورة النساء ٤: ٣٦.
(٥) سورة هود ١١: ٢.
(٦) سورة العنكبوت ٢٩: ٥٦.

المتواتـرة[١].

لكنّ العبادة ـ كما هو المفسَّر في لسان المفسِّرين، وأهل العربيّة، وعلماء الإسلام ـ: غاية الخضوع؛ كالسجود، والركوع، ووَضع الخـدِّ علىٰ التراب والرماد تـواضـعاً، وأشـباه ذلك كـما يفعله عُـبّـاد الأصنام لأصنامهم[٢].

وأمّا زيارة القبور والتمسّح بها وتقبيلها والتبرّك بها، فليس من ذلك في شيء كما هو واضـحٌ، بـل ليس فـيها شـيء مـن الخضوع فضلاً عن كونها غاية الخضوع.

مع أنّ مطلق الخضوع ـ كما عـرفت ـ ليس بـعبادة، وإلّا لكان جميع الناس مشركين، حتّىٰ الوهّابيّين! فإنّهم يـخضعون للرؤساء والأُمـراء والكـبراء بـعضَ الخـضوع، ويـخضع الأبـناء للآباء، والخدم للمخدومين، والعبيد للموالي، وكلُّ طـبقة مـن

---

(١) أنظر ذلك في تفسير الآيات الكريمة المتقدّمة ـ علىٰ سبيل المثال ـ وغـيرها فـي مـختلف التـفاسـير، ولاحـظ كـتاب «التـوحيد» للشـيخ الصدوق، والكافي ١/ ٥٧ ـ ١٢٧ كتاب التوحيـد.

(٢) أنظر ذلك ـ علىٰ سبيل المثال ـ في تفسير آية ﴿إِيَّـاكَ نَـعْبُدُ وإِيَّـاكَ نَسْـتَعِينُ﴾ في: التـبيان ١/ ٣٧ ـ ٣٩، مـجمع البـيان ١/ ٣٤ ـ ٣٥، تفسير الطبري ١/ ٩٨، تفسـير الفخر الرازي ١/ ٢٤٦، تفسير القرطبي ١/ ١٠١، الدرّ المنثور ١/ ٣٧، تفسير الصافي ١/ ٨٤، كـنز الدقـائق ١/ ٥٤ ـ ٥٦، نور الثقلين ١/ ١٩ ـ ٢٠، آلاء الرحمٰن ١/ ١٢٧ ـ ١٣٠، البيان في تفسير القرآن: ٤٥٧ ـ ٤٨٣، ومادّة «عَبَدَ» في: لسان العرب ٩/ ١٠.

طبقات الناس لِلّتي فوقها، فيخضعون إليهم بعض الخضوع، ويتواضعون لهم بعض التواضع.

هذا، وقد قال الله عزّ من قائل في تعليم الحكمة: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُما جَناحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾[1].

أَتَرىٰ اللهَ حين أمر بالخضوع للوالِدَين أمَرَ بعبادتهما؟!

ويقول سبحانه: ﴿لا تَرْفَعُوا أَصْواتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالقَوْلِ...﴾ إلىٰ آخرها[2].

أَلَيس هذا خضوعاً وتواضعاً؟!

أَتَرىٰ اللهَ سبحانه أَمَرَ بعبادة نبيِّه؟!

أَوَليس التواضع من الأخلاق الجميلة الزكيّة، وهو متضمّن لشيء من الخضوع لا محالة؟!

أَوَترىٰ الله نهىٰ أن يُصنع بأنبيائه وأوليائه نظير ما أمر أن يصنع بسائر المسلمين من التواضع والخضوع؟!

وقد كان الصحابة يتواضعون للنبيّ ﷺ ويخضعون له، وذلك من المسلَّمات بين أهل السِيَر والأخبار.

بل روىٰ البخاري في صحيحه:

* «خرج رسول الله ﷺ بالهاجرة إلىٰ البطحاء، فتوضّأ،

---

(١) سورة الإسراء ١٧ : ٢٤.

(٢) سورة الحجرات ٤٩ : ٢.

ثمّ صلّىٰ الظهر ركعتين ، والعصر ركعتين ، وبين يديه عَـنَـزَة[١] .

قال شعبة : وزاد فيه عون : عن أبيه ، عـن أبـي جـحيفة ؛ قال : كان تمـرُّ من ورائها المرأة .

وقام الناس فجعلوا يأخذون يده فيمسحون بها وجوههم .

قال : فأخذتُ بيده فوضعتها علىٰ وجهي ، فإذا هي أبـرد من الثلج ، وأطيب رائحة من المسـك»[٢] .

[زيارة القبـور :]

وأمّا الأخبار الدالّة علىٰ زيارة القبور فنذكر عدّة منها ، وإنْ كان لا حـاجة إلىٰ ذِكـرها لوضـوح المسـألة ، حتّىٰ إنّ الوهّابيّـين ـ أيضاً ـ غير مانعين عن أصـل الزيارة .

* فروىٰ البخاري ، عنه ﷺ ، أنّه «خرج يوماً فـصلّىٰ علىٰ أهل أُحُد صلاته علىٰ الميّت ، ثمّ انصرف إلىٰ المنبر . . .» إلىٰ آخـره[٣] .

---

(١) العَـنَـزَة ـ بالتحريك ـ : هي أطول من العصا وأقصر من الرمح ، فيها سـنان كسـنان الرمح ، وربّما في أسفلها زُجٌّ كَـزُجّ الرمح .
آنظر مادّة «عنز» في : القاموس المـحيط ٢ / ١٩٠ ، لسـان العـرب ٩ / ٤٢٤ .

(٢) صحيح البخاري ٥ / ٢٩ ح ٦٠ .

(٣) صحيح البخاري ٢ / ١٩٣ ح ١٠١ ؛ وآنظر : سنن أبي داود ٣ / ٢١٣ ح ٣٢٢٣ إلىٰ قوله : «ثمّ انصرف» .

* وروىٰ فيه عن أنس، قال: مرّ النبيّ ﷺ بامرأة تبكي عند قبر، فقال: «**اتّقي اللهَ وآصبري...**» إلىٰ آخره[1]، ولم ينهها عن زيارة القبر.

* وروىٰ الدارقطني في «السنن» وغيرها، والبيهقي، وغيرهما، من طريق موسىٰ بن هلال العبدي، عن عبدالله العمري، عن نافع، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن زار قبري وجبت له شفاعتي**»[2].

* وعن نافع، عن سالم، عن ابن عمر، مرفوعاً، عن النبيّ ﷺ، أنّه قال: «**من جاءني زائراً ليس له حاجة إلّا زيارتي، كان حقّاً عَلَيَّ أن أكون له شفيعاً يوم القيامة**»[3].

---

(١) صحيح البخاري ٢/١٦١ ح ١٥ إلىٰ قوله: «وآصبري» و ص ١٧١ ح ٤٤؛ وآنظر: سنن أبي داود ٣/١٨٩ ح ٣١٢٤، السنن الكبرىٰ ـ للبيهقي ـ ٤/٦٥، الأنوار في شمائل النبيّ المختار ١/٢٠٠ ح ٢٣٩.

(٢) سنن الدارقطني ٢/٢١٧ ح ٢٦٦٩، شعب الإيمان ٣/٤٩٠ ح ٤١٥٩، الكنىٰ والأسماء ـ للدولابي ـ ٢/٦٤، الكامل في ضعفاء الرجال ٦/٣٥١ رقم ١٨٣٤، الوفا بأحوال المصطفىٰ: ٨١٧ ح ١٥٣٠، مجمع الزوائد ٤/٢، الصلات والبشر: ١٤٢، دفع شُبَه مَن شَبّه وتمرّد: ٩٥، الدرّ المنثور ١/٥٦٩، كنز العمّال ١٥/٦٥١ ح ٤٢٥٨٣؛ وآنظر: الغدير ٥/٩٣ ـ ٩٦ ح ١ ومصادره.

(٣) آنظر: المعجم الكبير ١٢/٢٢٥ ح ١٣١٤٩، مجمع الزوائد ٤/٢، الصلات والبشر: ١٤٢، الدرّ المنثور ١/٥٦٩، كنز العمّال ١٢/٢٥٦ ح ٣٤٩٢٨؛ وآنظر: الغدير ٥/٩٧ ـ ٩٨ ح ٢ ومصادره.

* وعن ليث، عن مجاهد، عن [ابن] عـمر، مـرفوعاً، قـال ﷺ: «**مَنْ حجَّ وزار قبري بعد وفاتي، كان كمن زارني في حيـاتي**»(١).

* وعن نافع، عن ابن عمر، عن النبيّ ﷺ، قال: «**مَـن زارني كنتُ له شـهيداً أو شـفيعاً**»(٢).

* وعن نافع، عن ابن عمر، عن النبيّ ﷺ، قال: «**مَـن حجَّ [البيت] ولم يزرني فقد جفاني**»(٣).

---

(١) آنـظـر: المعجم الكبير ١٢/ ٣١٠ ح ١٣٤٩٧، المعجم الأوسـط ٤/ ٥٠ ح ٣٣٧٦، سـنن الدارقطـني ٢/ ٢١٧ ح ٢٦٦٧، السـنن الكبرىٰ ـ للبيهقي ـ ٥/ ٢٤٦، شـعب الإيمان ٣/ ٤٨٩ ح ٤١٥٤ وفي ص ٤٨٨ ح ٤١٥١ عن حاطب، فضائل المدينة ـ لأبي سعيد الجَنَدي ـ: ٣٩ ح ٥٢، فردوس الأخبار ٢/ ٢٥٢ ح ٥٧٠٩، الوفا بأحوال المصطفىٰ: ٨١٦ ح ١٥٢٩، الصلات والبشر: ١٤٣، الدرّ المنثور ١/ ٥٦٩، كنز العمّال ٥/ ١٣٥ ح ١٢٣٦٨ و ج ١٥/ ٦٥١ ح ٤٢٥٨٢؛ وآنظر: الغدير ٥/ ٩٨ ـ ١٠٠ ح ٣ ومصادره.

(٢) آنظر: مسند الطيالسي: ١٢ ـ ١٣ ح ٦٥، شعب الإيمان ٣/ ٤٨٩ ذ ح ٤١٥٣، كنز العمّال ٥/ ١٣٥ ح ١٢٣٧١، كما ورد مضمونه في: السنن الكبرىٰ ـ للبيهقي ـ ٥/ ٢٤٥، شعب الإيمان ٣/ ٤٨٨ ح ٤١٥٢ و ص ٤٨٩ ح ٤١٥٧، الصـلات والبشـر: ١٤٣، الدرّ المـنثور ١/ ٥٦٩؛ وآنظر: الغـدير ٥/ ١٠٠ ـ ١٠١ ح ٥ ومصـادره.

(٣) فردوس الأخبار ٢/ ٢٥٢ ح ٥٧٠٨، الكامل في ضعفاء الرجال ٧/ ١٤ رقم ١٩٥٦، الصلات والبشر: ١٤٣، دفع شُبَه مَن شَبّه وتمرّد: ٩٦، الدرّ المنثور ١/ ٥٦٩، كنز العمّال ٥/ ١٣٥ ح ١٢٣٦٩؛ وآنظر: الغـدير ٥/ ١٠٠ ح ٤ ومصادره.

* وعن أبي هريرة، مرفوعاً، عن النبيّ ﷺ، قال: «**مَن زارني بعد موتي فكأنّما زارني حيّاً**»(١).

* وعن أنس، مرفوعاً، عن النبيّ ﷺ، [قال]: «**مَن زارني ميّتاً كمن زارني حيّاً، ومَن زار قبري وجبت له شفاعتي يوم القيامة**»(٢).

* وعن ابن عبّاس، عن النبيّ ﷺ، قال: «**مَن زارني في مماتي كان كمن زارني في حياتي، ومَن لم يزرني فقد جفاني**»(٣).

.. إلىٰ غير ذلك من الأحاديث التي يجوزُ مجموعُها حدَّ المتواتر.

* وفي «الموطّأ» أنّ ابن عمر كان يقف عند قبر

---

(١) المعجم الأوسط ١/١٤٦ ح ٢٨٩، شفاء السقام: ١٠٩ ـ ١١٠، وفاء الوفا ٤/١٣٤٥ ح ١١.

(٢) شفاء السقام: ١١٢، وفاء الوفا ٤/١٣٤٦ ح ١٣، الصلات والبشر: ١٤٣، دفع شُبَه مَن شَبّه وتمرّد: ٩٥، كشف الخفاء ٢/٢٥٠ ـ ٢٥١ ح ٢٤٨٩؛ وآنظر: الغدير ٥/١٠٤ ح ١٠ ومصادره.

(٣) مختصر تاريخ دمشق ٢/٤٠٧، شفاء السقام: ١١٤، دفع شُبَه مَن شَبّه وتمرّد: ٩٦، وفاء الوفا ٤/١٣٤٦ ح ١٤ صدر الحديث عن ابن عبّاس و ص ١٣٤٧ ح ١٦؛ وآنظر: الغدير ٥/١٠٤ ـ ١٠٥ ح ١٢ ومصادره، وقد روي فيها عن أمير المؤمنين الإمام عليّ عليه السلام مرفوعاً بدلاً من ابن عبّاس.

النبيّ ﷺ ، فيسلّم عليه وعند أبي بكر وعمر[١] .

* وسئل نافع : هل كان [ابن] عمر يسلّم علىٰ قبر النبيّ ﷺ ؟

فقال : رأيته مئة مرّة أو أكثر يسلّم علىٰ النبيّ وعلىٰ أبي بكر[٢] .

قال عياض : زيارة قبر رسول الله ﷺ سُنّةٌ أجمعَ عليها المسلمون[٣] .

* وروىٰ بريدة ، عن النبيّ ﷺ : «**إنّي نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها**»[٤] .

---

(١) الموطّأ : ١٥٣ ح ٧٤ ؛ وانظر : شعب الإيمان ٣/ ٤٩٠ ح ٤١٦١ ، الدرّ المنثور ١/ ٥٧٠ ، وفاء الوفا ٤/ ١٣٥٨ .

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ ٢/ ٨٦ ، إقتضاء الصراط المستقيم : ٣٢٧ وقال قبل إيراده الخبر : «وروىٰ ابن بطّة في (الإبانة) بإسناد صحيح . . .» ، شرح الشفا ـ للقاري ـ ٢/ ١٥٢ ـ ١٥٣ وقال : «رواه البيهقي وغيره» ، شفاء السقام : ١٦٧ .

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ ٢/ ٨٣ ؛ وانظر : شفاء السقام : ١٥٥ ، دفع شُبَه مَن شَبّه وتمرّد : ٩٥ ، وفاء الوفا ٤/ ١٣٦٢ ، شرح الشفا ـ للقاري ـ ٢/ ١٤٨ ـ ١٤٩ ، نسيم الرياض ٣/ ٥٦٣ .

(٤) صحيح مسلم ٣/ ٦٥ ، سنن الترمذي ٣/ ٣٧٠ ح ١٠٥٤ ، سنن أبي داود ٣/ ٢١٦ ح ٣٢٣٥ ، سنن النسائي ٨/ ٣١٠ ـ ٣١١ وج ٤/ ٨٩ ، مسند أحمد ٥/ ٣٥٠ و ٣٥٥ و ٣٥٦ و ٣٥٩ و ٣٦١ ، المعجم الكبير ٢/ ١٩ ح ١١٥٢ و ص ٩٤ ح ١٤١٩ ، مصنّف عبد الرزّاق ٣/ ٥٦٩ ح ٦٧٠٨ ، السنن الكبرىٰ ـ للبيهقي ـ ٤/ ٧٧ .

* وعن بريدة، أنَّ النبيَّ ﷺ إذا خرج إلىٰ المقابر قال: «**السلام عليكم أهلَ الديارِ مِنَ المؤمنين والمسلمين**».

رواه مسلم[١].

* وعن ابن عبّاس، أنَّ النبيَّ [كان] يخرج إلىٰ البقيع آخر الليل فيقول: «**السلام عليكم...**».. الخبر.

رواه مسلم[٢].

[التبرُّك بالقبور:]

وأمّا التبرُّك بالقبور وتقبيلها والتمسّح بها..

فقد نقل عبدالله بن أحمد بن حنبل في كتاب «العلل والسؤالات»، قال: سألت أبي عن الرجل يمسّ منبر رسول الله يتبرّك بمسّه وتقبيله، ويفعل بالقبر ذلك رجاءَ ثوابِ الله، فقال: لا بأس به[٣].

---

(١) صحيح مسلم ٣/٦٤ ـ ٦٥؛ وآنظر: سنن النسائي ٤/٩٤، سنن ابن ماجة ١/٤٩٤ ح ١٥٤٧.

(٢) صحيح مسلم ٣/٦٣ ـ ٦٤ عن عائشة؛ وآنظر: سنن النسائي ٤/٩٣، مسند أحمد ٦/٢٢١، سنن الترمذي ٣/٣٦٩ ح ١٠٥٣ عن ابن عبّاس.

(٣) العلل ومعرفة الرجال ٢/٤٩٢ رقم ٣٢٤٣، وعنه في وفاء الوفا ٤/١٤٠٤، وآنظر مؤدّاه ومضمونه أيضاً في ص ١٤٠٣ و ١٤٠٥.

ونقل عن مالك التبـرّك بالقبـر[١].

وروي عن يحيىٰ بن سعيد ـ شيخ مالك ـ أنّه حينما أراد الخروج إلىٰ العراق جاء إلىٰ المنبر وتمسّح به[٢].

ونقل السبكي روايةً ليحيىٰ بـن الحسـن، عـن عـمر بـن خالد، عن أبي نباتة، عن كـثير بـن يـزيد، عـن المـطّلب بـن عبـدالله، قال: أقبل مروان بن الحكم وإذا رَجلٌ ملتزم القـبر، فأخذ مروان برقبته وقال: ما تصنع ؟!

فـقال: إنّـي لم آتِ الحـجرَ ولا اللَّـبِـنَ[٣]، إنّـما جـئـتُ رسـولَ الله ﷺ[٤].

وذكـر روايـة أحمـد، قـال: وكـان الرجـل أبـا أيّـوب الأنصـاري[٥].

* ونقل هذه الرواية أحمد، وزاد فيها أنّه قال: سـمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تبكوا علىٰ الدِّيـن إذا ولوه أهـله**،

---

(١) آنظر مـؤدّاه فـي: الشـفا بـتعريف حـقوق المـصطفىٰ ٢/٨٧، شـفاء السقام: ١٦٣ ـ ١٦٤، وفاء الوفا ٤/١٤٠٧.

(٢) وفاء الوفا ٤/١٤٠٣.

(٣) اللَّبِـنُ واللَّـبْـنُ ـ جمع: اللَّبِنة واللَّـبْـنة ـ: وهو ما يُبنىٰ بـها، وهـو المضروب من الطـين مُـرَبَّـعاً؛ آنـظر: لسـان العـرب ١٢/٢٢٩ مـادّة «لبن».

(٤) شفاء السقام: ٢٧٩؛ وآنظر: مسند أحمد ٥/٤٢٢.

(٥) شفاء السقام: ٢٨٠؛ وآنظر: مسند أحمد ٥/٤٢٢.

وآبكوا عليه إذا وليه غير أهله»[١].

وذكر ابن حمّاد أنّ ابن عمر كان يضع يده اليمنىٰ علىٰ القبر[٢].

ولو رمنا ذِكر جميع الأحاديث لخرجنا من حدّ الاختصار، وفي ما ذُكر كفاية، فضلاً عن سيرة المسلمين، وما عرفتَ من أنّ تلك الأُمور خارجة عن حقيقة العبادة..

فإذاً لا وجه للمنع عنها وإنْ لم يكن دليل عليها.

هذا، وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿**وَمَن يُعَظِّمْ شَعائِرَ اللهِ فَإنَّها مِن تَقْوىٰ القُلُوبِ**﴾[٣].

* * *

---

(١) مسند أحمد ٥/٤٢٢؛ وآنظر: المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/٥٦٠ ح ٨٥٧١ وصحّحه هو والذهبي، مجمع الزوائد ٥/٢٤٥ وقال: «رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط»، شفاء السقام: ٢٧٩، وفاء الوفا ٤/١٣٥٨ ـ ١٣٥٩.

(٢) وفاء الوفا ٤/١٤٠٥.

(٣) سورة الحجّ ٢٢: ٣٢.

الفصل الثاني
في توحيد الله سبحانه في الأفعال

إعلم أنّ من ضروريّات دين الإسلام، والمُجمَع عليه بين جميع الفرق المنتحلة لدين سيّد الأنام، بل ومن أعظم أركان التوحيد: **توحيد الله عزّ وجلّ في تدبير العالَم**، كالخلق والرزق والإماتة والإحياء، إلىٰ غير ذلك ممّا يرجع إلىٰ تدبير العالَم، كتسخيرِ الكواكب، وجعلِ الليل والنهار، والظُلَم والأنوار، وإجراءِ البحار، وإنزالِ الأمطار، وغير ذلك ممّا لا نحصيه ولا نحيط به.

وبالجملة:

لا كلام بين طوائف أهل الإسلام، أنّ المدبِّر لهذا النظام، هو الله المَلِك العلّام، وحده وحده.

وكيف يرتاب مسلم في ذلك، وهو يقرأ في كلّ يوم مراراً من الفرقان العظيم: ﴿**اللهُ الصَّمَدُ**﴾[1] ؟!..

---

(١) سورة الإخلاص ١١٢ : ٢.

ويقرأ قوله عزّ من قائل: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١)..

وقوله سبحانه: ﴿ألا لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾ (٢)..

وقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِنَ السَّماءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأبْصارَ وَمَن يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَيُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾ (٣)..

وقوله عزّ اسمه: ﴿إنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمٰواتِ وَالأرضِ يُحْيِي وَيُميتُ وَما لَكُم مِن دُوْنِ اللهِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ﴾ (٤)..

وقوله عظُم سلطانه: ﴿قالُوا يا نُوحُ قَدْ جادَلْتَنا فَأَكْثَرْتَ جِدالَنا فَأْتِنا بِما تَعِدُنا إن كُنتَ مِنَ الصّادِقِينَ * قالَ إنّما يَأْتِيكُم بِهِ اللهُ إن شاءَ﴾ (٥)..

وقوله جلّ شأنه: ﴿أَمْ جَعَلُوا للهِ شُركاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشابَهَ الخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللهُ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (٦)..

---

(١) سورة الأنعام ٦: ١٠١.
(٢) سورة الأعراف ٧: ٥٤.
(٣) سورة يونس ١٠: ٣١.
(٤) سورة التوبة ٧: ١١٦.
(٥) سورة هود ١١: ٣٢ و ٣٣.
(٦) سورة الرعد ١٣: ١٦.

وقوله عزّ جبروته: ﴿الّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالّذي هُوَ يُطْعِمُنِي ويَسْـقِينِ * وإذا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْـفِينِ * وَالّذي يُمِيتُـنِي ثُـمَّ يُحْيِـيـنِ﴾[1]..

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّـنْ خَـلَقَ السَّـمٰواتِ وَالأرضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾[2]..

وقوله عمّ إحسانه: ﴿وَلَئِن سَألْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّماءِ مآءً فَأَحْيا بِهِ الأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِها لَـيَـقُولُنَّ اللهُ﴾[3]..

وقوله جلّت قدرته: ﴿اللهُ الّذي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُـمَّ يُمِـيتُـكُمْ ثُـمَّ يُحْيِـيكُمْ﴾[4]..

وقوله تعالىٰ شأنه: ﴿خَلَقَ السَّمٰواتِ بِغَيرِ عَمَدٍ تَـرَوْنَها وَألْقىٰ فِي الأرضِ رَواسِيَ أنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيها مِـن كُـلِّ دابَّةٍ وَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَنْبَتْنا فِيها مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيم * هذا خَلْقُ اللهِ فَأَرُونِي مَاذا خَلَقَ الّذينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظّالِمُونَ فِي ضَلالٍ مُبِيـنٍ﴾[5]..

وقوله تعالىٰ: ﴿اللهُ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ

---

(١) سورة الشعراء ٢٦: ٧٨ ـ ٨١.
(٢) سورة العنكبوت ٢٩: ٦١.
(٣) سورة العنكبوت ٢٩: ٦٣.
(٤) سورة الروم ٣٠: ٤٠.
(٥) سورة لقمان ٣١: ١٠ و ١١.

وَكِيلٌ * لَهُ مَقالِيدُ السَّمٰواتِ والأَرْضِ﴾[1]..

وقوله تعالىٰ من قائل: ﴿وَأَنَّ إلىٰ رَبِّكَ المُنتَهىٰ * وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكىٰ * وَأَنَّهُ هُوَ أَماتَ وَأَحْيا * وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ والأُنْثىٰ * مِن نُطْفَةٍ إذا تُمْنىٰ * وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الأُخْرىٰ * وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنىٰ وَأَقْنىٰ﴾[2].

.. إلىٰ غير ذلك من الآيات الكريمة.

[التوسّل والاستغاثة والاستشفاع:]

لكنّ التوسّل بغير الله سبحانه، والاستغاثة، والاستشفاع ـ المعمولة عند المسلمين، في جميع الأزمان، بالنسبة إلىٰ الأنبياء والأولياء ـ ليس بمعنىٰ التشريك في أفعال الله تعالىٰ..

بل الغرض أن يفعل اللهُ فِعله ويقضي الحاجة ببركتهم وشفاعتهم، حيث إنّهم مقرَّبون لديه، مكرمون عنده، ولا مانع من أن يكونوا سبباً ووسيلة لجريان فيضه.

هذا، ومن المركوز في طباع البشر توسّلهم في حوائجهم التي يطلبونها من العظماء والملوك والأُمراء إلىٰ المخصوصين بحضرتهم، ويرون هذا وسيلة لنجح حاجتهم، وليس ذلك

---

(١) سورة الزمر ٣٩: ٦٢ و ٦٣.
(٢) سورة النجم ٥٣: ٤٢ ـ ٤٨.

تشريكاً لذلك المخصوص مع ذاك الأمير أصلاً.

فـلماذا يُـعْزَل أنـبياءُ الله والأوليـاءُ مِـن مـثل مـا يُـصنع بمخصوصي العظماء؟! إنْ هذا إلّا اختلاق، وقـد قـال الله عـزّ وجلّ: ﴿مَن ذا الَّذِي يَشْـفَعُ عِنْدَهُ إلّا بـإذْنِهِ﴾[1] فـاسـتثنىٰ، وقال سـبحانه: ﴿لا يَشْـفَـعُونَ إلّا لِمَنِ ٱرْتَضىٰ﴾[2].

وممّا ذُكـر ظهر أنّ قول القـاضي: «ودعـائها مـع الله»[3] يعني الضرائح، افتراءٌ علىٰ المسلمين من جهتيـن:

الأُولىٰ: دعوىٰ تشريك غير الله معه في الدعاء..

مـع أنّـهم لا يـدعون إلّا الله الواحـد القـهّار، ويـتوسّلون بأوليائه إليه.

وإنْ كـان المـراد أنّـهم يـدعون الله عـزّ وجـلّ لقـضاء الحـاجات، ويـدعون أوليـاءَه ليكـونوا شـفعاء لديـه سـبحانه، فاختلفت جهتا الدعوة، فهذا حقٌّ وصدق، ولا مانع منه أصلاً.

بل الوهّابيّـة ما قدروا الله حـقّ قدره إذ قالوا: لا ضرورة في اسـتنجاح الحاجة عـنده إلىٰ شـفيع، ولا حُسـنَ فـي ذلك!

---

(١) سورة البقرة ٢: ٢٥٥.
(٢) سورة الأنبياء ٢١: ٢٨.
(٣) تقـدّم في الصفحة ٢٠٦ من هذا الكـتاب.

ويَرَوْن ذلك أمراً مرغوباً مطلوباً بالنسبة إلىٰ غيره سبحانه! فإذا كان لهم حاجة إلىٰ الناس، يتوسّلون في نجاحها إلىٰ المقـرّبين لديهم، ولا يَـرَوْن في ذلك بأسـاً!!

فما بال الله عزّ وجلّ يقصـر به عمّا يُصنع بعبـاده؟!

الجهة الثانية: إضافة الدعوة إلىٰ الضرائح..

والحال أنّهم لا يـدعون الضـريح للشـفاعة، بـل يـدعون صاحب الضريح؛ لأنّه ذو مكان مكين عند الله وإنْ كان مُتَوَفًّىٰ ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرزَقُونَ * فَرِحِينَ بِما آتـيٰـهُـمُ اللهُ...﴾[1].

وبالجملـة:

فالتوسّل وطلب الشفاعة من أوليـاء الله أمر مرغوب فيـه عقلاً وشرعاً، وقد جرت سيرة المسلمين عليه قديماً وحديثاً.

* فعـن أنس بـن مـالك، أنّـه قـال: «جـاء رجـل إلىٰ رسـول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! هَلكَت المواشي وتقطّعت السُّـبل، فادعُ الله.

---

(١) سورة آل عمران ٣: ١٦٩ و ١٧٠.

فدعا اللهَ ، فمُطِرنا من الجمعة إلىٰ الجمعـة .

فجاء رجل إلىٰ النبيّ ﷺ فقال : يـا رسـول الله ! تـهدّمت البيوت ، وتقطّعت السُّـبل ، وهَلكت المواشي .

فقال رسول الله ﷺ : **اللّهمّ علىٰ ظهور الجبال والآكام**[1] ، **وبطون الأودية ، ومنابت الشجر .**

فانجابت عن المدينة آنجياب الثوب» .

رواه البخاري في الصحيح[2] ، وروىٰ عدّة أحـاديث فـي هذا المعنىٰ يشبه بعضها بعضـاً[3] .

* وفيه أيضاً : حدّثنا عبـدالله بن أبـي الأَسـود ، [حـدّثنا حَرَمِيٌّ ،] حدّثنا شعبة ، عن قتادة ، عـن أنس بـن مـالك ﷺ ، قال : «قالت أُمّي : يا رسول الله ! خادمك [أنس] ، آدعُ اللهَ له .

قـال : **اللّـهمّ أَكـثِر مـالَه وولدَه ، وبـارك له فـي مـا أعطيتـه**»[4] .

---

(١) الآكام والإكام ـ جمع : الأَكَـمَـة ـ : هو ما اجتمع من الحـجارة فـي مكان واحد ، فربّما غلُظ وربّما لم يغلُظ ؛ وقيل : هو الموضع الذي هو أشدّ ارتفاعاً ممّا حوله ، وهو غليظ لا يبلغ أن يكون حجراً .
آنظر : لسان العرب ١ / ١٧٣ مادّة «أكم» .

(٢) صحيح البخاري ٢ / ٧٩ ح ٦١ .

(٣) صحيح البخاري ٢ / ٧٦ ـ ٨١ ح ٥٥ ـ ٦٣ .

(٤) صحيح البخاري ٨ / ١٣٥ ح ٣٨ .

* وقال البخاري: حدّثنا قتيبة بن سعيد، حدّثنا حاتم، عن الجعد بن عبد الرحمٰن، قال: سمعت السائب بن يزيد يقول: «ذهبت بي خالتي إلىٰ رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله! إنّ ابن أُختي وَجِعٌ.

فمسح رأسي، ودعا لي بالبركة، ثمّ توضّأ فشربت من وَضُوئه، ثمّ قمت خلف ظهره فنظرت إلىٰ خاتمه بين كتفيه مثل زرّ الحَجَلة»[1].

* وروىٰ البيهقي، أنّه جاء رجل إلىٰ قبر النبيّ ﷺ فقال: يا محمّد! استقِ لأُمّتك؛ فَسُقوا[2].

* وروىٰ الطبراني وآبن المقرئ وأبو الشيخ، أنّهم كانوا جياعاً فجاؤوا إلىٰ قبر النبيّ ﷺ فقالوا: يا رسول الله! الجوع الجوع؛ فأُشبِعوا[3].

* ونُقل أنّ آدم لَمّا اقترف الخطيئة قال: يا ربّي أسألك

---

(١) صحيح البخاري ٨/١٣٧ ح ٤٥.
والحَجَلة: بيت كالقُبّة يُستر بالثياب ويكون له أزرار كبار؛ آنظر: لسان العرب ٣/٦٤ مادّة «حَجَل».
(٢) دلائل النبوّة ٧/٤٧؛ وآنظر: مصنّف ابن أبي شيبة ٧/٤٨٢ ح ٣٥، إقتضاء الصراط المستقيم: ٣٧٣، فتح الباري ٢/٦٢٩ ـ ٦٣٠، وفاء الوفا ٤/١٣٧٤.
(٣) آنظر: الوفا بأحوال المصطفىٰ: ٨١٨ ح ١٥٣٦، وفاء الوفا ٤/١٣٨٠.

بحقّ محمّـد لَمّا غفرتَ لي .

فقال : يا آدم ! كيف عرفتَـه ؟

قال : لأنّك لَمّا خلقتني نظرتُ إلىٰ العرش فوجدت مكتوباً فيه : «لا إله إلّا الله ، محمّـد رسـول الله» ، فرأيت اسمه مـقروناً مع اسمك ، فعرفتُه أحبّ الخلق إليك .

صحّحـه الحاكم[1] .

* وعن عثمان بن حنيف ، أنّ رجلاً ضـرير البـصر أتـىٰ النبيّ ﷺ فقال : ادعُ اللهَ أن يعافيني .

فقال النبيّ ﷺ : **إنْ شـئتَ صبرتَ فهو خـير لك ، وإنْ شـئتَ دعوتُ .**

قال : فادعُـه .

فأمره أن يتوضّـأ ويدعو بهذا الدعاء :

«اللّهمّ إنّي أسألك وأتوجّه إليك بنبيّك محمّـد ، نـبيّ الرحمة ، يا محمّـدُ ، إنّني توجّهت بك إلىٰ ربّي في حاجتي ليقضيها لي .

---

(١) المسـتدرك عـلىٰ الصـحيحين ٢/٦٧٢ ح ٤٢٢٨ ؛ وآنـظر : المـعجم الأوسـط ٦/٣٩٥ ح ٦٥٠٢ ، المعجـم الصغيـر ٢/٨٢ ـ ٨٣ ، الشـريعة ـ للآجري ـ : ٤٣٠ ح ٩٦٣ ، دلائل النبوّة ـ للبيهقي ـ ٥/٤٨٩ ، وفاء الوفـا ٤/١٣٧١ ـ ١٣٧٢ .

اللّهمّ شفِّعه».

رواه الترمذي والنسائي[١]، وصحّحه البيهقي وزاد: فقام وأبصر[٢].

* ونقل الطبراني، عن عثمان بن حنيف، أنّ رجلاً كان يختلف إلىٰ عثمان بن عفّان في حاجة، فكان لا يلتفت إليه، فشكا ذلك لابن حنيف، فقال له: اذهب وتوضّأ وقل:...؛ وذكر نحو ما ذكر الضرير.

قال: فصنع ذلك، فجاء البوّاب فأخذه وأدخله إلىٰ عثمان، فأمسكه علىٰ الطنفسة[٣] وقضىٰ حاجته[٤].

* وفي رواية الحافظ، عن ابن عبّاس، أنّ عمر قال: اللّهمّ إنّا نستسقيك بعمّ نبيّنا، ونستشفع بشيبته؛

---

(١) آنظر: سنن الترمذي ٥/٥٣١ ح ٣٥٧٨، السنن الكبرىٰ ـ للنسائي ـ ٦/١٦٨ ـ ١٦٩ ح ١٠٤٩٤ ـ ١٠٤٩٦؛ وآنظر: سنن ابن ماجة ١/٤٤١ ح ١٣٨٥، مسند أحمد ٤/١٣٨، التاريخ الكبير ـ للبخاري ـ ٦/٢٠٩ رقم ٢١٩٢، المستدرك علىٰ الصحيحين ١/٤٥٨ ح ١١٨٠ و ص ٧٠٠ ح ١٩٠٩ و ص ٧٠٧ ح ١٩٢٩.

(٢) آنظر: دلائل النبوّة ٦/١٦٦ ـ ١٦٧، الدعوات الكبير ١/١٥١ ح ٢٠٤؛ وآنظر: وفاء الوفا ٤/١٣٧٢.

(٣) الطَّنْفُسة والطُّنْفُسة ـ والجمع: طَنافِس ـ: البساط الذي له خَمْلٌ رقيق؛ آنظر: لسان العرب ٨/٢٠٨ مادّة «طنفس».

(٤) المعجم الكبير ٩/٣٠ ـ ٣١ ح ٨٣١١؛ وآنظر: وفاء الوفا ٤/١٣٧٣.

فَـسُـقُوا[١].

[الشـفاعة :]

وأخبار الشـفاعة متواترة :

* روىٰ البخاري ، عن النبيّ ﷺ ، أنّه : **من سـمع الأذان ودعـا بكذا ، حلّت له شفاعتي يوم القيامـة**[٢] .

* وروىٰ مسلم ، عنه ﷺ ، أنّـه : **مـا مـن ميّت يـموتُ يُصلّي عليه أُمّـة من الناس يبلغون مئـة ، كلّهم يشفعون له ، إلّا شُـفّعوا فيـه**[٣] .

* وروىٰ الترمذي والدارمي ، عنه ﷺ ، أنّـه : **يـدخل**

---

(١) آنـظر : صـحيح البـخاري ٢ / ٧٥ ح ٥٢ و ج ٥ / ٩١ ح ٢٠٦ ، دلائـل النبوّة ـ لأبـي نـعيم ـ ٢ / ٥٦٧ ح ٥١١ ، السـنن الكـبرىٰ ـ للـبيهقي ـ ٣ / ٣٥٢ ، دلائل النبوّة ـ للبيهقي ـ ٦ / ١٤٧ ، شرح السُـنّة ٣ / ٢٢٥ ح ١١٦٥ .

(٢) آنظر : صحيح البخاري ١ / ٢٥٢ ح ١١ و ج ٦ / ١٦١ ح ٢٤٠ ؛ وآنظر : سنن أبي داود ١ / ١٤٣ ح ٥٢٩ ، سنن الترمذي ١ / ٤١٣ ح ٢١١ ، سنن النسائي ٢ / ٢٧ ، السـنن الكـبرىٰ ـ للـنسائي ـ ١ / ٥١١ ح ١٦٤٤ و ج ٦ / ١٧ ح ٩٨٧٤ ، سـنن ابـن مـاجة ١ / ٢٣٩ ح ٧٢٢ ، مسـند أحـمد ٣ / ٣٥٤ .

(٣) آنظر : صحيح مسلم ٣ / ٥٣ ؛ وآنظر : سنن النسـائي ٤ / ٧٥ ، مسـند أحمد ٣ / ٢٦٦ و ج ٦ / ٤٠ ، مسند الحميدي ١ / ١٠٨ ـ ١٠٩ ح ٢٢٢ ، السـنن الكبرىٰ ـ للبيهقي ـ ٤ / ٣٠ .

بشفاعتي رجال من أُمّتي أكثر من بني تميم(١).

* وروىٰ الترمذي، عن أنس، أنّه قال: سألت النبيّ ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة.

فقال: **أنا فاعل**.

قلت: فأين أطلبك؟

قال: **أوّلاً علىٰ الصراط**.

قلت: فإنْ لم ألقَك؟

قال: **عند الميزان**.

قلت: فإنْ لم ألقَك؟

قال: **عند الحوض، فإنّي [لا] أُخطئ هذه المواضع**(٢).

وقد نُقل عن الصحابة، بطرق عديدة، أنّ الصحابة كانوا يَلجأُون إلىٰ قبر النبيّ ﷺ، ويندبونه في الاستسقاء ومواقع الشدائد وسائر الأمراض(٣).

---

(١) آنظر: سنن الترمذي ٤/٥٤٠ ـ ٥٤١ ح ٢٤٣٨، سنن الدارمي ٢/٢٢٥ ح ٢٨٠٤، سنن ابن ماجة ٢/١٤٤٣ ـ ١٤٤٤ ح ٤٣١٦.

(٢) سنن الترمذي ٤/٥٣٧ ح ٢٤٣٣؛ وآنظر: مسند أحمد ٣/١٧٨، تاريخ دمشق ٩/٣٦٠، الوفا بأحوال المصطفىٰ: ٨٤٢ ح ١٦١٠.

(٣) آنظر: الوفا بأحوال المصطفىٰ: ٨١٧ ـ ٨١٨ ح ١٥٣٤، شفاء السقام: ٣٠٣ ـ ٣٠٥، وفاء الوفا ٤/١٣٧٢ ـ ١٣٨٧.

ولا يخفىٰ أنّ وفاة المتوسَّـل به لا تنافي التوسّل أصـلاً؛ فإنّ مكانه عند الله لا يزول بالموت، كما هو واضح.

هـذا، مع أنّهم في الحقيقة أحياء كما ذكر الله عزّ وجـلّ في حال الشهداء، فالشهداء إذا كانوا أحياءً فـالأنبـياء والأوليـاء أحـقّ بذلك.

هـذا كلّـه مع أنّ الأرواح لا تـفنىٰ بالمـوت، والعبـرة بهـا لا بالأجساد، وإنْ كان أجساد الأنبياء لا تبلىٰ كما نُصَّ عليه في الأخبـار[1].

* وفي خبر النسائي وغيره، عن النبيّ ﷺ، قال: **إنّ لله ملائكة سيّاحين في الأرض يبلّغونني من أُمّتي السلام**[2].

والأخبار في هذا الباب كـثيرة[3].

---

(١) آنظـر: سـنن ابن ماجـة ١/٥٢٤ ح ١٦٣٧، سـنن أبي داود ١/٢٧٤ ح ١٠٤٧ و ج ٢/٨٩ ح ١٥٣١، سـنن النسـائي ٣/٩١ ـ ٩٢، سـنن الدارمي ١/٢٦٤ ح ١٥٧٥، مسند أحمد ٤/٨، مصنّف ابن أبي شيبة ٢/٣٩٨ ب ٣٤٢ ح ٣، الوفا بأحوال المصطفىٰ: ٨٢٥ ح ١٥٦٢، وفاء الوفـا ٤/١٣٥٠ ـ ١٣٥٦.

(٢) سنن النسائي ٣/٤٣، مسند أحمد ١/٤٤١، سنن الدارمي ٢/٢١٨ ح ٢٧٧٠، المـعجم الكبير ١٠/٢٢٠ ح ١٠٥٣٠، الإحسـان بترتيب صحيح ابن حبّان ٢/١٣٤ ح ٩١٠، مصنّف ابن أبي شيبة ٢/٣٩٩ ح ١١، المسـتدرك عـلىٰ الصـحيحين ٢/٤٥٦ ح ٣٥٧٦، الوفـا بأحـوال المصطفىٰ: ٨٢٢ ح ١٥٥٣، وفاء الوفا ٤/١٣٥٠ و ١٣٥٣.

(٣) آنظر: وفاء الوفا ٤/١٣٤٩ ـ ١٣٥٤.

* وأخرج أبو نعيم في «دلائل النبوّة»، عن سعيد بن المسيّب، قال: لقد كنت في مسجد رسول الله فما يأتي وقت صلاةٍ إلّا سمعت الأذان من القبر[١].

* وأخرج [ابن] سعد في «الطبقات»، عن سعيد بن المسيّب، أنّه كان يلازم المسجد أيّام الحرّة، فإذا جاء الصبح سمع أذاناً من القبر الشريف[٢].

* وأخرج زبير بن بكّار في «أخبار المدينة»، عن سعيد ابن المسيّب، قال: لم أزل أسمع الأذان والإقامة من قبر رسول الله ﷺ أيّام الحرّة حتّىٰ عاد الناس[٣].

* ونقل أبو عبدالله البخاري، أنّ الشهداء وسائر المؤمنين إذا زارهم المسلم وسلّم عليهم، عرفوه وردّوا عليه السلام[٤].

* وروىٰ الثعلبي في تفسيره، وآبن المغازلي الشافعي الواسطي في «المناقب»، أنّ النبيّ ﷺ وأصحابه لَمّا حملهم البساط وصلوا إلىٰ موضع أهل الكهف، فقال: **سلّموا عليهم**؛ فسلّموا عليهم، فلم يردّوا، فسلّم النبيّ ﷺ عليهم، فقالوا:

---

(١) آنظر: دلائل النبوّة ٢/٥٦٧ ح ٥١٠.
(٢) الطبقات الكبرىٰ ٥/١٠٠.
(٣) آنظر: الطبقات الكبرىٰ ٥/١٠٠، إقتضاء الصراط المستقيم: ٣٧٣، وفاء الوفا ٤/١٣٥٦.
(٤) آنظر: إقتضاء الصراط المستقيم: ٣٢٦، وفاء الوفا ٤/١٣٥١.

وعليك السلام ورحمـة الله وبركاته[١].

* ونقـل أبـو بكـر محمّـد بـن عـبـدالله الشـافعي، أنّ عيسىٰ عليه السلام لَمّا دفن مريم عليها السلام قال: السـلام عـليكِ يـا أُمّـاه؛ فأجابته من جوف القبر: وعليك السلام حبيبي وقـرّة عيني... إلىٰ آخـره[٢].

* وروىٰ الحاكم، عن سالم بن أبي حفصة، قال: تُوفّي أخٌ لي، فوضعته في القبر وسوّيتُ عليه التـرابَ، ثـمّ وضـعتُ أُذني علىٰ لحده فسمعتُ قائلاً يقول له: مَـن ربُّك؟ فسـمعتُ أخي يقول بصوت ضعيف: ربِّيَ اللهُ... إلىٰ آخـره[٣].

والأخبار التي يُسـتدلُّ بـها عـلىٰ الدعـوىٰ أكـثر مـن أن تحصىٰ.

* * *

---

(١) آنـظر مؤدّاه في: تفسـير الثـعلبـي ٦/١٥٦ ـ ١٥٧، مـناقـب الإمـام عليّ عليه السلام: ٢١٢ ح ٢٨٠ وفيه: «عليّ عليه السلام» بدل «النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم».
(٢) آنظر: منهج الرشاد: ١٣٢، شجرة طوبىٰ ٢/٣٦٣.
(٣) آنظر: منهج الرشاد: ١٣٢، وروي قريب منه وبسند آخر في كـتاب من عاش بعد الموت: ٤٣ ح ٤١ و ٤٢.

الفصل الثالث
في البنـاء علىٰ القبـور

إعلم أنّ البناء علىٰ قبور الأنبياء والعباد المصطَفين تعظيمٌ لشعائر الله ، وهو من تقوىٰ القلوب ، ومن السـنن الحسـنة .

حيث إنّه احترامٌ لصاحب القـبر ، وبـاعثٌ عـلىٰ زيـارته ، وعلىٰ عبادة الله عزّ وجلّ ـ بالصلاة والقراءة والذِكـر وغـيرها ـ عنده ، وملجأً للزائرين والغرباء والمساكين والتالين والمصلّين .

بل هو إعـلاء لشأن الدِين !

* وعن النبيّ ﷺ : «**مَن سنَّ سُـنّة حسنة فله أجرها وأجرُ مَن عمل بها**»[1] .

وقد بُني علىٰ مراقد الأنبياء قبل ظهور الإسلام وبعده ، فلم ينكره النبيّ ﷺ ، ولا أحدٌ من الصحابة والخـلفاء ، كـالقباب

---

(١) آنظر : صحيح مسلم ٣/ ٨٧ ، سنن النسـائي ٥/ ٧٦ ، مسـند أحـمد ٤/ ٣٦١ ، سنن ابن ماجة ١/ ٧٤ ـ ٧٥ ح ٢٠٣ ـ ٢٠٨ ، سنن الدارمي ١/ ٩٦ ح ٥١٧ ، صحيح ابن خزيمة ٤/ ١١٢ ح ٢٤٧٧ ، مسند الحميدي ٢/ ٣٥٢ ح ٨٠٥ ، المـعجم الكـبير ٢/ ٣١٥ ح ٢٣١٢ و ٢٣١٣ و ص ٣٢٨ ـ ٣٣٠ ح ٢٣٧٢ ـ ٢٣٧٥ و ص ٣٤٤ ـ ٣٤٦ ح ٢٤٤٢ ـ ٢٤٤٨ وج ٢٢/ ٧٤ ـ ١٧٥ ح ١٨٤ ، مشكل الآثار ١/ ٦٦ ح ١٩٦ و ص ٦٨ ح ٢٠٢ و ص ٦٩ ح ٢٠٥ و ص ٣٢٩ ح ١١٤٧ و ص ٣٣٠ ح ١١٥٠ .

المبنيّة عـلىٰ قـبر دانـيال عليه السلام فـي شـوشتر[١]، وهـود وصـالح ويونس وذي الكفل عليهم السلام، والأنبياء في بيت المقدس وما يليها، كالجبل الذي دُفن فيه موسىٰ عليه السلام، وبلد الخليل مـدفن سيّدنا إبراهيم عليه السلام.

بل الحجر المبنيّ علىٰ قبر إسماعيل عليه السلام وأُمّه رضي الله عنهـا.

بل أوّل مَن بنىٰ حجرة قبر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم باللَّبِـنِ ـ بعد أن كانت مقوّمة بجريد النخل ـ عمرُ بن الخطّاب، علىٰ ما نصّ عليه السـمهودي فـي كـتاب «الوفـا»[٢]، ثـمّ تـناوب الخـلفاء عـلىٰ تعميرهـا[٣].

* وروىٰ البنّائي[٤] واعظ أهل الحجاز، عـن جـعفر بـن محمّـد، عن أبـيه، عن جدّه الحسـين، عـن أبـيـه عـليّ، أنّ رسـول الله صلى الله عليه وآله قال له: «**والله لَـتُـقْـتَـلَـنَّ فـي أرض العـراق وتُدفن بهـا.**

فقلت: **يـا رسـول الله! مـا لمـن زار قـبورنا وعـمّرها**

---

(١) هي إحدىٰ مدن مقاطعة خوزسـتان في إيران، ومُـعَـرَّبُـها: تُـسْـتَـر؛ آنظر: معجم البلدان ٢/ ٣٤ رقم ٢٥١٧.

(٢) وفاء الوفا ٢/ ٤٨١.

(٣) وفاء الوفا ٢/ ٤٨١ ـ ٦٤٧.

(٤) في المصدر: التبّـاني.

وتعاهدها ؟

فقال : يا أبا الحسن ! إنّ الله جعل قبرك وقبر ولدَيك بقاعاً من بقاع الجنّة [وعرصة من عرصاتها] ، وإنّ الله جعل قلوب نجباء من خلقه ، وصفوة من عباده ، تحنّ إليكم [وتحتمل المذلّة والأذىٰ] ، فيعمرون قبوركم ، ويكثرون زيارتهم تقرُّباً [منهم] إلىٰ الله تعالىٰ ، ومودّة منهم لرسوله ، [أُولئك يا عليّ المخصوصون بشفاعتي ، الواردون حوضي ، وهم زوّاري غداً في الجنّة] .

يا عليّ ! مَن عمّر قبوركم وتعاهدها فكأنّما أعان سليمان بن داود علىٰ بناء بيت المقدس . . . » إلىٰ آخره[1] .

ولا يخفىٰ أنّ جعل معمِّر قبورهم كالمُعين علىٰ بناء بيت المقدس ، دالٌّ علىٰ أنّ تعظيم مراقدهم تعظيم لشعائر الله سبحانه .

ونُقل نحو ذلك ـ أيضاً ـ في حديثين مُعتَبَرَين[2] ، نقل أحدهما الوزير السعيد[3] بسندٍ ، وثانيهما بسند آخر .

---

(١) آنظر : فرحة الغريّ : ٧٧ ، وعنه في بحار الأنوار ١٠٠ / ١٢٠ ح ٢٢ .
(٢) فرحة الغريّ : ٧٨ ، وعنه في بحار الأنوار ١٠٠ / ١٢١ ح ٢٣ و ٢٤ .
(٣) هو : أبو جعفر محمّد بن محمّد الحسن الطوسي ، نصير الملّة والدين ، قدوة المحقّقين ، سلطان الحكماء والمتكلّمين ، وأمره في

والسـيرة القـطعية ـ مـن قـاطبة المسـلمين ـ المسـتمرّة ، والإجماع ، يغنيان عن ذِكر الأحاديث الدالّة علىٰ الجواز .

وما أعجب قول المفتين : «أمّا البناء علىٰ القبور فـممنوع إجماعاً» ![1] . .

فإنّ مذهب الوهّابيّة ـ وهم فـئة قـليلة بـالنسبة إلىٰ سـائر المسلمين ـ لم يظهر إلّا قريباً من قرن واحد ، ولا يتفوّه أحدٌ من المسـلمين ـ سـوىٰ الوهّـابيّة ـ بـحرمة البـناء ، فأيـن الإجـماع المـدّعىٰ ؟!

ودعوىٰ ورود الأحاديث الصحيحة علىٰ المنع ـ لو ثبت ـ

علوّ قدره ، وعظم شأنه ، وتبحّره في العلوم العقلية والنقلية ، أشهر من أن يذكر ؛ وُزِّر لهولاكو ، وعمل له رصداً وزيجاً بمراغة ، جعل فيه كـتباً كـثيرة ، ورتّب فيه الحكماء من الفلاسفة والمتكلّمين والفقهاء والمحدّثين والأطبّاء وغيرهم ؛ اتُّهم ظلماً بأنّه أشار علىٰ هولاكو بقتل الخليفة العبّاسي ، وليس بصحيح ، حتّىٰ إنّ ابن كثير استبعد ذلك .

له مصنّفات كـثيرة ، منها : تجريد الاعتقاد ، قواعد العقائد ، تلخيص المحصّل ، التذكرة في الهيئة ، تحرير كتاب إقليدس ، حلّ مشكلات الإشارات .

وُلد في ١١ جمادىٰ الأُولىٰ سنة ٥٩٧ بطوس ، وتوفّي يوم الغدير ١٨ ذي الحجّة سنة ٦٧٢ ، ودُفن في جوار الإمامين موسىٰ الكاظم ومحمّد الجواد عليهما السلام .

أنظر : تاريخ ابن الوردي ٢/٢١٦ ، البداية والنهاية ١٣/٢٢٢ ، معجم رجال الحديث ١٨/٢٠٤ رقم ١١٧١٨ .

(١) تقدّم في الصفحة ٢٠٦ من هذا الكتاب .

غيرُ مُجْدٍ لإثبات الحرمة ؛ لأنّ أخبار الآحاد لا تنهض لدفع السيرة والإجماع القطعي ، مع أنّ أصل الدعوىٰ ممنوع جدّاً .

فإنّ مثل رواية جابر : «نهىٰ رسول الله أن تُجَصّص القبور ، وأن يُكتب عليها ، وأن يُبنىٰ عليها ، وأن توطأ»[1] لا تدلّ علىٰ التحريم ؛ لعدم حرمة الكتابة علىٰ القبور ووطئها ، فذلك من أقوىٰ القرائن علىٰ أنّ النهي في الرواية غير دالٍّ علىٰ الحرمة ، ولا نمنع الكراهة في غير قبور مخصوصة .

مع أنّ الظاهرَ من قوله : «يُبنىٰ عليها» إحداثُ بناءٍ كالجدار علىٰ نفس القبر ، فإنّ بناء القبّة وجدرانها بعيدة عن القبر ، ليس بناءً علىٰ القبر علىٰ الحقيقة ، وإنّما هو نوع من المجاز ، وحمل اللفظ علىٰ الحقيقة حيث لا صارف عنها معيّن ، مع أنّ النهي عن الوطء يؤكّد هذا المعنىٰ ، لا الذي فهموه من الرواية .

وأمّا الاستدلال علىٰ وجوب هدم القباب بحديث أبي الهيّاج[2] ، فغير تامٍّ في نفسه ـ مع قطع النظر عن مخالفته للإجماع والسيرة ـ ؛ لوجوه :

* **الأوّل** : إنّ الحديث مضطرب المتن والسند . .

فتارة يذكر عن أبي الهيّاج أنّه قال : «قال لي عليٌّ» كما في

---

(١) سنن الترمذي ٣/٣٦٨ ح ١٠٥٢ .

(٢) تقدّم في الصفحة ٢٠٧ من هذا الكتاب .

روايـة أحمد عن عبـد الرحمٰن[١].

وتارة يذكر عن أبي وائل، أنّ عليّـاً قال لأبي الهيّاج[٢].

ورواه عـبـدالله بـن أحـمد فـي «مسـند عـليّ» هكـذا: «لَأَبعثنّـك في ما بعثني فيه رسول الله ﷺ، أنْ أُسوّيَ كلَّ قبر، وأنْ أطمسَ كلَّ صنم»[٣].

فالاضطراب المزبور يسـقطه عن الحـجّيّـة والاعتبار.

* **الثاني**: إنّه من الواضح أنّ المأمور به فـي الروايـة لم يكن هدم جميع قبور العالَم، بل الحديث وارد في بعثٍ خاصٍّ وواقعة مخصوصة، فلعلّ البعث قـد كـان إلىٰ قـبور المشـركين لطمس آثار الجاهلية ـ كما يؤيّده ذِكر الصنم ـ، أو إلىٰ غيرهـا ممّا لا نعرف وجه مصلحتها، فكيف يُتمسّك بمثل هذه الرواية لقبور الأنبـياء والأولياء؟!

قال بعض علماء الشـيعة من المعاصرين:

إنّ المقصود من تلك القبور، التي أمرَ عليٌّ عليه السلام بتسويتها، ليسـت هي إلّا تلك القبور التي كانت تُـتّخذ قِـبلةً عـند بـعض أهـل المـلل البـاطلة، وتـقام عـليها صـور المـوتىٰ وتـماثيلهم، فيعبـدونها من دون الله.

---

(١) مسند أحمد ١/٩٦.

(٢) مسند أحمد ١/١٢٩.

(٣) مسند أحمد ١/١١١ وفي ص ٨٩: «أبعثُـك في ما...».

إلىٰ أن قال:

وليت شِعري لو كان المقصود من القبور ـ التي أمرَ عليٌّ عليه السلام بتسويتها ـ هي عامّة القبور علىٰ الإطلاق، فأين كان عليه السلام ـ وهو الحاكم المطلق يومئذٍ ـ عن قبور الأنبياء التي كانت مشيَّدة علىٰ عهده؟! ولا تزال مشيَّدة إلىٰ اليوم في فلسطين وسورية والعراق وإيران، ولو شاء تسويتها لقضىٰ عليها بأقصر وقت.

فهل ترىٰ أنّ عليّاً عليه السلام يأمر أبا الهيّاج بالحقّ وهو يروغ عنه فلا يفعله؟!

إنتهىٰ ما أردنا نقله منه.

* **الثالث**: قال بعض المعاصرين من أهل العلم:

لا يخفىٰ من اللغة والعُرف أنّ تسوية الشيء من دون ذِكر القرين المساوي معه، إنّما هو جَعْلُ الشيء متساوياً في نفسه، فليس لتسوية القبر في الحديث معنىً إلّا جعله متساوياً في نفسه، وما ذلك إلّا جعلُ سطحه متساوياً.

ولو كان المراد تسوية القبر مع الأرض، لكان الواجب في صحيح الكلام أن يقال: إلّا سوّيته مع الأرض.

فإنّ التسوية بين الشيئين المتغايرين لا بُدّ فيها من أن يُذكر الشيئان اللذان تُراد مُساواتهما.

وهـذا ظاهـر لكـلّ من يعطي الكـلام حقّـه مـن النـظر، فـلا دلالة في الحديث إلّا علىٰ أحد أمرَين:

أوّلهما: تسـطيح القبور وجعلها متساوية برفع سـنامها، ولا نـظر فـي الحـديث إلىٰ عـلوّها، ولا تشـبُّث فـيه بـلفظ (المشرِف)، فإنّ الشُّرَف إنْ ذُكِرَ أنّه بمعنىٰ العلوّ، فقد ذُكر أنّه من البعير سـنامُه، كما في «القاموس» وغيره[1]، فيكون معنىٰ (المشرِف) في الحديث هو: القبر ذو السـنام؛ ومعنىٰ تسويته: هدمُ سـنامه.

وثانيهما: أن يكون المراد: القبور التي يُجعل لها شُـرَفٌ من جوانب سطحها، والمراد من تسويته أن تُهدم شُرَفُه ويُجعل مسطّحاً أَجَمّ، كما في حديث ابن عبّـاس: أُمرنا أن نبنيَ المدائن شُـرَفاً والمساجدَ جُـمّـاً[2].

وعلىٰ كلّ حال، فلا يمكن في اللغة والاستعمال أن يُراد من التسوية في الحديث أن يُساوىٰ القبرُ مع الأرض، بل لا بُـدّ أن يُراد منه أحد المعنَيَين المذكورَين.

---

(١) أنظر مادّة «شرف» في: القاموس المحيط ٣/١٦٢، تهذيب اللغـة ١١/٣٤١، لسان العرب ٧/٩١.

(٢) أنظر: غريب الحديث ٤/٢٢٥، الفائق في غريب الحديث ١/٢٣٤، النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/٤٦٣، لسان العرب ٧/٩١.
والـجُـمّ: هي التي لا شُـرَف لها.

وأيضاً : كيف يكون المراد مساواة القبر مع الأرض ، مع أنّ سيرة المسلمين المتسلسلة علىٰ رفع القبور عن الأرض ؟!

وفي آخر كتاب الجنائز من جامع البخاري ، مسنداً عن سفيان التمّار ، أنّه رأىٰ قبر رسول الله ﷺ مسنَّماً[1] .

وأسند أبو داود في كتاب الجنائز ، عن القاسم ، قال : دخلت علىٰ عائشة فقلت : يا أمّه ! اكشفي لي عن قبر رسول الله ﷺ وصاحبَيه ؛ فكشفت عن ثلاثة قبور لا مشرَّفة ولا لاطئة[2] .

وأسند ابن جرير ، عن الشعبي ، أنّ كلّ قبور الشهداء مسنَّمة[3] .

إنتهىٰ ما أردنا نقله منه .

وأقول بعد ذلك : لو كان قوله : «مشرِفاً» بمعنىٰ عالياً ، فليس يعمّ كلّ قبر ارتفع عن الأرض ولو بمقدار قليل ، فإنّه لا يصدق عليه القبر العالي ، فإنّ العلوّ في كلّ قبر إنّما هو

---

(١) صحيح البخاري ٢ / ٢١٢ ح ١٤٥ .

(٢) سنن أبي داود ٣ / ٢١٢ ح ٣٢٢٠ .

ولاطئة : أي لازقة بالأرض ؛ آنظر : لسان العرب ١٢ / ٢٨٥ مادّة «لطا» .

(٣) كنز العمّال ١٥ / ٧٣٦ ح ٤٢٩٣٢ .

بالإضافة إلىٰ سائر القبور، فلا يبعد أن يكون أمراً بتسوية القبور العالية فوق القدر المتعارف المعهود فـي ذلك الزمـان إلىٰ حـدّ المتعارف؛ وقد أفتىٰ جمعٌ من العلماء بكراهة رفع القبرِ أزيـد مـن أربـع أصابـع[1].

ولتـخصيص الكـراهـة ـ لو ثـبت ـ بـغير قـبور الأنـبياء والمصطَـفين من الأولياء وجـهٌ.

* **الرابـع**: لو سُـلِّم أيّ دلالة في الرواية، فلا ربـط لهـا ببنـاء السقوف والقباب ووجوب هدمها، كما هو واضح.

وأمّا قول السائل: «وإذا كان البناء في مسـبّلة ـ كالبقيع ـ وهو مانع...» إلىٰ آخـره[2].

فقد أجاب بعض المعاصرين عنه بما حاصله:

أنّ أرض البقيع ليسـت وقفاً، بل هي باقية علىٰ إبـاحتها الأصلية، لو شككنا في وقفـيّـتها يكـفينا استصحاب إباحتها.

وأقـول: بل وقفـيّـتها غير مانع عن البناء؛ لأنّها مـوقوفةٌ مقبرةً علىٰ جميع الشؤون المرعيّة في المقابر، ومنها: البناء علىٰ قبور أشخاص مخصوصين كالأصفياء، فإنّ البـناء عـلىٰ القـبور ليـس أمراً حديثـاً، بل كان أمراً متعارفاً من قديم الأيّـام.

---

(١) منتهىٰ المطلب ١/٤٦٢.
(٢) تقـدّم في الصفحـة ٢٠٦ من هذا الكـتاب.

الفصل الرابع
في الصلاة عند القبور ،
وإيقاد السُّرُج عليها

[الصلاة عند القبور :]

وقد جرت سيرة المسلمين ـ السيرة المستمرّة ـ علىٰ جواز ذلك .

وأمّا حديث ابن عبّاس : «لعن رسولُ الله ﷺ زائرات القبور ، والمتّخذين عليها المساجد والسُّرُج»[1] ، فالظاهر والمتبادر ـ من اتّخاذ المسجد علىٰ القبر ـ : السجودُ علىٰ نفس القبر ؛ وهذا غير الصلاة عند القبر .

هذا لو حملنا المساجد علىٰ المعنىٰ اللغوي .

ولو حملناه علىٰ المعنىٰ الاصطلاحي ، فالمذموم اتّخاذ المسجد عند القبور ، لا مجرّد إيقاع الصلاة ، كما هو المتعارف بين المسلمين ، فإنّهم لا يتّخذون المساجد علىٰ المراقد ، فإنّ اتّخاذ المسجد ينافي الغرض في إعداد ما حول القبر إعانةً

---

(١) مرّ تخريجه مفصّلاً في الصفحة ٢٠٧ هـ ٢ ؛ فراجع !

للـزوّار عـلىٰ الجـلوس لتـلاوة القـرآن وذِكـر الله والدعـاء والاسـتغفار، بل يُصَـلُّون عندها، كـما يأتـون بسـائر العـبادات هنـالك.

هـذا، مع أنّ اللعن غـير دالٍّ عـلىٰ الحـرمة، بـل يـجامع الكراهـةَ أيضاً.

[إيقـاد السُّـرُج:]

وأمّا إيقاد السُّرُج، فإنّ الروايةُ لا تدُلّ إلّا علىٰ ذمّ الإسراج لمجرّد إضاءة القبر، وأمّا الإسراج لإعانة الزائرين عـلىٰ التـلاوة والصلاة والزيارة وغيرها، فلا دلالة في الرواية علىٰ ذمّـه.

وإن شـئتَ توضيح ذلك فارجع إلىٰ هذا المثـل:

إنّك لو أضعتَ شيئاً عند قبر، فأسـرجتَ هـنالك لطـلب ضالّـتك، فهل في تلك الرواية دلالة علىٰ ذمّ هذا العمل؟!

فكـذلك ما ذكرنـاه.

هـذا، مع ما عرفتَ أنّ اللعنَ ـ حقيقةً ـ هـو البـعدُ مـن الرحمة[1]، ولا يسـتلزم الحرمة، فإنّ عمل المكـروه ـ أيـضاً ـ مبعِّـدٌ من الله، كما أنّ فعل المسـتحبّ مقـرِّبٌ إليه عزّ وجلّ.

هـذا، وذكر بعض العلماء في الجواب: أنّ المقصود من

---

(١) آنظر: لسان العرب ١٢/٢٩٢ مادّة «لعن».

النهي عن آتّخاذ القبور مساجد، أن لا تُتّخذ قِبلةً يُصلّىٰ إليها باستقبال أيّ جهة منها، كما كان يفعله بعض أهل الملل الباطلة.

وممّا يدلّ عليه ما رواه مسلم في «الصحيح»: عن رسول الله ﷺ، أنّه قال: إنّ أُولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا علىٰ قبره مسجداً وصوّروا فيه تلك الصورة، أُولٰئك شرار الخلق عند الله عزّ وجلّ يوم القيامة[1].

وقال ﷺ: لُعن الّذين اتّخذوا قبور أنبيائهم مساجد[2].

فإنّه من المعلوم لدىٰ الخبراء بتقاليد أُولئك المبطلين، أنّهم كانوا يتّخذون قبور أنبيائهم وصلحائهم مساجد علىٰ الوجه المذكور، وذلك بجعل ما برز من أثر القبر قِبلةً، وما دار حوله من الأرض مصلّىً، ولذلك قالت أُمّ المؤمنين عائشة: ولولا ذلك لأبرز قبره، غير إنّه خشي أن يُتّخذ مسجداً[3].

فلو كان اتّخاذه مسجداً علىٰ معنىٰ إيقاع الصلاة عنده ـ وإنْ كان التوجُّه بها إلىٰ الكعبة ـ لَما كان الإبراز سبباً لحصول الخشية، فإنّ الصلاة ـ كذلك ـ غير موقوفة علىٰ أن يكون للقبر

---

(١) صحيح مسلم ٢/٦٦.
(٢) مسند أحمد ٢/٢٨٥، سنن النسائي ٤/٩٥.
(٣) صحيح مسلم ٢/٦٧، مسند أحمد ٦/٨٠.

أثر بارز، وإنّما الذي يتوقّف علىٰ بروز الأثر هو: الصلاة إليه نفسه.

إنتهىٰ.

ثمّ استشهد بكلام النووي في شرح صحيح مسلم، قال:

«قال العلماء: إنّما نهىٰ النبيّ ﷺ عن اتّخاذ قبره وقبر غيره مسجداً خوفاً من الافتتان به، فربّما أدّىٰ ذلك إلىٰ الكفر كما جرىٰ لكثير من الأُمم الخالية، ولَما احتاجت الصحابة ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ والتابعون إلىٰ الزيادة في مسجد رسول الله ﷺ حين كثر المسلمون، وآمتدّت الزيادة إلىٰ أن دخلت بيوت أُمّهات المؤمنين فيه، ومنها حجرة عائشة ـ رضي الله عنها ـ، بنوا علىٰ القبر حيطاناً مرتفعة مستديرة حوله، لئلّا يظهرَ في المسجد فيصلّي إليه العوامُّ ويؤدّي إلىٰ المحذور.

ثمّ بنوا جدارين من ركنَي القبر الشماليَّين وحرّفوهما حتّىٰ آلتقيا، حتّىٰ لا يتمكّن أحد من استقبال القبر، ولهذا قال في الحديث: (ولولا ذلك لأُبرز قبره، غير إنّه خشي أن يتّخذ مسجداً)، والله العالِم بالصواب»[1].

إنتهىٰ.

---

(١) شرح صحيح مسلم ـ للنووي ـ ٥/١٢ ح ٥٣٢.

ثمّ استظهر العالِم المومىٰ إليه أن يكون الإسراج المنهيّ عنه :

إمّا الإسراج علىٰ قبور أُولئك المبطلين الّذين كانوا يتّخذونها قِبلة ، كما ربّما يشهد بذلك سياق الحديث المومىٰ إليه .

أو الإسراج الذي يتّخذه بعض جهلة المسلمين علىٰ مقابر موتاهم في ليالٍ مخصوصة ، لأجل إقامة المناجاة عليها والنوح علىٰ أهلها بالباطل .

* * *

الفصـل الخامـس
في الذبائـح والنـذور

إعلم أنّ من المسائل المسلّمة الواضـحة الضـرورية عـند طـوائـف المسـلمين : اخـتصاص الذبـح والتـقرّب بـالقربان بـه سـبحانه ، فلا يصحّ الذبح إلّا لله .

وهكذا أمر النذر ، فمن المؤكّد المتّفق عليه بين طوائـف المسلمين أنّ النذر لا يصحّ إلّا لله ، ولذا يُذكر فـي صـيغته : للهِ عَلَيَّ كـذا .

أمّا الذبح عن الأموات ، فلا بُـدّ أن يكون لله وحـده وإنْ كان عن الميّت ، وكم بين الذبح عن الميّت والذبح له ، والممنوع هو الثاني لا الأوّل .

قال بعض العلماء رحمه الله [1] في «المنهج» : وأمّا مَن ذبح عن

---

(١) هو : الشيخ جعفر بن خضر بن شـلّال الجـناجي المـالكي ، صـاحب كـتاب «كشف الغطاء» .
المولود سـنة ١١٥٦ ، والمتوفّىٰ سـنة ١٢٢٨ هـ .
حلّي الأصل ، نجفي المسكـن والوفـاة ، المشـهور بـالشيخ جـعفر

الأنبياء والأوصياء والمؤمنين ، ليصِلَ الثواب إليهم ـ كما نقرأُ القرآن ونهدي إليهم ، ونصلّي لهم ، وندعو لهم ، ونفعل جميع الخيرات عنهم ـ ففي ذلك أجر عظيم .

وليس قصد أحدٍ من الذابحين للأنبياء أو لغير الله سوىٰ ذلك .

أمّا العارفون منهم فلا كلام ، وأمّا الجهّال فهُم علىٰ نحو عرفائهم .

وقد روي عن النبيّ ﷺ أنّه ذبح بيده وقال : اللّهمّ هذا عنّي وعن مَن لم يُضحِّ من أُمّتي .

الكبير ، كان من أساتذة الفقه والكلام ، وهو شيخ الطائفة في عصره ، الإمام العلّامة ، خرّيت طريق التحقيق والتدقيق ، المعتبر المقدّس ، الحبر الأعظم ، سيف الإسلام ، علم الأعلام ، علّامة العلماء الكرام .

كان شديد التواضع والخفض واللين ، وفاقد التجبّر والتكبّر علىٰ المؤمنين ، مع ما فيه من الصولة والوقار والهيبة والاقتدار ، سمحاً شجاعاً .

وصف نفسه فقال : كنتُ جعيفراً ، فصرتُ جعفراً ، ثمّ الشيخ جعفر ، ثمّ شيخ العراق ، ثمّ شيخ مشايخ المسلمين علىٰ الإطلاق .

من مصنّفاته : كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغرّاء ، العقائد الجعفرية ، منهج الرشاد لمن أراد السداد في ردّ الوهّابية ، الحقّ المبين في الردّ علىٰ الإخباريّين .

أنظر : الكنىٰ والألقاب ـ للقمّي ـ ٣/ ١٠١ ، أعيان الشيعة ٤/ ٩٩ ، ماضي النجف وحاضرها ٣/ ١٣١ رقم ٣ ، الأعلام ٢/ ١٢٤ .

رواه أحمد وأبو داود والترمذي[١] ...» إلىٰ آخـره[٢].

وقال بعض المعاصرين:

أمّا التقـرّب إلىٰ الضرائـح بالنذور ودعـاء أهـلها مـع الله، فلا نعهد واحداً من أوباش[٣] المسلمين وغيرهم يفعل ذلك، وإنّما ينذرون لله بالنذر المشروع، فيجعلون المنذور في سـبيل إعانة الزائرين علىٰ البرّ، أو للإنفاق علىٰ الفـقراء والمـحاويج، لإهداء ثوابه لصاحب القبر، لكونه من أهل الكرامة فـي الدِيـن والقُربىٰ ...» إلىٰ آخـره.

وهـذا أوان اختـتام الرسالة،

وأرجو أن ينفع اللهُ بها، إنّه هو المتفضّـل المنّـان.

وقد حصل الفراغ منه بيد مؤلّـفه الفقيـرِ إلىٰ الله:

عبـدالله، أحد طلبة العـراق،

في ليلة الرابع عشر من شهر ربيع الأوّل،

سـنة خمس وأربعين بعد ألف وثلاثمئة هجريّة.

والحمـد لله ربّ العالمين.

---

(١) آنظر: مسند أحمد ٣/٣٥٦ و ٣٦٢، سنن أبي داود ٣/٩٨ ـ ٩٩ ح ٢٨١٠، سنن الترمذي ٤/٧٧ ح ١٥٠٥.

(٢) منهج الرشاد: ٩٣.

(٣) الأوباش من الناس: أخلاط النـاس والضُّـروب المـتفـرّقون مـنهم؛ آنظر: لسان العرب ١٥/٢٠٠ مادّة «وبش».

مصـادر التوثيـق والتعضيـد

١ ـ القـرآن الكريـم .

٢ ـ آلاء الرحمٰن في تفسير القرآن ، لمحمّـد جـواد البـلاغي (ت ١٣٥٢) ، تحقيق ونشر مؤسّـسة البعثة ، إيران ١٤٢٠ .

٣ ـ الأئـمّـة الاثـنـا عشـر ، لمحمّـد بن طـولون (ت ٩٥٣) ، تحقيق صلاح الدين المنجّد ، نشر منشورات الرضـي (بالأُوفسيت) ، قـم .

٤ ـ الإتحاف بحـبّ الأشراف ، لعبـدالله بن محمّـد بن عـامر الشبراوي (ت ١١٧١) ، نشر المطبعة الأدبية ، مصر .

٥ ـ إتمام الأعلام ، لنزار أباظة ومحمّـد رياض المـالح ، نشـر دار صادر ، بيروت ١٩٩٩ م .

٦ ـ الاحتجاج علىٰ أهل اللجاج ، لأبي منصور أحمد بن علي ابن أبي طـالب الطـبرسي (ق ٦ هـ) ، تـعليق مـحمّـد بـاقر المـوسوي الخرسان ، نشر دار المرتضىٰ ، مشهد ١٤٠٣ ، بـالتصوير عـلىٰ طـبعة مؤسّـسة الأعلمي ، بيروت ١٤٠٣ .

٧ ـ الإحـسـان بترتيب صحيح ابن حبّان ، لعـــلي بـــن بـلبان الفارسي (ت ٧٣٩) ، تحقيق كمال يوسف الحوت ، نشر دار الفكـر ، بيروت ١٤٠٧ .

٨ ـ إختيار معرفة الرجال (رجال الكشّي) ، للشيخ الطـوسي أبي جعفر محمّـد بن الحسن (ت ٤٦٠) ، تحقيق مهدي الرجائي ، نشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، قم ١٤٠٤ .

٩ ـ **الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد**، للشيخ المفيد محمّد بن محمّد بن النعمان (ت ٤١٣)، تحقيق ونشر مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت ١٤١٦.

١٠ ـ **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، لابن عبد البرّ القرطبي (ت ٤٦٣)، تحقيق علي محمّد البجاوي، نشر دار الجيل، بيروت ١٤١٢.

١١ ـ **أُسد الغابة في معرفة الصحابة**، لابن الأثير الجزري (ت ٦٣٠)، نشر دار الفكر، بيروت ١٤٠٩.

١٢ ـ **إسعاف الراغبين**، لمحمّد بن علي الصبّان (ت ١٢٠٦)، مطبوع بحاشية «نور الأبصار» للشبلنجي، نشر دار الفكر.

١٣ ـ **الاعتقاد على مذهب السلف**، لأحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٦.

١٤ ـ **الأعلام**، لخير الدين الزركلي، نشر دار العلم للملايين، بيروت ١٩٩٧ م.

١٥ ـ **إعلام الورى بأعلام الهدى**، للفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨)، تحقيق ونشر مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم ١٤١٧.

١٦ ـ **أعيان الشيعة**، للسيّد محسن الأمين، تحقيق حسن الأمين، نشر دار التعارف، بيروت ١٤٠٦.

١٧ ـ **إقتضاء الصراط المستقيم**، لابن تيميّة الحرّاني (ت ٧٢٨)، تحقيق محمّد حامد الفقّي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

١٨ ـ **الأمالي**، لأبي جعفر محمّد بن علي الصدوق (ت ٣٨١)، تحقيق ونشر مؤسّسة البعثة، طهران ١٤١٧.

١٩ ـ **الإمام الثاني عشر**، للسيّد محمّد سعيد الموسوي آل صاحب العبقات (١٣٣٣ ـ ؟)، تحقيق السيّد علي الميلاني، نشر مكتبة نينوىٰ الحديثة ـ كربلاء، مطبعة القضاء، النجف الأشرف ١٣٩٣.

٢٠ ـ **الأنساب**، لعبد الكريم بن محمّد السمعاني (ت ٥٦٢)، تحقيق عبدالله عمر البارودي، نشر دار الجنان، بيروت ١٤٠٨.

٢١ ـ **الأنوار في شمائل النبيّ المختار**، للفرّاء الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦)، تحقيق إبراهيم اليعقوبي، نشر دار المكتبي، دمشق ١٤١٦.

٢٢ ـ **أوائل المقالات** (ضمن سلسلة مؤلّفات المفيد)، للشيخ المفيد محمّد بن محمّد بن النعمان (ت ٤١٣)، تحقيق مؤسّسة البعثة، نشر دار المفيد، بيروت ١٤١٤.

٢٣ ـ **بحار الأنوار**، لمحمّد باقر بن محمّد تقي المجلسي (ت ١١١٠)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٣.

٢٤ ـ **البداية والنهاية**، لابن كثير إسماعيل بن عمر القرشي البصري (ت ٧٧١)، تحقيق مجموعة من الأساتذة، نشر دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٥.

٢٥ ـ **بغية المسترشدين**، لعبد الرحمٰن بن محمّد باعلوي (ت ١٣٢٠)، نشر دار الفكر، بيروت.

٢٦ ـ **البلاغي: التجربة الرمز في التفسير (١)**، لعلي الكعبي، مقال منشور في مجلّة «رسالة القرآن»، العدد ١٠/ ربيع الآخر ـ جمادىٰ الآخرة ١٤١٣، ص ٧١ ـ ١٠٤.

٢٧ ـ **البيان في أخبار صاحب الزمان** (الملحق بآخر كتاب

«كفاية الطالب»)، لمحمّد بن يوسف الگنجي الشافعي (ت ٦٥٨)، تحقيق محمّد هادي الأميني، نشر دار إحياء تراث أهل البيت عليهم السلام، طهران ١٤٠٤.

٢٨ ـ **البيان في تفسير القرآن**، للسيّد أبو القاسم الموسوي الخوئي (ت ١٤١٣)، نشر منشورات أنوار الهدىٰ، قم ١٤٠١.

٢٩ ـ **تاج العروس**، لمحمّد بن محمّد مرتضىٰ الحسيني الزبيدي (ت ١٢٠٥)، تحقيق علي شيري، نشر دار الفكر، بيروت ١٤١٤.

٣٠ ـ **تاريخ أصبهان**، لأبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصفهاني (ت ٤٣٠)، تحقيق سيّد كسروي حسن، نشر دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٠.

٣١ ـ **تاريخ بغداد**، للخطيب البغدادي أحمد بن علي (ت ٤٦٣)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٢ ـ **تاريخ دمشق**، لابن عساكر علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي (ت ٥٧١)، تحقيق محبّ الدين أبي سعيد، نشر دار الفكر، بيروت ١٤١٧.

٣٣ ـ **تاريخ الرقّة**، لمحمّد بن عبد الرحمٰن القشيري الحرّاني (ت ٣٣٤)، تحقيق إبراهيم صالح، نشر دار البشائر، دمشق ١٤١٩.

٣٤ ـ **تاريخ الطبري** (تاريخ الأُمم والملوك)، لمحمّد بن جرير الطبري (ت ٣١٠)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٥ ـ **التاريخ الكبير**، لمحمّد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٦ ـ **تاريخ ابن الوردي**، لعمر بن مظفّر (ت ٧٤٩)، نشر دار

الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٧ .

٣٧ ـ **التبيان في تفسير القرآن** ، لشيخ الطائفة الطوسي أبي جعفر محمّد بن الحسن (ت ٤٦٠) ، نشر دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

٣٨ ـ **تتمّة الأعلام للزركلي** ، لمحمّد خير رمضان يوسف ، نشر دار ابن حزم ، بيروت ١٤١٨ .

٣٩ ـ **تجريد الاعتقاد** ، للخواجة نصير الدين محمّد بن الحسن الطوسي (ت ٦٧٢) ، تحقيق محمّد جواد الجلالي ، نشر مكتب الإعلام الإسلامي ، قم ١٤٠٧ .

٤٠ ـ **تذكرة الخواصّ** ، لسبط ابن الجوزي يوسف بن فرغلي البغدادي (ت ٦٥٤) ، نشر منشورات الشريف الرضي ، قم ١٤١٨ .

٤١ ـ **تراثنا** ، مجلّة فصلية تصدرها مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، قم وبيروت .

٤٢ ـ **تطبيق المعايير العلمية لنقد الحديث على أحاديث المهديّ عليه السلام بكتب الفريقين** ، للسيّد ثامر هاشم حبيب العميدي ، مقال منشور في مجلّة «تراثنا» ، العدد المزدوج ٤٣ ـ ٤٤ ، السنة ١١ ، رجب ـ ذو الحجّة ١٤١٦ .

٤٣ ـ **تفسير الثعلبي** (الكشف والبيان) ، لأبي إسحاق أحمد الثعلبي (ت ٤٢٧) ، تحقيق علي عاشور ونظير الساعدي ، نشر دار إحياء التراث العربي ، بيروت ١٤٢٢ .

٤٤ ـ **تفسير الصافي** ، للفيض الكاشاني محمّد بن المرتضى (ت ١٠٩١) ، نشر مكتبة الصدر ، طهران ١٤١٦ .

٤٥ ـ **تفسير الطبري** (جامع البيان) ، لمحمّد بن جرير الطبري

(ت ٣١٠)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٢.

٤٦ ـ **تفسير الفخر الرازي**، لمحمّد بن عمر فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦)، تحقيق خليل محيي الدين، نشر دار الفكر، بيروت ١٤١٤.

٤٧ ـ **تفسير القرطبي** (الجامع لأحكام القرآن)، لمحمّد بن أحمد الخزرجي القرطبي (ت ٦٧١)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٧.

٤٨ ـ **تقريب المعارف**، لأبي الصلاح تقي بن نجم الحلبي (ت ٤٤٧)، تحقيق فارس تبريزيان الحسّون، إيران ١٤١٧.

٤٩ ـ **تكملة معجم المؤلّفين**، لمحمّد خير رمضان يوسف، نشر دار ابن حزم، بيروت ١٤١٨.

٥٠ ـ **تهذيب التهذيب**، لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢)، تحقيق صدقي جميل العطّار، نشر دار الفكر، دمشق ١٤١٥.

٥١ ـ **تهذيب الكمال**، ليوسف بن عبد الرحمٰن المزّي (ت ٧٤٢)، تحقيق أحمد علي عبيد وحسن أحمد آغا، نشر دار الفكر، بيروت ١٤١٤.

٥٢ ـ **تهذيب اللغة**، لمحمّد بن أحمد الأزهري (ت ٣٧٠)، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، نشر المؤسّسة المصرية العامة، القاهرة ١٣٨٤.

٥٣ ـ **التوحيد**، لأبي جعفر محمّد بن علي الصدوق (ت ٣٨١)، تحقيق هاشم الحسيني الطهراني، نشر مؤسّسة النشر الإسلامي، قم ١٤١٦.

٥٤ ـ **الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير**، لعبد الرحمٰن

ابن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت ٩١١)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٠.

٥٥ ـ **جواهر العقدين**، لنور الدين علي بن عبدالله السمهودي (ت ٩١١)، تحقيق مصطفىٰ عبد القادر عطا، نشر دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٥.

٥٦ ـ **حديث الثقلين . . تواتره ـ فقهه**، لعلي الحسيني الميلاني، قم ١٤١٣.

٥٧ ـ **حلية الأولياء**، لأبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصفهاني (ت ٤٣٠)، تحقيق السعيد بسيوني، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٨ ـ **الحماسة البصرية**، لصدر الدين علي بن الحسن البصري، تحقيق مختار الدين أحمد، نشر عالم الكتب، بيروت ١٤٠٣.

٥٩ ـ **الخرائج والجرائح**، لقطب الدين سعيد بن عبدالله الراوندي (ت ٥٧٣)، تحقيق ونشر مؤسّسة الإمام المهدي عليه السلام، قم ١٤٠٩.

٦٠ ـ **الدرّ المنثور في التفسير المأثور**، لجلال الدين عبد الرحمٰن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١)، نشر دار الفكر، بيروت ١٤١٤.

٦١ ـ **الدعوات الكبير**، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨)، تحقيق بدر بن عبدالله البدر، نشر مركز المخطوطات والتراث والوثائق، الكويت ١٤٠٩.

٦٢ ـ **دفع شُبَه مَن شَبّه وتمرّد**، لأبي بكر الحصني الدمشقي (ت ٨٢٩)، نشر المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة ١٣٥٠.

٦٣ ـ **دلائل الصدق لنهج الحقّ**، لمحمّد حسن المظفّر (ت ١٣٧٥)، تحقيق ونشر مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، دمشق وقم ١٤٢٢.

٦٤ ـ **دلائل النبوّة**، لأبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني (ت ٤٣٠)، تحقيق محمّد روّاس قلعجي وعبد البرّ عبّاس، نشر دار النفائس، بيروت ١٤١٢.

٦٥ ـ **دلائل النبوّة**، لأحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨)، تحقيق عبد المعطي قلعجي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥.

٦٦ ـ **ديوان الأبيوردي**،

٦٧ ـ **ديوان دعبل الخزاعي**، لدعبل بن علي الخزاعي (ت ٢٤٦)، جمع وتحقيق عبد الصاحب عمران الدجيلي، نشر دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٧٢ م.

٦٨ ـ **ديوان السيّد حيدر الحلّي**، لحيدر سليمان الحسيني الحلّي (ت ١٣٠٤)، نشر منشورات الشريف الرضي، قم ١٤١٥.

٦٩ ـ **ديوان الشريف الرضي**، للشريف الرضي محمّد بن الحسين الموسوي (ت ٤٠٦)، تصحيح إحسان عبّاس، نشر دار صادر، بيروت ١٩٩٤ م.

٧٠ ـ **ديوان طرفة بن العبد**،

٧١ ـ **ديوان ابن المعتزّ**، شرح وتقديم ميشيل نعمان، نشر الشركة اللبنانية للكتاب، توزيع دار صعب، بيروت ١٩٦٩.

٧٢ ـ **ديوان أبي نؤاس**، .

٧٣ ـ **ذخائر العقبىٰ في مناقب ذوي القربىٰ**، لمحبّ الدين الطبري (ت ٦٩٤)، تحقيق أكرم البوشي، نشر مكتبة الصحابة ومكتبة

التابعين ، جدّة والقاهرة ١٤١٥ .

٧٤ ـ **الذخيرة في علم الكلام** ، للشريف المرتضىٰ علي بن الحسين الموسوي (ت ٤٣٦) ، تحقيق أحمد الحسيني ، نشر مؤسّسة النشر الإسلامي ، قم ١٤١١ .

٧٥ ـ **الذريعة إلىٰ تصانيف الشيعة** ، لآقا بزرك الطهراني (ت ١٣٨٩) ، نشر المكتبة الإسلامية ، طهران ١٣٥٦ .

٧٦ ـ **ذيل الأعلام** ، لأحمد العلاونة ، نشر دار المنارة ، جدّة ١٤١٨ .

٧٧ ـ **الردّ علىٰ المتعصّب العنيد** ، لأبي الفرج عبد الرحمٰن بن علي ابن الجوزي (ت ٥٩٧) ، تحقيق محمّد كاظم المحمودي ، ١٤٠٣ .

٧٨ ـ **الردّ علىٰ الوهّابية** ، لمحمّد جواد البلاغي (ت ١٣٥٢) ، تحقيق محمّد علي الحكيم ، نشر مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، بيروت ١٤١٩ .

٧٩ ـ **رسالة القرآن** ، مجلّة فصلية تصدرها دار القرآن الكريم ، قم .

٨٠ ـ **رسالة في حديث الوصيّة بالثقلين : الكتاب والسُّنّة** (ضمن «الرسائل العشر في الأحاديث الموضوعة») ، لعلي الحسيني الميلاني ، مطبعة ياران ، قم ١٤١٨ .

٨١ ـ **ريحانة الأدب** ، لمحمّد علي التبريزي المدرّس ، چاپخانهٔ شركت سهامي طبع كتاب ، إيران ١٣٣٥ هـ. ش .

٨٢ ـ **سرّ السلسلة العلوية** ، لأبي نصر سهل بن عبدالله البخاري (ق ٤ هـ) ، .

٨٣ ـ **سنن الترمذي** ، لمحمّد بن عيسىٰ بن سورة الترمذي (ت ٢٧٩) ، تحقيق كمال يوسف الحوت ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت .

٨٤ ـ **سنن الدارقطني** ، لعلي بن عمر الدارقطني (ت ٣٨٥) ، نشر دار الفكر ، بيروت ١٤١٤ .

٨٥ ـ **سنن الدارمي** ، لعبدالله بن بهرام الدارمي (ت ٢٥٥) ، نشر دار الفكر ، بيروت ١٤١٤ .

٨٦ ـ **سنن أبي داود** ، لسليمان بن الأشعث (ت ٢٧٥) ، نشر دار الجيل ، بيروت ١٤١٢ .

٨٧ ـ **سنن ابن ماجة** ، لمحمّد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥) ، تحقيق محمّد فؤاد عبد الباقي ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت .

٨٨ ـ **سنن النسائي** ، لأحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣) ، نشر دار الجيل ، بيروت .

٨٩ ـ **السنن الكبرىٰ** ، لأحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣) ، تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري وسيّد كسروي حسن ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١١ .

٩٠ ـ **السنن الكبرىٰ** ، لأحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨) ، نشر دار الفكر .

٩١ ـ **السُنّة** ، لابن أبي عاصم أحمد بن عمرو الشيباني (ت ٢٨٧) ، تحقيق محمّد ناصر الدين الألباني ، نشر المكتب الإسلامي ، بيروت ١٤١٣ .

٩٢ ـ **شجرة طوبىٰ** ، لمحمّد مهدي الحائري ، نشر المكتبة الحيدرية ، النجف الأشرف ١٣٨٥ .

٩٣ ـ **الشجرة المباركة في أنساب الطالبية**، لمحمّد بن عمر فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦)، تحقيق مهدي الرجائي، نشر مكتبة آية الله العظمىٰ المرعشي النجفي، قم ١٤١٩.

٩٤ ـ **شرح السُنّة**، للحسين بن مسعود الفرّاء البغوي (ت ٥١٦)، تحقيق سعيد اللحّام، نشر دار الفكر، بيروت ١٤١٤.

٩٥ ـ **شرح الشفا**، لعلي بن محمّد القاري (ت ١٠١٤)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

٩٦ ـ **شرح صحيح مسلم**، ليحيىٰ بن شرف الدين النووي الدمشقي (ت ٦٧٦)، تحقيق صدقي جميل العطّار، نشر دار الفكر، بيروت ١٤١٥.

٩٧ ـ **شرح المصطلحات الكلامية**، إعداد ونشر مجمع البحوث الإسلامية، مشهد ١٤١٥.

٩٨ ـ **شرح نهج البلاغة**، لابن أبي الحديد المعتزلي (ت ٦٥٦)، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار الجيل، بيروت ١٤١٦.

٩٩ ـ **الشريعة**، لمحمّد بن الحسين الآجري (ت ٣٦٠)، تحقيق عبد الرزّاق المهدي، نشر دار الكتاب العربي، بيروت ١٤١٧.

١٠٠ ـ **شُعب الإيمان**، لأحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨)، تحقيق محمّد السعيد أبي هاجر، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

١٠١ ـ **شعراء الغريّ** (النجفيات)، لعلي الخاقاني، نشر مكتبة آية الله العظمىٰ المرعشي النجفي، قم ١٤٠٨.

١٠٢ ـ **الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ**، للقاضي عياض أبي الفضل ابن موسىٰ اليحصبي (ت ٥٤٤)، نشر دار الفكر، بيروت

١٤٠٩ .

١٠٣ ـ **شفاء السقام في زيارة خير الأنام** ، لتقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي (ت ٧٥٦) ، الطبعة الرابعة ، ١٤١٩ .

١٠٤ ـ **الصحاح** ، لإسماعيل بن حمّاد الجوهري (ت ٣٩٣) ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطّار ، نشر دار العلم للملايين ، بيروت ١٤٠٤ .

١٠٥ ـ **صحيح ابن خزيمة** ، لمحمّد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري (ت ٣١١) ، تحقيق محمّد مصطفىٰ الأعظمي ، نشر المكتب الإسلامي ، بيروت ١٤١٢ .

١٠٦ ـ **صحيح البخاري** ، لمحمّد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦) ، نشر المكتبة الثقافية ، بيروت .

١٠٧ ـ **صحيح مسلم** ، لمسلم بن الحجّاج القشيري (ت ٢٦١) ، نشر دار الجيل ، بيروت .

١٠٨ ـ **الصِلات والبِشْر في الصلاة علىٰ خير البشر** ، لمحمّد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧) ، تحقيق إبراهيم بن إسماعيل آل عصر ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٥ .

١٠٩ ـ **الصواعق المحرقة** ، لابن حجر الهيتمي (ت ٩٧٤) ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٤ .

١١٠ ـ **الطبقات الكبرىٰ** ، لمحمّد بن سعد الهاشمي (ت ٢٣٠) ، تحقيق محمّد عبد القادر عطا ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٠ .

١١١ ـ **العَرف الوردي في أخبار المهدي** (ضمن «الحاوي للفتاوي») ، لجلال الدين عبد الرحمٰن بن أبي بكر السيوطي (ت

٩١١)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٨.

١١٢ ـ **عصمة المعصوم ﷺ وفق المعطيات القرآنية**، لجلال الدين علي الصغير، نشر دار الأعراف للدراسات، بيروت ١٤٢٢.

١١٣ ـ **عقد الدرر في أخبار المنتظر**، ليوسف بن يحيىٰ المقدسي الشافعي (ق ٧)، تحقيق عبد الفتّاح محمّد الحلو، نشر مكتبة عالم الفكر، القاهرة ١٣٩٩.

١١٤ ـ **العلل ومعرفة الرجال**، لأحمد بن محمّد بن حنبل (ت ٢٤١)، تحقيق وصي الله عبّاس، نشر المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٨.

١١٥ ـ **علماء معاصرين**، للملّا علي الواعظ الخياباني التبريزي، طبعة حجرية، إيران ١٣٦٦.

١١٦ ـ **الغدير في التراث الإسلامي**، لعبدالعزيز الطباطبائي (ت ١٤١٧)، نشر مؤسّسة نشر الهادي، قم ١٤١٥.

١١٧ ـ **الغدير في الكتاب والسُنّة والأدب**، لعبدالحسين أحمد الأميني النجفي (ت ١٣٨٩)، نشر مؤسّسة الأعلمي، بيروت ١٤١٤.

١١٨ ـ **غريب الحديث**، لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت ٢٢٤)، نشر دار الكتاب العربي، بيروت ١٣٩٦، بالتصوير علىٰ طبعة حيدر آباد الدكن بالهند.

١١٩ ـ **الفائق في غريب الحديث**، لجار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨)، تحقيق علي محمّد البجاوي ومحمّد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار الفكر، بيروت ١٣٩٩.

١٢٠ ـ **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، لابن حجر أحمد بن

علي العسقلاني (ت ٨٥٢) ، تحقيق عبد العزيز ومحمّد فؤاد ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٠ .

١٢١ ـ **الفتن** ، لنعيم بن حمّاد المروزي (ت ٢٢٩) ، تحقيق سهيل زكّار ، نشر المكتبة التجارية ، مكّة المكرّمة .

١٢٢ ـ **فرائد السمطين** ، لإبراهيم بن محمّد الجويني الخراساني (ت ٧٣٠) ، تحقيق محمّد باقر المحمودي ، نشر مؤسّسة المحمودي ، بيروت ١٣٩٨ .

١٢٣ ـ **فرحة الغريّ في تعيين قبر أمير المؤمنين عليّ** عليه السلام ، للسيّد عبد الكريم ابن طاووس الحلّي (ت ٦٩٣) ، المطبعة الحيدرية ، النجف الأشرف .

١٢٤ ـ **فردوس الأخبار** ، لشيرويه بن شهردار بن شرويه الديلمي (ت ٥٠٩) ، تحقيق ونشر دار الفكر ، بيروت ١٤١٨ .

١٢٥ ـ **الفصل في الملل والأهواء والنحل** ، لابن حزم علي بن أحمد الظاهري (ت ٤٥٦) ، تحقيق أحمد شمس الدين ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٦ .

١٢٦ ـ **الفصول المهمّة في معرفة أحوال الأئمّة** عليهم السلام ، لابن الصبّاغ المالكي علي بن محمّد (ت ٨٥٥) ، نشر مؤسّسة الأعلمي ، طهران ، بالتصوير على طبعة مكتبة دار الكتب التجارية ، النجف الأشرف .

١٢٧ ـ **فضائل الصحابة** ، لأحمد بن حنبل (ت ٢٤١) ، تحقيق وصي الله بن محمّد عبّاس ، نشر دار ابن الجوزي ، الدمّام ١٤٢٠ .

١٢٨ ـ **فضائل المدينة** ، للمفضّل بن محمّد الجندي اليمني (ت ٣٠٨) ، تحقيق محمّد مطيع الحافظ وغزوة بدير ، نشر دار الفكر ،

دمشق ١٤٠٧ .

١٢٩ ـ **فهرس الفهارس والأثبات** ، لعبد الحيّ بن عبد الكبير الكتّاني ، تحقيق إحسان عبّاس ، نشر دار الغرب الإسلامي ، بيروت ١٤٠٢ .

١٣٠ ـ **فيض القدير شرح الجامع الصغير** ، لمحمّد بن عبد الرؤوف المناوي (ت ١٠٣١) ، تحقيق أحمد عبد السلام ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٥ .

١٣١ ـ **قاموس الكتاب المقدّس** ، لنخبة من الأساتذة واللاهوتيّين ، نشر دار الثقافة ، القاهرة ١٩٩٥ م .

١٣٢ ـ **القاموس المحيط** ، لمحمّد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧) ، نشر دار الجيل ، بيروت .

١٣٣ ـ **قرب الإسناد** ، لعبدالله بن جعفر الحميري (ق ٣) ، تحقيق ونشر مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، بيروت ١٤١٣ .

١٣٤ ـ **قصص الأنبياء** (عرائس المجالس) ، لأحمد بن محمّد الثعلبي (ت ٤٢٧) ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٤ .

١٣٥ ـ **قواعد العقائد** (المطبوع مع «تلخيص المحصّل») ، للخواجة نصير الدين محمّد بن الحسن الطوسي (ت ٦٧٢) ، نشر دار الأضواء ، بيروت ١٤٠٥ .

١٣٦ ـ **الكافي** ، لثقة الإسلام محمّد بن يعقوب الكليني الرازي (ت ٨ / ٣٢٩) .

الأُصول : تصحيح نجم الدين الآملي ، تعليق علي أكبر الغفّاري ، نشر المكتبة الإسلامية ، طهران ١٣٨٨ .

الروضة : تحقيق علي أكبر الغفّاري ، نشر دار الكتب

الإسلامية ، طهران ١٣٨٩ .

١٣٧ ـ **الكامل في التاريخ** ، لابن الأثير علي بن محمّد الجزري (ت ٦٣٠) ، تحقيق محمّد يوسف الدقّاق ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٥ .

١٣٨ ـ **الكامل في ضعفاء الرجال** ، لعبدالله بن عديّ الجرجاني (ت ٣٦٥) ، تحقيق سهيل زكّار ويحيىٰ مختار غزّاوي ، نشر دار الفكر ، بيروت ١٤٠٩ .

١٣٩ ـ **الكتاب المقدّس** (العهد القديم والعهد الجديد) ، نشر دار الكتاب المقدّس في الشرق الأوسط ، ١٩٨٩ م .

١٤٠ ـ **كشف الأستار عن وجه الغائب عن الأبصار** ، للميرزا حسين النوري الطبرسي (ت ١٣٢٠) ، نشر دار الكتاب الإسلامي ، بيروت ١٤١٢ .

١٤١ ـ **كشف الخفاء ومزيل الإلباس** ، لإسماعيل بن محمّد العجلوني الجراحي (ت ١١٦٢) ، نشر دار إحياء التراث العربي ، بيروت ١٣٥١ و ١٣٥٢ .

١٤٢ ـ **كشف الغمّة في معرفة الأئمّة** ، لعلي بن فخر الدين عيسىٰ الإربلي (ت ٦٩٣) ، نشر مكتبة بني هاشم ، قم ١٣٨١ .

١٤٣ ـ **كفاية الأثر في النصّ علىٰ الأئمّة الاثني عشر** ، لعلي بن محمّد الخزّاز القمّي الرازي ، تحقيق عبد اللطيف الحسيني ، نشر إنتشارات بيدار ، قم ١٤٠١ .

١٤٤ ـ **كنز الدقائق** (تفسير ...) ، لمحمّد بن محمّد رضا المشهدي القمّي (ت ١١٢٥) ، تحقيق ونشر مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين في الحوزة العلمية ، قم ١٤١١ .

١٤٥ ـ **كنز العمّال** ، لعلي المتّقي الهندي (ت ٩٧٥) ، تحقيق بكري حيّاني وصفوة السقّا ، نشر مؤسّسة الرسالة ، بيروت ١٤١٣ .

١٤٦ ـ **الكنىٰ والأسماء** ، لمحمّد بن أحمد الدولابي (ت ٣١٠) ، نشر دائرة المعارف الإسلامية ، الهند ١٣٢٢ .

١٤٧ ـ **الكنىٰ والألقاب** ، لعبّاس بن محمّد رضا القمّي (ت ١٣٥٩) ، تحقيق محمّد هادي الأميني ، نشر مكتبة الصدر ، طهران ١٤٠٩ .

١٤٨ ـ **لسان العرب** ، لابن منظور محمّد بن مكرّم (ت ٧١١) ، تحقيق علي شيري ، نشر دار إحياء التراث العربي ، بيروت ١٤٠٨ .

١٤٩ ـ **لواقح الأنوار في طبقات الأخيار** (الطبقات الكبرىٰ) ، لعبد الوهّاب بن علي الشعراني (ت ٩٧٣) ، نشر دار الفكر ، بيروت ، بالتصوير علىٰ طبعة القاهرة ١٣٧٤ .

١٥٠ ـ **ماضي النجف وحاضرها** ، لجعفر باقر آل محبوبة ، نشر دار الأضواء ، بيروت ١٤٠٦ .

١٥١ ـ **المتبقّي من شعر العلّامة البلاغي** ، للشيخ محمّد الحسّون ، مقال منشور في مجلّة «تراثنا» ، العدد المزدوج ٧١ ـ ٧٢ ، السنة ١٨ ، رجب ـ ذو الحجّة ١٤٢٣ .

١٥٢ ـ **مجمع البيان في تفسير القرآن** ، للفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨) ، نشر دار الفكر ، بيروت ١٤١٤ .

١٥٣ ـ **مجمع الزوائد** ، لعلي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت ٨٠٧) ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٨ .

١٥٤ ـ **مختصر تاريخ دمشق** ، لابن منظور محمّد بن مكرم (ت ٧١١) ، تحقيق روحيّة النحّاس وآخرين ، نشر دار الفكر ، دمشق

١٤٠٤ .

١٥٥ ـ **مرآة العقول** ، لمحمّد باقر المجلسي (ت ١١١١) ، نشر دار الكتب الإسلامية ، طهران ١٤٠٤ .

١٥٦ ـ **المستدرك على الصحيحين** ، لمحمّد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٦) ، تحقيق مصطفىٰ عبد القادر عطا ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١١ .

١٥٧ ـ **المسند** ، لأبي داود سليم بن داود الطيالسي (ت ٢٠٤) ، نشر دار المعرفة ، بيروت .

١٥٨ ـ **المسند** ، لعبد الله بن الزبير الحميدي (ت ٢١٩) ، تحقيق حبيب الرحمٰن الأعظمي ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٩ .

١٥٩ ـ **المسند** ، لأحمد بن حنبل (ت ٢٤١) ، نشر دار صادر ، بيروت .

١٦٠ ـ **المسند** ، لأبي يعلىٰ الموصلي أحمد بن علي التميمي (ت ٣٠٧) ، تحقيق حسين سليم أسد ، نشر دار المأمون للتراث ، دمشق ١٤١٠ .

١٦١ ـ **مسند البزّار** (البحر الزخّار) ، لأحمد بن عمرو العتكي البزّار (ت ٢٩٢) ، تحقيق محفوظ الرحمٰن زين الله ، نشر مؤسّسة علوم القرآن ، بيروت ١٤٠٩ .

١٦٢ ـ **مسند الروياني** (مسند الصحابة) ، لمحمّد بن هارون الروياني الرازي (ت ٣٠٧) ، تحقيق صلاح بن محمّد ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٧ .

١٦٣ ـ **مسند الشاشي** ، للهيثم بن كليب (ت ٣٣٥) ، تحقيق محفوظ الرحمٰن زين الله ، نشر مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنوّرة

١٤١٠ .

١٦٤ ـ **مسند عبد بن حُميد** (المنتخب من . . .) ، لعبد بن حُميد (ت ٢٤٩) ، تحقيق صبحي البدري السامرّائي ومحمود محمّد خليل الصعيدي ، نشر عالم الكتب ، بيروت ١٤٠٨ .

١٦٥ ـ **مشكاة المصابيح** ، لمحمّد بن عبدالله الخطيب التبريزي ، نشر دار الفكر ، بيروت ١٤١١ .

١٦٦ ـ **مشكل الآثار** ، لأحمد بن محمّد بن سلامة الأزدي الطحاوي (ت ٣٢١) ، تحقيق محمّد عبد السلام شاهين ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٥ .

١٦٧ ـ **مصابيح السُنّة** ، للحسين بن مسعود الفرّاء البغوي (ت ٥١٦) ، تحقيق يوسف عبد الرحمٰن المرعشلي وآخرين ، نشر دار المعرفة ، بيروت ١٤٠٧ .

١٦٨ ـ **المصنّف** ، لعبد الرزّاق بن همّام الصنعاني (ت ٢١١) ، تحقيق حبيب الرحمٰن الاعظمي ، نشر المكتب الإسلامي ، بيروت ١٤٠٤ .

١٦٩ ـ **المصنّف في الأحاديث** ، لمحمّد بن أبي شيبة الكوفي (ت ٢٣٥) ، تحقيق سعيد اللحّام ، نشر دار الفكر ، بيروت ١٤٠٩ .

١٧٠ ـ **مطالب السؤول في مناقب آل الرسول** ، لمحمّد بن طلحة النصيبي الشافعي (ت ٦٥٢) ، تحقيق عبد العزيز الطباطبائي ، نشر مؤسّسة البلاغ ، بيروت ١٤١٩ .

١٧١ ـ **معارف الرجال** ، لمحمّد حرز الدين ، نشر مكتبة آية الله العظمىٰ المرعشي النجفي ، قم ١٤٠٥ .

١٧٢ ـ **معجم أحاديث الإمام المهديّ** عليه السلام ، تأليف ونشر

مؤسّسة المعارف الإسلامية ، قم ١٤١١ .

١٧٣ ـ **معجم الأُدباء** ، لياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦) ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١١ .

١٧٤ ـ **المعجم الأوسط** ، لسليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠) ، تحقيق أيمن صالح شعبان وسيّد أحمد إسماعيل ، نشر دار الحديث ، القاهرة ١٤١٧ .

١٧٥ ـ **معجم البلدان** ، لياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦) ، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت .

١٧٦ ـ **معجم رجال الحديث** ، للسيّد أبو القاسم الموسوي الخوئي (ت ١٤١٣) ، نشر مركز نشر الثقافة الإسلامية ، إيران ١٤١٣ .

١٧٧ ـ **المعجم الصغير** ، لسليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠) ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٣ .

١٧٨ ـ **المعجم الكبير** ، لسليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠) ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ، نشر دار إحياء التراث العربي .

١٧٩ ـ **معجم ما ألّفه علماء الأُمّة الإسلامية للردّ على خرافات الدعوة الوهّابية** ، لعبدالله محمّد علي ، مقال منشور في مجلّة «تراثنا» ، العدد ١٧ ، السنة ٤ ، شوّال ١٤٠٩ .

١٨٠ ـ **معجم المطبوعات العربية والمعرّبة** ، ليوسف إليان سركيس ، نشر مكتبة آية الله العظمىٰ المرعشي النجفي ، قم ١٤١٠ .

١٨١ ـ **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم** ، لمحمّد فؤاد عبد الباقي ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٦٤ .

١٨٢ ـ **معجم المؤلّفين** ، لعمر رضا كحّالة ، نشر مؤسّسة

الرسالة ، بيروت ١٤١٤ .

١٨٣ ـ **معجم المؤلّفين العراقيّين** ، لكوركيس عوّاد ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ١٩٦٩ م .

١٨٤ ـ **مع الدكتور السالوس في آية التطهير** ، لعلي الحسيني الميلاني ، قم .

١٨٥ ـ **معرفة الصحابة** ، لأبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصفهاني (ت ٤٣٠) ، تحقيق عادل بن يوسف العزازي ، نشر دار الوطن ، الرياض ١٤١٩ .

١٨٦ ـ **مقتل الحسين** عليه السلام ، لأبي المؤيّد بن أحمد المكّي الخوارزمي (ت ٥٦٨) ، تحقيق الشيخ محمّد السماوي ، نشر أنوار الهدىٰ ، قم ١٤١٨ .

١٨٧ ـ **ميزان الاعتدال في نقد الرجال** ، لمحمّد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨) ، تحقيق علي محمّد معوّض وعادل أحمد عبد الموجود ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٦ .

١٨٨ ـ **مناقب آل أبي طالب** ، لمحمّد بن علي بن شهرآشوب المازندراني (ت ٥٨٨) ، تحقيق يوسف البقاعي ، نشر دار الأضواء ، بيروت ١٤١٢ .

١٨٩ ـ **مناقب الإمام عليّ بن أبي طالب** عليه السلام ، لابن المغازلي علي بن موسىٰ الشافعي (ت ٤٨٣) ، نشر دار الأضواء ، بيروت ١٤١٢ .

١٩٠ ـ **مناقب الإمام عليّ بن أبي طالب** عليه السلام ، للموفّق بن أحمد المكّي الخوارزمي (ت ٥٦٨) ، تحقيق مالك المحمودي ، نشر مؤسّسة النشر الإسلامي ، قم ١٤١١ .

١٩١ ـ **منتهىٰ المطلب في تحقيق المذهب** ، للعلّامة الحلّي أبي منصور الحسن بن يوسف بن المطهّر (ت ٧٢٦) ، طبعة حجرية ، إيران .

١٩٢ ـ **من عاش بعد الموت** ، لعبدالله بن محمّد بن أبي الدنيا القرشي (ت ٢٨١) ، تحقيق أبو معاذ أيمن بن عارف الدمشقي ، نشر مكتبة السُنّة ، القاهرة ١٤١٣ .

١٩٣ ـ **منهاج السُنّة النبويّة** ، لابن تيميّة أحمد بن عبد الحليم الحرّاني (ت ٧٢٨) ، تحقيق محمّد رشاد سالم ، نشر دار أُحد ، الرياض .

١٩٤ ـ **منهج الرشاد لمن أراد السداد** ، لجعفر بن خضر الجناجي النجفي (ت ١٢٢٨) ، تحقيق مهدي الرجائي ، نشر دار الثقلين ، بيروت ١٤١٤ .

١٩٥ ـ **الموطّأ** ، لمالك بن أنس (ت ١٧٩) ، تحقيق نخبة من العلماء ، نشر دار الجيل ، بيروت ١٤١٤ .

١٩٦ ـ **نُزهة المجالس ومنتخب النفائس** ، لعبد الرحمٰن الصفوري الشافعي (ت ٨٨٤) ، نشر دار الفكر ، بيروت .

١٩٧ ـ **نسيم الرياض في شرح شفا القاضي عياض** ، لشهاب الدين الخفاجي (ت ١٠٦٩) ، نشر مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني ، القاهرة ١٣١٤ .

١٩٨ ـ **نصائح الهدىٰ والدين** ، لمحمّد جواد البلاغي (ت ١٣٥٢) ، نشر عبد الأمير الحيدري البغدادي ، مطبعة دار السلام ، بغداد ١٣٣٩ .

وطبعة محقّقة ، بتحقيق محمّد علي الحكيم ، نشر إنتشارات

دليل ما ، قم ١٤٢٣ .

وطبعة محقّقة أُخرىٰ ، بتحقيق محمّد علي الحكيم ، نشر دار المحجّة البيضاء ، بيروت ١٤٢٤ .

١٩٩ ـ **نفحات الأزهار** ، لعلي الحسيني الميلاني ، نشر دار المؤرّخ العربي ورابطة أهل البيت عليهم السلام الإسلامية العالمية ، بيروت ١٤١٥ .

٢٠٠ ـ **نقباء البشر في القرن الرابع عشر** (طبقات أعلام الشيعة) ، لآقا بزرك الطهراني (ت ١٣٨٩) ، نشر دار المرتضىٰ ، مشهد ١٤٠٤ .

٢٠١ ـ **نقد الرجال** ، لمصطفىٰ بن الحسين الحسيني التفرشي (ق ١١) ، تحقيق ونشر مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، قم ١٤١٨ .

٢٠٢ ـ **النهاية في غريب الحديث والأثر** ، للمبارك بن محمّد ابن الأثير الجزري (ت ٦٠٦) ، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمّد الطناحي ، نشر المكتبة العلمية ، بيروت .

٢٠٣ ـ **النهاية في الفتن والملاحم** ، لابن كثير إسماعيل بن عمر القرشي البصري (ت ٧٧١) ، تحقيق أحمد عبد الشافي ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٤ .

٢٠٤ ـ **نهج البلاغة من كلام الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام** ، جمع وآختيار الشريف الرضي محمّد بن الحسين الموسوي (ت ٤٠٦) ، تحقيق صبحي الصالح ، نشر دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني ، القاهرة وبيروت ١٤١١ .

٢٠٥ ـ **نور الأبصار في مناقب آل النبيّ المختار** ، لمؤمن بن حسن مؤمن الشبلنجي (ت ١٣٠٨) ، نشر دار الفكر .

٢٠٦ ـ **نور الثقلين** (تفسير . . .) ، لعبد علي بن جمعة العروسي الحويزي (ت ١١١٢) ، تصحيح هاشم الرسولي المحلّاتي ، المطبعة العلمية ، قم .

٢٠٧ ـ **الهدىٰ إلىٰ دين المصطفىٰ** ، لمحمّد جواد البلاغي (ت ١٣٥٢) ، نشر دار الكتب الإسلامية ، قم .

٢٠٨ ـ **الوفا بأحوال المصطفىٰ** ، لابن الجوزي أبي الفرج عبد الرحمٰن بن علي (ت ٥٩٧) ، تحقيق مصطفىٰ عبد القادر عطا ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت .

٢٠٩ ـ **وفاء الوفا بأخبار دار المصطفىٰ** ، لعلي بن أحمد السمهودي (ت ٩١١) ، تحقيق محمّد محيي الدين ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت .

٢١٠ ـ **وفيات الأعيان** ، لابن خلّكان أحمد بن محمّد بن أبي بكر (ت ٦٨١) ، تحقيق إحسان عبّاس ، نشر دار صادر ، بيروت .

٢١١ ـ **ينابيع المودّة** ، لسليمان بن إبراهيم القندوزي (ت ١٢٩٤) ، تحقيق علي جمال أشرف ، نشر دار الأُسوة ، قم ١٤١٦ .

٢١٢ ـ **اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر** ، لعبد الوهّاب الشعراني (ت ٩٧٣) ، نشر مكتبة ومطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي ، مصر ١٣٧٨ .

* * *

المحتويات

الإهـداء ٣
مقـدّمة الإعـداد والتحقيـق ٥
* ترجمـة المؤلّف ٨
نسـبه ٨
مـولـده ٨
نشأته وشـيوخه وسجاياه ٩
من آثاره الباقية ١٢
قالوا فيه ١٣
شِـعره ١٩
تلامذتـه ٣١
وفاته ومرقده ورثاؤه ٣٣
مؤلّـفاته ٣٩
* خصائص الرسائل الأربعة ٤٣
مسألة في البَـداء ٤٤
نسمات الهدىٰ ونفحات المهديّ ٤٩
البلاغ المبيـن ٥٢
الردّ علىٰ الوهّابيـة ٥٥
* منهج العمل في الرسائل ٦٠

٢٨٦ ..... أربع رسائل للشيخ البلاغي

* شكر لا بُدّ منه ٦٢
* كلمة أخيرة ٦٣
* صور الصفحات الأُولىٰ للطبعات الأُولىٰ لبعض الرسائل ... ٦٤

(١)
مسألة في البَداء

تمهيد المؤلّف ٦٩
معنىٰ البَداء ٧١
دلالتا العقل والنقل علىٰ البَداء ٧٨
حصيلة البحث ٨٠

(٢)
نسمات الهدىٰ ونفحات المهديّ

تمهيد المؤلّف ٨٥
التشكيك بالمهديّ عليه السلام ٨٦
أحاديث أهل السُنّة ٨٩
أحاديث الشيعة ١٠١
نزول المسيح وآئتمامه بالمهديّ عليهما السلام ١٠٢
الإمامة عند الشيعة ١٠٦

فهرس المحتوىٰ ٢٨٧

قيام الإمام الحسين عليه السلام ١١٦
الاعتقاد بالمهديّ عليه السلام ١٢٦
ابن سبأ والسرداب ١٢٩

(٣)
البلاغ المبين

كلمة ناشر الطبعة الأُولىٰ ١٣٩
ابتداء متن الكتاب ١٤١
لسان حال وتخييل ١٤٣
الميزان العادل الحقيقي العامّ ١٦٩
الوجود علىٰ طِبق القوانين ١٧٨
خِلقة العالَم ، ودلالتها علىٰ أنّ صانعه إله حكيم عليم ١٨٣
١ ـ القطعتان من حديد ونحوه (نرمادة) ١٨٥
٢ ـ الدار الصخرية ١٨٦
٣ ـ جهاز الرسم (الفوتوغراف) ١٨٩
٤ ـ الهاتف (التلفون) ١٩٠
٥ ـ جهاز تسجيل الأصوات ١٩٠
٦ ـ الجهاز الكيمياوي ١٩١
٧ ـ الطلمبات وأنابيبها المتشعّبة وعرضيّاتها الاحتياطية ١٩١
٨ ـ السيّارة (الأُتومبيل) ١٩٣
٩ ـ السيّارة الموهومة التي خُيّلت أنّها جامعة للأمثلة ١٩٣

(٤)
الـردّ علىٰ الوهّـابيّـة

تمهيـد المؤلّف ٢٠٥
الفصل الأوّل : توحيد الله في العبادة ٢١٤
زيارة القبور ٢١٩
التبرُّك بالقبور ٢٢٤
الفصل الثاني : توحيد الله سبحانه في الأفعال ٢٢٧
التوسّل والاستغاثة والاستشفاع ٢٣٠
دعوىٰ تشريك غير الله معه في الدعاء ٢٣١
إضافة الدعوة إلىٰ الضرائح ٢٣٢
الشـفاعة ٢٣٧
الفصل الثالث : البناء علىٰ القبور ٢٤٢
الفصل الرابع : الصلاة عند القبور ، وإيقاد السُّرُج عليها ٢٥٢
الفصل الخامس : الذبائح والنـذور ٢٥٧

فهرس مصـادر التوثيق والتعضيـد ٢٦١
فهرس محتويات الكـتاب ٢٨٥